إصدار
تذكاري

فقيه العصر وعالم مصر

العلامة الأستاذ الدكتور

علي جمعة

عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

إهداء بمناسبة مرور سبعين عاما هجريا على ميلاد فضيلته

بأقلام نخبة من كبار العلماء والمفكرين

تقديم/د.مجدي عاشور

المستشار الأكاديمي لمفتي الديار المصرية

1441 هـ/2020م

إصدار
تذكاري

فقيه العصر وعالم مصر

العلامة الأستاذ الدكتور

علي جمعة

عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

إهداء بمناسبة مرور سبعين عاما هجريا على ميلاد فضيلته

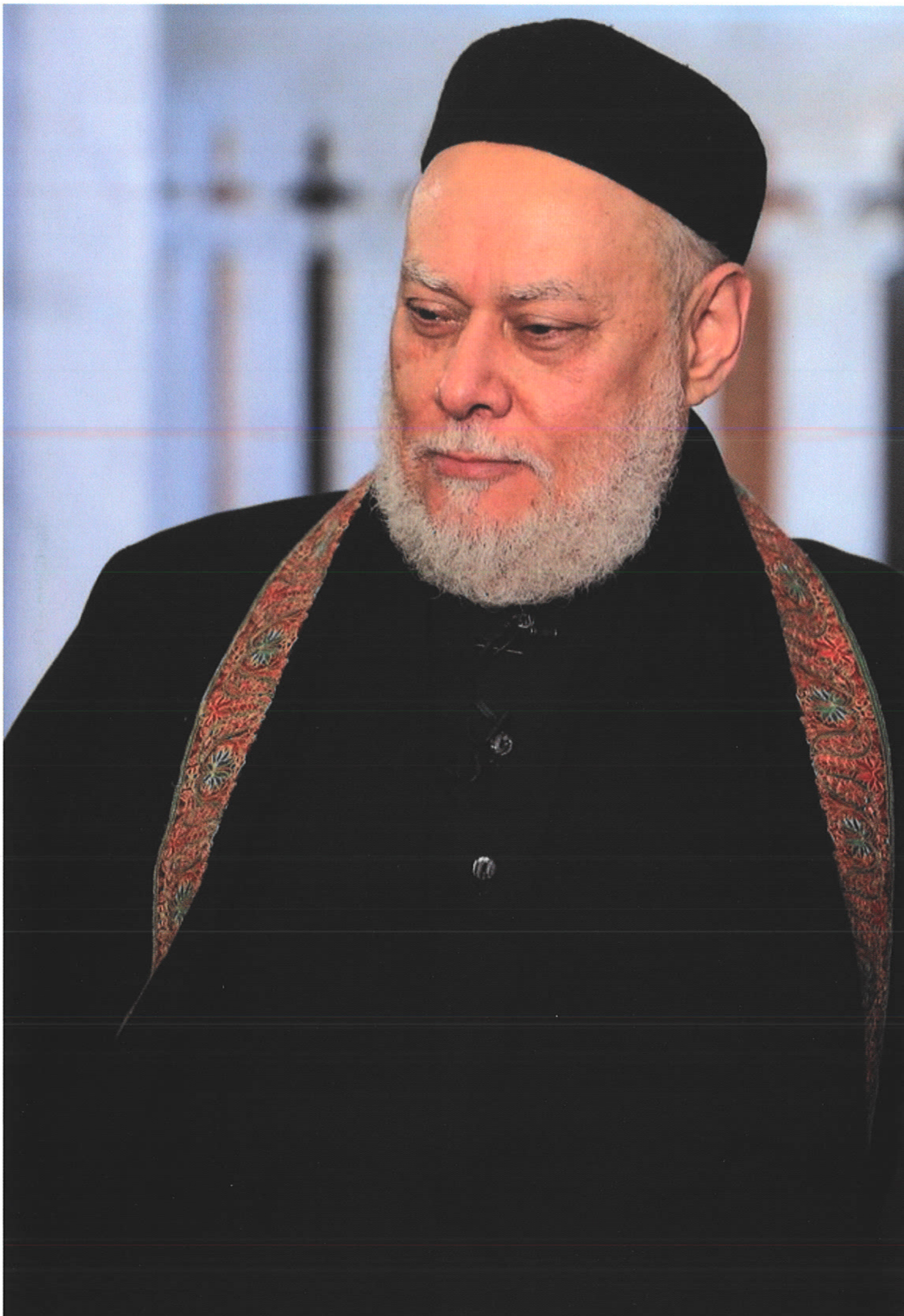
بأقلام نخبة من كبار العلماء والمفكرين

تقديم/د.مجدي عاشور

المستشار الأكاديمي لمفتي الديار المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤٢٠







تقديم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد؛

فإن القلوب إذا أحبَّتْ نضحتْ الحُبَّ على الوجوه والجوارح، فلا يصدُر منها إلا كلُّ جميلٍ، ولا تَعْرِف إلا كلَّ محبٍّ أصيل، فإذا اقترنَ العلمُ بالحبِّ، ضُمِن لهذا الحبِّ الاستمرارُ، إذ الحبُّ باقٍ والعلمُ يحميه، ويزداد الحبُّ نورًا إذا توجَّه لأصحاب القلوب المُحِبَّة والمحبوبة، فتجد المُحبَّ لا يخرج منه إلى المحبوب إلا ما كان بالحُسْن مصبوغًا، وظلَّ يعطي المحبوبَ من حُلْو الكلام حتى كأنَّه قد فَجَّر الأنهارَ من قلبه ينبوعًا.

بهذا المعنى الراقي، الجامع بين العلم والحب، جاءت ما في هذا الكتاب من كلمات لكبار العلماء والباحثين من ذوي القامات، حتى غدا الكتابُ كأنه بستانٌ من الورود، يعطى كُلٌّ منها شذاه ورحيقه، فيجده كلُّ قارئ ساريًا في كيانه سريانَ المسكِ والعودِ.

على هذه المعاني اجتمعتْ أقلامٌ قَلَّتْ أنْ تجتمع على رأيٍّ واحدٍ يلمحه صاحبُ الذوق، بل كلُّ من قرأ أو سمع، وما ذلك إلا لأنها أقلامٌ مِدَادها الفكر الأصيل، الذي عُرِفَ عنه التدقيقُ العلميُّ في كل شيءٍ حتى النقير والقطمير، فضلًا عما وراء هذه الأقلام من عقولٍ لا يقف على شاطئها إلا الخبير النحرير، ثم أضيف إلى تلك الأقلام الرصينة وهذه العقول المستنيرة علمٌ وخبرةٌ لا يتوفران إلا عند من زَاحَم العلماءَ في أَوْجِ أبراجهم، أو ساير أهلَ المنطق والفكر في نبوغهم وعلو شأنهم.

لقد اجتمع هؤلاء الكوكبة من العلماء، بل من كبارهم، على الإدلاء بشهادتهم وما رأوه بأبصارهم، من صفات: العلم، والحكمة، والنُبْل، والنَّجدة، ونفع

الناس، وتربية الأجيال، وحُبِّ الوطن، وتزكية النَّفس، وعمارة الكون، والاتساق مع الذات، وأصالة المعدن، وصفاء المَشْرَب، واحترام الإنسان، مع معرفةٍ بربنا الرحمن...

كل ذلك سَطَرُوه في كلماتهم عن: (فَقِيْه العَصْر، وعَالِم مِصْر) الإمام العلامة فضيلة الأستاذ الدكتور/ علي جمعة عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، ومفتي الديار المصرية السابق، الذي أدهش بتفرده كلَّ سابقٍ ولاحقٍ، وكان موطنَ القدوة للأصاغر والأكابر، فما التمسَ فيه أحدٌ جانبَ خيرٍ إلا ووجده عليه ظاهرًا، ليس في أقواله فحسب، بل في أفعاله وهي أعلى الرُّتَب!

ولو قلتَ يكفينا من هذا الكتاب ما سَطَرَه كُلُّ عالمٍ في عنوانِ مقاله، حيث أتى فيه بزُبدة القول وخلاصة نَوالِه، لو قلتَ ذلك، لَمَا كنتَ بمستغرب، فما الظنُّ عندما تقرأ الكلمات كلها حيث تجد العجب والأعجب، خاصة أن هؤلاء الثلة من العلماء قد تشعبت تخصصاتُهم، وتنوعت فلسفتُهم وفنونُهم، وتميزتْ في وسط أهلِ العلم طرائقُهم، ولذلك كشف كلٌّ واحدٍ منهم عن جانبٍ من الشيخ لامع، وأظهره حتى لا تخطئه الأبصارُ والمسامع، حتى إنك لَتَخْلُصُ بعد قراءة هذا السِّفْر مع طول النَّفَس، إلى القول بما سمعتُه من أكابر القوم: (إن هذا الشيخ الجليل والعالِمِ النحرير هو ظاهرةٌ تستحقُّ في تميزها البحث والدراسة لاكتشاف جوانبها، وللوقوف على كيفية تكوينها).

إذن هو شخصية مصرية وطنية مسلمة أصيلة جمعت بين العلم والعمل، والدعوة إلى الأخلاق الحسنة وعلى رأسها الرحمة والرفق والتعاون مع التفاؤل والأمل، وإدراك عميق لشأنه وإحاطة فريدة لزمانه وواقعه، فكان مثالًا عمليًّا معاصرًا لما جاء في حكمة آل داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: «عَلَى الْعَاقِلِ

أَنْ لَا يَكُونَ ظَاعِنًا إِلَّا فِي إِحْدَى ثَلَاثٍ: تَزَوُّدٍ لِمَعَادٍ، أَوْ مَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ، أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ، وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِزَمَانِهِ، مُمْسِكًا لِلِسَانِهِ، مُقْبِلًا عَلَى شَانِهِ» (جامع معمر بن راشد/ ١٩٧٩٠).

لأجل كلِّ هذا رأى المشاركون في هذا العمل العلمي الأصيل أن يُهْدُوا مولانا الإمام العلاَّمة شيئا مما يكنون له في قلوبهم وعقولهم، لعله يكون شمعةً مضيئةً في وسط الضباب، فيلتمسها كلُّ طالبٍ أو باحثٍ في ثنايا هذا الكتاب، ولذلك آثرنا أن نَصِفَ هذا الكتاب بأنه (إصدار تذكاري) إهداءً من كاتبيه لهذا الشيخ العالم، والمربِّي الولي، بمناسبة بلوغ عُمُرِهِ الزاهر، سبعين عامًا بتاريخ هجرة سيد الأوائل والأواخر، صلى الله عليه وآله وسلم.

وختاما: لا يَسَعُنَا إلا أن نشكر كل من ساهم ببَراعة في هذا الكتاب، ومَنْ قام بتنسيقه وإخراجه، ونخُصُّ منهم: د. موسى شومان، وفضيلة الشيخ/ أشرف سعد، داعين الله تعالى لشيخنا بطُولِ العُمر وحُسْن العمل، في ثوبٍ من العافية ومزيدٍ من العطاء والتوفيق والسداد.

وكلُّ عامٍ وفضيلته بكلِّ خيرٍ وشكرٍ لله تعالى على نِعْمَتَيِّ الإيجاد والإمداد، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

د. مجدي عاشور

المستشار الأكاديمي لفضيلة مفتي الديار المصرية

***

علاّمة العصر ومفتي كنانة الله في أرضه مصر

قصيدتان للراحل فضيلة الشيخ معوض عوض إبراهيم

أكبر المعمرين الأزهريين رضي الله عنه (١)

القصيدة الأولى:



توفي ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م
عن عمر ناهز ١٠٦ عاماً

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛ فإني أتقدم بهذه الأبيات شاهدة ودٍّ وأخوةٍ لعلامة العصر ومفتي كنانة الله في أرضه مصر فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة، حفظه الله، مع خالص التحية:

الـــدينُ والعلـــمُ والأعـــمالُ والأدبُ ... زانت عليًّا وسـارت بِاسْـمِهِ الكتبُ
شرقًا وغربًا مسيرَ الشمسِ مُذْ طَلعـت ... لم يُخفهـا الغـيمُ في يـومٍ ولا الـسُحُبُ
وجمعـــةُ العلـــمِ تـــسبينا فـــضائلُه ... ودينُـــهُ خـــيرُ مـــا تَعلـــو بـــه الرُتَـــبُ
في عاجـلٍ كـانْبِلاجِ الـصُبحِ في دَعـةٍ ... وآجــلٍ لجنــانِ الخُلــدِ ينقلــبُ
فالـــدينُ بـــالله جـــلَّ اللهُ مانحُـــهُ ... والعلمُ بالجِد والإخـلاص يُكتَسَـبُ
فقهًـا وحكمـةَ تـشريعٍ وُسـنةَ مـن ... إليـه كُـل خِـلالِ الفـضل تَنْتَسِبُ
ويـومَ كـان رضـا الـرحمنِ غايتَنَـا ... كنـا أُسَـاةَ حياةٍ سـاءها الوصَـبُ
بالطـب جـاوز جالينــوس مُـشتملاً ... والمالُ طابَ ولـيس يطيـبُ مُغتَـصَبُ
وبالحـضارة طالـت واعتلَـت صُـعُدا ... في طيِّهـا الـدينُ والإرشـادُ والأدبُ

(١) توفي عام ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م، عن عمر ناهز ١٠٦ عامًا، ولذلك قدمناه.

يـضُـمُ ذلكُـم القـرآن في نـسـقٍ ... مـن الطـلاوة لم يَعْلَـقْ بـه وشـبُ
وكيــف واللهُ كالِيــهُ ومُنزلُــهُ ... نـورًا عـلى النـور يَهـدي للـذي يجبُ
أحبَبْتُهُ من ضُحى عُمـري وبي شَـغَفٌ ... وأسـعفتنيَ فيـه الأينُـقُ النُجُـبُ
والأيْنُـقُ النُجُـبُ إيـمانٌ ومعرفـةٌ ... وحكمـةٌ دُونهَـا اليـاقوتُ والـذهبُ
والـدينُ والعلـمُ عـزٌ إن همـا اتفقـا ... فـإن همـا افترقـا فالـذُّلُ والكُـرَبُ
ومــن أراد بغـير الـدينِ أمنيـةً ... رامَ المُحـالَ ولم يَـسلمْ لـه أربُ
إلا بهــارجُ أفكــارٍ وفلــسفةٌ ... أطواؤُهـا الـوهمُ وايـمُ الله والرِّيَـبُ
وانظـر مَـصارعَ أهليهـا بـما أفِكُـوا ... وخـالفوا الـدينَ والبُهتـانُ يُجْتَنَـبُ
وحـين أُوثِـرَ بـالفتوى الحفـيُّ بهـا ... أَتَتَـهُ بالتهنئـاتِ العجـمُ والعـربُ
برقًـا وبـرًا وبحـرًا والطـوائرَ قـدْ ... كـادت لكثرتِهَـا تَخْفَـى بهـا الشُهُـبُ
تَطـوي إليـه المسافاتِ التـي اتَّـصَلت ... والشوقُ يدفَعُهَا أضعافَ مـن قَرُبُـوا
وقـد لقيـتُ أبـا العرفـانِ مـن زمـنٍ ... من ثُلْثِ قرنٍ وذكـرى الخـيرِ تجتـذبُ
في دارةٍ لحـديثِ المـصطفى ارتفعـت ... يُـديرُهَا حَـسنٌ يَزكـو بـه اللقبُ(١)
أعـادهُ الله عيـدًا واللِقـا قـدرٌ ... آثـارُهُ البِـشْرُ والـشُكرانُ والطـرَبُ
والــشكرُ لله حــقٌ حيــثُ جَمَّعنــا ... على الـهُدى والتُقـى والـودُ ينسكبُ
وثَبَّــت الله للإفتــاءِ كــوثَرَهُ ... بالدينِ والعلمِ مُذْ سارت بـه الكُتُـبُ
وفي الـصلاةِ عـلى خـير الـورى نَـسَبٌ ... وفيـه صِـهْرٌ لمـن قـد فَاتَـهُ النـسبُ

أخوكم ومحبكم راجي عفو الكريم

معوض عوض إبراهيم

المطرية – القاهرة

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

---

(١) إشارة إلى مولانا فضيلة دكتور حسن عباس زكي رحمه الله تعالى.

القصيدة الثانية:

فضيلة الأستاذ الجليل الدكتور علي جمعة، مفتي مصر وفقيه العصر، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، فإني أُهديك هذه الأبيات تقديرا لما هداك الله تعالى إليه، وأعانك عليه ذكورا واصلا للقدس الشريف، مع خالص التحيات:

١ - تباركَ من أولى عليَّ اليد الطولى ... وبلغ مفتى مِصرَ قبلتنا الأولى

٢ -غداةَ أتى الأقصى المباركَ راغباً ... فأضفى عليه المقدسيون إكليلا

٣ -فرائدُه الياقوتُ والدرُ خالصاً ... إذا لم يكن من ثاقب النَجم مجبولا

٤ -وجاء إلى مهد النبواتِ واحداً ... فأبصرَهُ الأهلون إذ جِاءهم جيلا

٥ -ووافَى فلسطينَ الذكورُ مبشراً ... بنصرٍ على من كاد يجتثُّها غُولا

٦ -وما الغولُ من صهيونَ إلا حبالةً ... لإبليسَ رأسِ الشرِ لازال مرذولا

٧ -وصَلَّى رعاهُ اللهُ فرضينِ جامعاً ... بني القدسِ لن يُنسى ولم يكُ معزولا

٨ -وحيَّوهُ بالقرآن يتلون آيَهُ ... ويتلواْ سواهمْ ما تيسرَ إنجيلا

٩ -ومن ذَكرَ الرحمنَ بالحق صادقاً ... يجِدْ نصَرهُ أَمنَا ويُمنىً ومأمولا

١٠ -فيالائِمي المفتي وقد جاء زائراً ... إلى القدس والمهدِالذي عاش مأهولا

١١ -بآثار موسى والمسيحِ وأُمهِ ... وإرثِ خليلِ اللهِ نصاً ومعقولا

١٢ -ولا لن يكون المهدُ طُعمةَ صهيونِ ... ولا أن يُرى - والله أكبرُ - مخذولا

١٣ -أَيُخذَلُ ما قد كان مسرى محمدٍ ... ومِعراجَه حيثُ الصلاةُ له تُولى

١٤ - لِيلْزَمَها والمسلمينَ ركيزةً ... لدينٍ قويمٍ ليس يعرفُ تبديلا

١٥ -بَقِيتَ أبا الإفتاءِ كهفَ معارفٍ ... وبحرَ مُرُوءاتٍ وأحسنَ تأويلا

١٦-ودُمتَ عليَّ القدرِ مِنْبَرَ حِكمـةٍ ويـنبـوعَ عرفـانٍ وبـالله موصـولا

أخوكم ومحبكم راجي عفو الكريم

معوض عوض إبراهيم

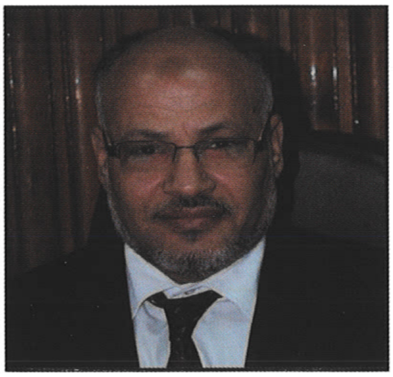
المطرية – القاهرة

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

***

الفقيه الأصولي والمجتهد المجدد[١]

بقلم د. إبراهيم صلاح الهدهد



رئيس جامعة الأزهر سابقا - مصر
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

كنت أعرفه فقيها أصوليا، أزهري المنهج والطريقة، ولما عملت نائبا لرئيس جامعة الأزهر لشئون التعليم والطلاب زمنا، ثم كلفت بإدارة جامعة الأزهر زمنا، عرفته ذا همة عالية، وقلب وسيع للعمل الصالح، يجمع ما جمعه الله فيما قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ فرأيت فيه الخصلتين القول الطيب والعمل الصالح، وأذكر بعض المواقف مما كان لي معه.

منها: أن أحد الموظفين بالجامعة توفي، وكان عليه قرض استدانه من أجل أسرته، والدين هم بالليل مذلة بالنهار، لكنها شدة الحاجة مع عظم الفاقة، وكان مقداره خمسة عشر ألف جنيه مصري، فقصدوني لحل الإشكال لهم، وكان المبلغ يمثل أزمة كبيرة بالنسبة لهم؛ لأن أكثر من نصف الراتب النحيل أصلًا يذهب لسداد القرض مع كثرة العيال، فهاتفته فلم يتردد- حفظه الله- في الجواب، وقال لي: أرسل أحد الثقات لي غدًا لتسلم المبلغ المطلوب لسداد القرض، وقد كان فصارت الأسرة أسعد الناس، إذ أذهب الله بعمل الشيخ كربهم وأزال غمهم.

وموقف آخر- من بعد أن منَّ الله عليَّ بالفداء من أسر المنصب، ونصبه، وهمه وكربه، فصرت حرًّا من بعد رِقٍّ والحمد لله على جزيل نعمه- قصدني طالب

(١) الكلمات مرتبة ألف بائيا.

هندي في الدراسات العليا، تراكمت عليه المصروفات، وأوشك حلمه على الذهاب من إتمام رسالته، حيث كانت ستنتهي إقامته لعجزه عن السداد، وهو عندي من أفضل طلاب العلم، غريب وابن سبيل، وطالب علم يتفطر القلب إشفاقًا على ضياع مثله، فحضرني على الفور اسم العلامة فكتبت للطالب ورقة، فذهب بها إلى حيث مستقر الشيخ بمدينة أكتوبر- عمَّر الله به المكان- فجبر خاطره، وأعطاه المبلغ فعاد الطالب مجبور الخاطر، ونوقش ومنح الرسالة بتقدير ممتاز والحمد لله، وأذكر أنه بعد هذا الأمر بقليل تعرض الشيخ لحادث كاد له فيه الحاقدون، وأرادوا إزهاق روحه، فحفظه الله بحفظه على الرغم من شديد كيدهم، فحضرتني مقالة الصالحين جبر الخواطر ينجي من المخاطر، وقد ذهبت بعد الحادث الفاجع مهنئا الشيخ على نجاته من أيدي الغدرة الفجرة، فوجدت الشيخ- كعهدي به- رابط الجأش حامدا شاكرا، لاهجا بالرضا بالقضاء فرحا بنصر الله.

وقصدته- كرة من بعد كرات- حينما ابتليت بالمنصب في شأن أبنائنا وبناتنا المتمتعين ببصائرهم عوض أبصارهم في إعانتهم على استذكار دروسهم بما لايحتاجون معه إلى غيرهم، فدفع إليّ بأحد رجالاته، فأنشأ مركز إبصار بكلية أصول الدين بالقاهرة لتدريب الطلاب المكفوفين على استذكار دروسهم بالحاسب الآلي، عبر برامج خاصة، وغير ذلك من الخير الذي يطول ذكره.

والشيخ- حفظه الله- يسبق الزمن ويسابقه، فعن طريقه وبإشرافه منذ أكثر من خمسة عشر عاما أنشأ قناة الأزهر الإلكترونية التي بثت دروس أكابر علماء الأزهر في شرح كتب التراث، وكان الفقير إلى الله ممن بُثَّت دروسه في شرح دلائل الإعجاز، مما مكَّن طلاب العلم وأهله في بقاع المعمورة من التزود بالعلم الأصيل من أهله في التفسير وعلوم القرآن والعقيدة، والحديث وعلومه، وعلوم الوسائل،

ورؤية حجم المشاهدات لهذه التسجيلات يدل على قبول العمل، ثم إن الشيخ رأى ببصيرته أن العلم قد يندثر باندثار أهله الكبار، فأنشأ مشروع حفظ التراث الإسلامي، وأعدت قائمة كبرى لكتب التراث التي تعد أصولا في كل العلوم، من فقه أكبر وفقه أصغر، وعلوم الوسائل والمقاصد، ثم انتدب لها أعيان العلماء في زماننا لشرحها وبسط القول فيها وتسجيلها صوتًا وصورة ليبقى ذلك الشرح بقاء الزمان، وهو من جليل الخدمة للعلم وطلابه، وصيانته وحمايته، وما ذكرته قل من كثر، فجليل أعماله فوق الحصر، نسأل الله أن يديم على الأمة عطاءه.

ومما أذكره أن الشيخ العلامة متوقد الذكاء واسع الحفظ كثير الاطلاع، كثير المدارسة، ما حضرت مجلسا يجمع العلماء الكبار، تذكر فيه مسألة من مسائل العلم في أي فن إلا رأيت حضورا عجيبا في المسألة المعروضة، وكأنه- حفظه الله- يقرؤها من كتب مفتوحة أمام عينه، مع عرض عجيب وإسهاب ماتع أخَّاذ.

أما عن مصنفاته: فهي تمتاز بميزتين مهمتين جدا تحديد المقصد بعناية، وإصابة الهدف بوضوح، كما أنها تجمع بين الإمتاع والإقناع.

أما عن فتاواه: فسمتها الاجتهاد، وقد سمعته ذات مرة في برنامج والله أعلم في جواب عن سؤال لسائل مسيحي، وقت تفجير كنيسة الكاتدرائية من الفجرة الغدرة الذين لا يرقبون الله ورسوله في معاملة أهل الكتاب المصريين المواطنين، ولا يدركون خطر الإساءة إلى دور العبادة لغير المسلمين، والذين استساغوا سفك الدماء لمجرد الخلاف في الدين تارة، أو في الرأي تارة، فخربوا في البلاد وسعوا في الأرض مفسدين- الشاهد أن السائل المسيحي سأله سؤالا: هل من قتل في هذا الحادث من المسيحيين يعد شهيدا، فأجاب الشيخ غير متلعثم إجابة شرعية سديدة ومقنعة، حيث قال له: لو سألني مسلم هذا السؤال لأجبته بما جاءت به

شريعتي، فعليك أن تسأل القسيس ليجيبك بها في دينكم.

كما أنه وقت التشغيب على آيات المواريث، وزعم بعضهم بأنها عبارة عن وصايا، والمسلم حر في الأخذ بالوصية من عدمه غفلة أو عمدا عن قوله تعالى- فيما ختمت به آيات المواريث ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ اتسم خطاب العلامة أ.د/ علي جمعة بالوضوح ونصاعة البرهان وقوة الحجة قائلا: لا شأن لنا بغيرنا من الدول لأن دستورنا ينص على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع، وغير ذلك من الكلام المقنع في غير تجريح ولا تشهير، مع اتسام بالاحتياط الشرعي في الفتوى وحرص على حراسة شرع الله.

وفي أثناء توليه مفتيا أصدرت دار الإفتاء المصرية فتوى بحرمة توريث الحكم، وكان وقتها يتولى الحكم الرئيس محمد حسني مبارك، وبينت الفتوى أن حكم مصر لابد أن يكون بالانتخابات، وأن الالتزام بالدستور ونظام الدولة المتفق عليه بين أفراد الشعب هو أمر واجب شرعا.

ومن ذلك أيضا: أن التظاهر من وسائل الاعتراض الجماعي التي عرفها المسلمون في أزمنة وأماكن مختلفة قديمًا، وكانت تُستعمل مع الولاة أحيانًا، وأحيانًا مع المحتل الغاصب، فالأصل في طلب الحاجات من الحاكم أنه مشروع؛ لأن مهمة ولي الأمر هي قضاء حوائج الرعية، وبالتالي فإن التظاهر لهذه الغاية مشروع؛ لأن الوسائل تأخذ حكم غاياتها ومقاصدها، وحماية المظاهرات السلمية جزء من واجبات أجهزة الدولة، وهناك مجموعة من المعايير الشرعية التي يقاس بها الحكم الشرعي لكل حالة على حدة، وأنه بالرغم من أن الأصل هو الجواز، إلا أن الحكم يختلف باختلاف التزام التظاهرة أو الاعتصام بتلك الضوابط الشرعية بالكامل أو بُعده عنها.

ودائما تلقى الشيخ في مستصعب الأمور والنازلات معبرا عن شرع الله أصدق تعبير، وترى له في الفتاوى ذات الصلة بالمعاملات رأيا فقهيا متميزا، ويرجع ذلك لتميزه عن أقرانه من أكابر أهل العلم بالوعي بعلوم المحاسبة والرياضيات والإدارة، إلى جانب علمه بالفقه وأصوله، وعلوم الوسائل، وكثرة رحلاته ومشاهداته واطلاعاته، بما جعله فقيهًا مجتهدًا يصدر في رأيه الفقهي عن تصور واضح للأمور وتنزيل الفتوى على واقع الحال.

وهو مع كونه من أهل الظاهر فقها وشريعة، هو من السالكين في الطريق إلى رب العالمين، فقد تلقى السلوك سندا على أشياخ العصر وسادة الزمان، من أمثال المربي الشيخ محمد زكي إبراهيم وغيره، حتى صار رأس الطريقة الصديقية.

وقد اتسم نتاجه العلمي بالوفرة والتنوع، فمما كتبه الشيخ: ختان الإناث ليس من شعائر الإسلام- النقاب عادة وليس عبادة- الإفتاء بين الفقه والواقع- أثر ذهاب المحل في الحكم- رسائل ابن نجيم الاقتصادية المسماة الرسائل الزينية في مذهب الحنفية - الأوامر والنواهي عند الأصوليين- التربية والسلوك- المتشددون- موسوعة فتاوى المعاملات المالية للمصارف والمؤسسات المالية الإسلامية، وغير ذلك من الكتابات الدقيقة والتحريرات الزكية أمد الله في عمره ونفع بعلومه اللهم آمين.

***

صاحب الباقيات الصالحات في كافة المجالات

بقلم د. أحمد ربيع



عميد كلية الدعوة الإسلامية الأسبق بالأزهر الشريف – مصر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فمن الدعوات المباركات دعاء أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]، وقد استجاب الله سبحانه وتعالى لهذا الدعاء فظل ذِكْر نبيِّه على كل لسان، خاصة في التشهد الأخير من الصلاة، وفي صلاة الجنائز، وغيرها.

وعلى النسق ذاته ينبغي للمسلم أن يكون له من العمل الصالح الخالص لله ما يجعل الألسنة تذكره بالخير في حياته، وبعد مماته، ويبقى أثره طيبا على ألسنة الخلق، ويكون له الجزاء الأوفى من رب الخلق.

وشيخنا العلامة الأستاذ الدكتور علي جمعة له كثير من الباقيات الصالحات التي سيبقى أثرها في نفوس تلامذته ومريديه، ولن أتحدث عن جهوده الدعوية والعلمية وارتقائه بدار الإفتاء المصرية لأني أعلم أن غيري من السادة العلماء والمريدين لديهم بضاعة أفضل من بضاعتي في هذا الأمر؛ ولذا آثرتُ أن تكون كتابتي عن بعض المواقف التي عايشتها بنفسي:

الموقف الأول:

في عام ١٩٩٣م تعرَّض أحد شيوخنا وأساتذتنا الأجلاء- ولن أذكر اسمه

حِفْظًا لكرامته- لمحنة شديدة؛ إذ ألمَّ به مرض عُضال، احتاج فيه إلى الغسيل الكلوي، وإلى جرعات علاجية مكلفة على نفقته- نظرا لظروف خاصة- وكانت كتبه حبيسة المخازن لا يوزع منها شيء، فتمَّ عرض الأمر على شيخنا الدكتور علي جمعة بواسطة أخي وصديقي الدكتور محمود عبد الرحيم الصاوي- حيث كانت له به صلة- واستجاب شيخنا الدكتور علي، ولعدم إحراج شيخنا صاحب المحنة قرر شراء مجموعة كبيرة من الكتب بأكثر من ثمنها ليذهب عائدها إلى الشيخ دون إحراجٍ لمشاعره، وكان المبلغ الذي أعطاه لنا ثمانية وعشرين ألف جنيه، أعطينا لصاحب المطبعة الأستاذ حسن رشوان حقه في الطباعة، وأعطينا شيخنا باقي المبلغ، وكل من لديه معرفة بالحساب، وتغيير قيمة العملة يعرف كم يساوي هذا المبلغ الآن.

الموقف الثاني:

لما توليت عمادة كلية الدعوة في ٢٧/٩/٢٠٠٧م الموافق ١٧ رمضان ١٤٢٨هـ وكنا نصلي القيام في مسجد الزهراء- مقر كلية الدعوة حينئذ حيث كان يؤمنا في الصلاة فضيلة الشيخ عبد الحكيم عبد اللطيف رحمه الله تعالى- وحضر شيخنا الدكتور علي جمعة لإلقاء خاطرة بين ركعات القيام، وبعد تمام الصلاة دخلنا المكتب الخاص بعميد الكلية، وكان معنا فضيلة الشيخ عبد الحكيم عبد اللطيف، وفضيلة الدكتور جمال فاروق، وأخبره الدكتور جمال فاروق بإسناد العمادة لشخصي، فقال الشيخ علي بلهجته الجميلة وهو يهز رأسه: وناوي تعمل إيه يا عم أحمد؟ فقلت: أول شيء أريد فعله هو وصل جيل الشيوخ بجيل التلامذة. فقال: كيف؟ قلت: عن طريقين هما:

أ- تدريس الشيوخ للطلاب.

ب- تقرير كتب الشيوخ على الطلاب، وشرحها، ودخولها كمقررات دراسية.

أما الطريق الأول، ففضيلتكم تدرس لطلابنا الفقه أو أصول الفقه، فقال: وهل تسمح الجامعة بذلك؟ قلت: أحاول، فقال: إذا رفضوا فلا تخبرني بالرفض، واتفقنا على ذلك، وبالفعل استطعنا الحصول على موافقة الجامعة، وتم تفريغ يوم السبت من كل المحاضرات لتكون محاضرة الشيخ في صحن المسجد؛ ليحضر من يرغب من الأساتذة وطلاب الفرق الأربع محاضرة الشيخ.

ورغم تحذير أحد إخواننا من الأساتذة من كثرة غياب الشيخ عن المحاضرات لثقل مهامه وكثرة سفره، إلا أني أشهد الله أنه ما غاب عن محاضرة طيلة أربعة فصول دراسية إلا محاضرة واحدة أعلمنا بها قبلها بأسبوع نظرًا لسفره، وكثيرًا ما جاء من المطار إلى الكلية مباشرة، وأسجل أيضا حرص كثير من أعضاء هيئة التدريس، والهيئة المعاونة على حضور محاضراته.

وقد درس الشيخ ما يلي:-

١ - مادة: (الفقه المقارن)، وأحضر ألفي نسخة من كتاب (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) لابن رشد، لتوزع على كل طلاب الكلية، وقبل انتهاء الفصل الدراسي، وفي محاورة بينه وبينهم سألهم: هل قرأتم كتاب المدخل إلى الدراسات الفقهية؟ فقالوا لا، فأحضره ووزعه عليهم مجانًا.

٢- مادة: (أصول الفقه)، وأهدى كتابه في أصول الفقه لطلاب الفرقة.

٣- مادة (السيرة النبوية)، وقرر كتاب (الشفا في التعريف بحقوق المصطفى) للقاضي عياض، وأهدى الكتاب لكل طلاب الفرقة.

٤- مادة (التصوف)، وقرر كتاب (الرسالة القشيرية)، وأهدى الكتاب لكل طلاب الفرقة.

عامان كاملان والكلية تَشْرُف بحضوره، والطلاب في فرحة غامرة بلقائه، وكانوا يودعونه حتى باب السيارة.

الموقف الثالث:

(أنت مستفقرني ولا إيه؟!) عبارة قالها لي سماحة المفتي، وأصبحت على لساني لكل من يطلب مني طلبا أقل من المتوقع، ذلك أني ذهبت إليه في مكتبه بدار الإفتاء بصحبة الدكتور جمال فاروق في أكتوبر ٢٠٠٧م، لنخبره بموافقة الجامعة على انتدابه لتدريس مادة (الفقه المقارن)، وللتشاور في إهداء كتب الشيوخ، فسأل من تقصدون من جيل الشيوخ؟ فقلت: الشيخ دراز، والشيخ الصادق عرجون، والشيخ الغزالي، والشيخ رءوف شلبي، وأمثالهم، وأخبرته أن أحد المحسنين تبرع بطباعة ألف نسخة من كتاب (الدعوة في عهدها المدني) للدكتور رءوف شلبي رحمه، فقال فضيلته: سأهديكم كتاب (مع الله) للشيخ الغزالي، وكتاب (النبأ العظيم) للدكتور دراز، وقال كم نسخة تطلبون؟ فقلت: ما يجود به فضيلتكم فقال: حدد الكمية؟ فقلت على استحياء خمسمائة نسخة فقال بلهجته الجميلة: (أنت مستفقرني ولا إيه؟!) وأخبرنا بإمداده لنا بألف نسخة من كل كتاب، وخرجنا من عنده فرحين مسرورين، ووصلت الكتب ووزعت على الطلاب.

وكان عمل فضيلته مشكورًا، ظل أثره باقيا إلى اليوم يتذكره الطلاب الذين أصبحوا الآن من أعضاء هيئة التدريس، وقد طلبت من بعضهم الكتابة عن هذه الفترة الجميلة؛ لتوثيق كلامي، وليكونوا شهداء على هذا العمل الصالح الباقي، وهذه بعض النماذج.

النموذج الأول: الدكتور/ أحمد حسن على عمر، المدرس بقسم الثقافة الإسلامية بكلية الدعوة، وكان مدرسا مساعدًا في تلك الفترة، وكان حريصًا على حضور

محاضرات فضيلة المفتي الدكتور علي جمعة، كتب يقول:

«الأستاذ الدكتور علي جمعة صفحة من صفحات فيضه في كلية الدعوة -إبان عمله بدار الإفتاء- أخذ على عاتقه النهوض بالفكر الدعوي من خلال مادة مهمة يدرسها وهي مادة أصول الفقه، لطلاب الفرقة الرابعة، وهم يودعون الحياة الجامعية ليستقبلوا حياة أرحب مصقولة بالتجارب والقضايا، وقد كان موسوعة في شتى العلوم والمعارف تجده نحويًّا محلى بألفية ابن مالك، فقيهًا مفصلًا للمذاهب الأربعة في آن، مجملا لها في آن آخر، مفسرًا بالمأثور، مضيفًا للتفسير بالرأي، بالإضافة إلى روح التصوف الذي يربي عليه تلاميذه، وهو قبل ذلك أشعري المذهب وسطي الاتجاه.

كان لا يتخلف عن طلابه رغم مشاغل دار الإفتاء الكثيرة، فلم يؤثر عنه غياب، وقد عمد في تدريس أصول الفقه إلى أن تكون لدينا الملكة في استنباط الأحكام، ومعرفة استمداد الحكم الشرعي، والعلل في أقسامه وأنواعه، ولم يرد منا المعرفة فقط، فقد كان يطمح معنا إلى التطبيق.

وقد كانت فترة عامرة ركز فيها عميد الكلية الأستاذ الدكتور أحمد ربيع يوسف على العلم ونشره باستقدام أعلام العلماء الراسخين، كفضيلة المفتي الأستاذ الدكتور علي جمعة بارك الله في علمهما وعملهما آمين يا رب العالمين».

النموذج الثاني: الأستاذ/ عبد الغفار عبد الرءوف، المدرس المساعد بقسم الثقافة الإسلامية، وهو الآن في انتظار موعد تحديد مناقشته في رسالة العالمية (الدكتوراه) كتب يقول:

«يتشوَّف الطالب وهو في الثانوية إلى أنْ ينتقل إلى الحياة الجامعية، ويرى أنها القنطرة التي ينطلِق منها إلى المجتمع؛ حيث العمل، وتحقيق الذات، وبناء الأسرة،

إنها بداية المستقبل! فيما ضربه عليَّ تطلُّعي وطموحي.

وبالفعل صعدتُ إلى الثانوية في عام ٢٠٠٦م، وبما أنَّ لكل مرحلة علمية طابَعًا خاصًّا فمنذ أول يوم قدمت فيه إلى (المدينة الجامعية) لإنهاء إجراءات السكن الطلابي، رأيت صراعًا محتدِمًا بين جماعاتٍ شتى، كل منها يحفِدُ لجذب طالب غِرٍّ غير مجرِّب إلى جماعته، فهذا يُساعِدك في خطٍّ ورقك، وذاك يعْرِض عليك مساعدته، وهذه الأفعال في ذاتها ليس فيها مذمة أو عيبة، إلا أنك تَسْترِيب حينما يطلب منك أحدهم أن تحضر معه درسًا للشيخ الفلاني دون غيره، ويُحذِّرك آخر من عقيدة الأزهر؛ لأنها عقيدة أشعرية، ويطلب منك ثالث أن تعاونه على مخاصمة ولي الأمر.

هذه الحالة من التجاذب والتدافع بين التيارات أو الجماعات صنعتْ لديَّ بعض يأس واضطراب، وتساءلت: مَنْ الذي يعصمني من هذه التيارات الجارفة، وقد صُنِعت لها شهرة وذيوع؟ والحق أن الذي عصمني وأدركني أمران:

الأول: شيء تميزتْ به الكلية- كلية الدعوة الإسلامية- ويُسمى (الموسم الثقافي)، وفيه تأتي بعالِمٍ يتكلم في قضية شائكة، ولا أكون مغاليًا إن قلت: إن أثر تلك اللقاءات الثقافية يضاهي أثر الدراسة النظامية من حيث حماية الفكر الوسطي من الاختراق والاندثار.

الثاني: شيء حرصت عليه الكلية إبان عِمادة فضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد ربيع أحمد يوسف، فكان من سياسته التعليمية أن يستجلب أكابر العلماء للتدريس، ومن هؤلاء فضيلة الأستاذ الدكتور/ علي جمعة، والأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم.

وممن درَّسني: فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة، وقد أثَّر فينا أي أثر، ومما

راعى انتباهنا في تدريسه أنه كان يحرص على بثِّ طريقة الأزهر في التعليم، ولم يُعنَ بمجرد تلقين المعلومات؛ فالمعلومات أمرها سهل، لكن ما يُؤثِّر في الطالب، وربما غيَّر مجرى حياته كلها وقلبها من حال إلى حال هو أمر المنهج، وأضرب لك شيئا من كلامه لا يزال صدى صوته يتردد في أذني، وهو أنه كان يدرس لنا المعاملات من كتاب (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) لابن رشد- وقد وزعه على الفرقة كلها من ماله الخاص- فقرأ العنوان، وكان: (كتاب البيوع) وتريث أمامه قائلا: كيف تقرأ هذه الكلمات؟ أبالرفع فتقول: (كتابُ البيوع)؟ أم بالنصب؟ أم بالجر؟ وذَكَرَ وجه الإعراب في كلٍّ، وكان يمكث المحاضرة كلها ربما في شرح سطرين، حينئذٍ عرفنا الفرق بين بناء العالِمِ في الأزهر الذي يأخذ عشرات السنين، وربما يفنى العمر كله حتى يكون الطالب عالما، وبين طريقة أولئك الذين لا تُكلفهم صناعة العالم سوى ست ساعات! ثم يخرج بعدها ثائرًا وطاعنًا في أعلام الأمة الإسلامية بما فيهم أصحاب المذاهب الفقهية، ويلوك لسانه قائلا: نحن رجال وهم رجال!

وفي قضية فوائد البنوك، ما زلتُ أذكر أن فضيلته بيَّن لنا أن الفتوى تتكون من ثلاثة أركان، هي: معرفة النص، وإدراك الواقع، وإنزال النص على الواقع. ومن ثَم أخذ يذكر تاريخ العملة البنكية، وأن كل جنيه كان يقابله مثله من الذهب حتى حدث تضخم، وأن هناك علم يُسمى بعلم (النُّمِّيَّات) خاص بهذه المسألة، وأن لكل حادثة فتوى. ساعتها عرفنا أن النص وحده لا يكفي في الفتوى، وأن الفتوى صَنْعة، لا يقدر عليها أي أحد.

ومن بركات تدريسه أنْ أدركنا أن الدراسة النظامية لا تكفي في بناء عالِمٍ، بل لابد من دراسة الكتب الأزهرية المقررة في كل فن، وكان للأروقة في الجامع

الأزهر ساعتها دويٌّ كدوي النحل، فذهبنا إليها فوجدنا تلاميذه يدرسون الفقه والأصول والتوحيد وعلوم الآلة بطريقة لم نعهدها من قبل، وإن واجهتنا صعوبة التوفيق بين الانتظام في تلك الأروقة والانتظام في الدراسة بالكلية.

وفي الجملة:

١ - فقد وجدنا- إبان تدريس فضيلته لنا- أنفسنا تسترِد حُشاشتها المتبقِّية التي اخترقتها- شئنا أو أبينا- الجماعات الناقمة على الأزهر.

٢ - أيقنا أن العالم الأزهري لا يخرج من مجرد الدراسة النظامية التي بعدت عن الطريقة الأزهرية في تدريس العلوم الشرعية والعربية.

٣- عرفنا الفرق بين الكتب التي تصنع عالما وبين الكتب التي هي عبارة عن نَسْخ وسلخ.

٤ - أدركنا الفرق بين العالِم وبين جامِع المعلومات المتناثرة التي لا يجمع بينها جامع.

٥ - وإذا كانت (الهداية) هي: الدلالة على طريق يُوصل إلى المطلوب، وصل أو لم يصل في الأصح، فيكفي فضيلته أنه دلنا على الطريق الذي ضُللنا عنه.

وكل هذا الفضل يرجع إلى فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد ربيع الذي عرَّفنا على هؤلاء الأعلام؛ لما لمسناه من حرصه على حماية طلابه من لصوص الفكر، وقُطَّاع طرقه».

النموذج الثالث: الأستاذ/ إبراهيم منصور، المدرس المساعد بقسم الثقافة، وهو الآن في انتظار موعد تحديد مناقشته في رسالة العالمية (الدكتوراه)، كتب يقول:

«ما إن يتم استقدام شخصية علمية لها وزنها وريادتها؛ لتدريس العلوم الشرعية الأزهرية، حتى يتحقق النفع العميم للطلاب والحاضرين، وإن الشخصيات من هذا النوع، حيثما حلوا حلَّ معهم نفع كثير للعلم وطلابه، بل عمت بركاتهم أهل

المكان أجمعهم، بل والضيوف النازلين، ليصدق عليهم الحديث «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم». ومن مظاهر هذا الخير العميم، والذي يختلف عما عهده الطلاب في تدريس المواد الشرعية، أن حضور الدكتور/ علي جمعة لتدريس مواد (أصول الفقه، والفقه المقارن، والتصوف الإسلامي، والسيرة النبوية) لدفعات متفاوتة في كلية الدعوة الإسلامية، ينطبق عليه معاني الخير والنفع؛ حيث:

١- كان الشيخ يصطحب معه الكتاب الذي يقوم بتدريسه، وكان هذا يغرس في الطلاب تقدير قيمة كتب التراث، بل والسعي لاقتنائها، وتقدير قيمة العطاء العلمي الخالص.

٢- كان الشيخ يخلق جوًّا من المرح الذي يزيل الهيبة عن طريق أسلوبه الذي يجمع بين التربية والتهذيب والتوجيه.

٣- كان الشيخ يخلق جوًّا من التنافس والتحفيز بين الطلاب أثناء المحاضرة، فقد كان يلقي الأسئلة، ويضع مكافأة لمن يجيب إجابة صحيحة، حتى وإن كثُر عدد المجيبين.

٤- كانت الأسئلة التي يوجهها الطلاب للشيخ فاتحة خير على الدفعة بأكملها؛ حيث وعد الشيخ بإحضار كتاب يوزع على الدفعة بناء على تساؤل صدر من أحد الطلاب.

٥- كان حضور الشيخ في الكلية دافعًا لتتبع محاضراته خارج الكلية، بالإضافة إلى العلوم الأخرى التي تدرس في الجامع الأزهر الشريف.

٦- رسخ الشيخ في الحاضرين -باعتبار حداثة سنهم- عدم الاندفاع والتسرع أثناء طلب العلم، فليس كل من قرأ كتابا أو كتابين صار عالما يناطح العلماء، بل كان تجربته الشخصية ماثلة أمام الطلاب يؤكد عليها في كل محاضرة؛ حيث أخبرنا

أن لديه حوالي ست شقق سكنية مليئة بالكتب في شتى التخصصات، كما أخبر في إجابته عن بعض الأسئلة أنه قرأ كتاب (سير أعلام النبلاء) كاملا، أكثر من مرة، بما يدفع الشباب للتريث، واستشعار وعورة طريق العلم».

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم

***



العالم العامل النحرير الذي أفاد الأمة

بقلم د. أحمد سامر قباني



وكيل وزارة الأوقاف السورية

قصتي مع سيدي:

الإمام نور الدين علي جمعة محمد عبد الوهاب مفتي الديار المصرية السابق، وعضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف حفظه الله وأمتع الأمة بحياته وعلمه.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

في تسعينيات القرن الماضي كنت قد تخرَّجت من جامعة الأزهر - كلية الشريعة، وعقب ذلك زار وفدٌ من جامعة الأزهر دمشق الفيحاء يضمُّ عددًا من السادة عمداء الكليات ونائب رئيس جامعة الأزهر، وكان في هذا الوفد سيدي الدكتور علي جمعة حفظه الله، وتلخَّصت الزيارةُ في التركيز على المعادلة بين قسم التخصص في معهد الفتح الإسلامي وجامعة الأزهر، وزيارة القاعات الجامعية، وترتيب الأمور الإدارية بين الجانبين، وحينها رأيتُ في هذا الوفد الجليل عالمًا كبيرًا يناقش في الجلسات العلمية - التي كانت على هامش هذه الزيارة - بأسلوبٍ ممتعٍ أخَّاذٍ مقنع في المسائل الفقهية والأصولية أوحى إليَّ بتجديدٍ في عرض المسائل الأصولية والفقهية بأسلوبٍ سهلٍ مرَّتبٍ ينساب في عقلي، مع سعة اطلاعٍ عجيبة، وعَرْضٍ للأقوال مع ذكر أصحابها وحججهم وآرائهم في نمطٍ لم أعتَدْ مثلَهُ من قبل، فأخذ بلبِّي ومجامع فكري.

إنه سيدي الدكتور علي جمعة حفظه الله، فطفقت أسأله عن بعض المسائل

الشائكة التي كانت تُشْكل عليَّ، فشرحها لي ببساطةٍ حتى استقرَّت في عقلي من البدهيات، وحينها سألني أنا وأخي الدكتور خضر شحرور عن المكتبات في دمشق وعن الكتب النادرة، ومن يبيعها؟ وما المكتبات التي تُعْنى بها؟ فأجبناه، فقال: لي زيارةٌ قريبةٌ لدمشق إن شاء الله تعالى سنزور خلالها المكتبات والأولياء والصالحين وأضرحة ومقامات أهل الله.

بعد فترة وجيزة زارنا سيدي الإمام في دمشق فأكرمني الله أنا وأخي الدكتور خضر شحرور برفقته وصحبته التي لا تُقَدَّر بثمن - لا تقدَّر بثمنٍ لأنها كانت في كل دقيقةٍ منها علمًا نافعًا وثقافةً في شتَّى نواحي الحياة وحالًا عجيبًا مع الله عز وجل، وكأننا في روضة من رياض الجنة - زرنا سيدي محيي الدين ابن عربي، وسيدي الشيخ خالد النقشبندي، وسيدنا يحيي عليه السلام في الجامع الأموي، وسيدي الشيخ العلامة عبد الرزاق الحلبي شيخ الجامع الأموي بدمشق في مكتبه، ولأول مرةٍ أرى سيدي الشيخ عبد الرزاق يُصِرُّ على تقبيل يدِ واحدٍ من العلماء بعد أن قبَّل يده سيدي الدكتور علي جمعة، فتبادلا تقبيل الأيدي، وكان يهتم به اهتمامًا خاصًّا ويتبسم له في الجلسة كلها، وبعد ذلك شددنا الرحال إلى مكتبات دمشق في حيِّ الحلبوني بدمشق، فقصدنا مكتبة البيروتي وكان فيها الكتب النادرة، فكان سيدي يسأل أخانا الشيخ محمود البيروتي عن كتبٍ نادرةٍ قلما سمعت بها أو بمؤلفيها، وطلب منه تأمينها ليأخذها معه إلى مصر المحمية.

وتواعدنا في صباح اليوم التالي على أن نذهب إلى محافظة درعا - مدينة نوى لنزور الإمام النووي رحمه الله، وكان سيدي قد جلب معه من المكتبة عددًا كبيرًا من الكتب، وكانت المفاجأة عندما ذهبنا صباحًا بعد الفجر لنأخذه من الفندق أن سألناه عن الكتب التي أخذها معه هل سُرَّ بها؟ فقال: قرأت مقدماتها كلها

واطَّلعت على فهارسها كلها، وقرأت منها الكثير من المواضع التي كنت أهتمُّ لها، والمسائل التي كنت أبحث عنها، فذُهِلنا لأنها كانت أكثر من سبعين كتابًا.

نَعَمْ، تعلَّمنا من سيدي الحرص على الوقت، كلَّ دقيقةٍ منه، الجلسة معه يجب أن تكون لذكر الله عز وجل أو للصلاة على سيدنا محمد ﷺ أو للعلم ومدارسة المسائل، وبين ذلك كله روحُ الدعابة لئلا نسأم، تعلمنا منه إذا دخلنا إلى أيِّ بلد أن نزور أضرحة ومقامات الأولياء والعارفين، ونبدأ زيارتنا لهذه البلدة بهم، وأن نزور مكتباتها ومراكزها العلمية، وأن نجتمع بعلمائها وجهابذتها، فالتقى أستاذَنا العلامة الشهيدَ السعيدَ - كما سمَّاه سيدي الإمام - الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي شهيد المنبر والمحراب، وكان بينهما توافقٌ كبيرٌ، ومودَّةٌ عظيمة، ومنهجٌ واحدٌ لا يزيغ عنه إلا هالك، وكان يسأل باستمرار عن سيدي الدكتور وهبة الزحيلي صاحب التصانيف الكثيرة وعن أعماله الجديدة رحمه الله.

في طريقنا إلى نوى مسقط رأس سيدي الإمام النووي - والرحلة تستغرق ساعةً على الأقل - سألته عن مسألة أصولية فشرحها لي، وفي العام الذي بعده زار دمشق ومعه زوجته وذهبنا إلى نوى، وفي الطريق سألته عن المسألة نفسها؛ لأنني لم أستوعب - بسبب فهمي السقيم - جزئياتها، فقال لي: يا شيخ أحمد في العام الماضي وفي نفس الطريق إلى نوى سألتني عن نفس المسألة، فقلتَ: كذا وكذا، وأجبتُك بـ كذا وكذا، فقلتُ: صدقتم سيدي ما شاء الله!!! ما هذه الذاكرة العجيبة؟! يذكر الشيخ تلاميذه وأسماءهم وأسئلتهم!!! وما أجابهم به!!! عجيب.

فذكرتُ له بعض الجزئيات التي أشكلت عليَّ فأجابني عنها ثانيةً بكل رحابة صدر.

علَّمنا سيدي: الاهتمام بطلابنا وأن ننظر في شؤونهم المادية وأن نقضي حوائجهم وأن نتابعهم في التحصيل العلمي كما كان يتابعنا، فهو الذي شجَّعني

على إتمام الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) وتكرَّم عليَّ بالإشراف على بحث الماجستير والدكتوراه، ولا أنسى عندما عدْتُ للتسجيل في جامعة الأزهر لتجديد الانتساب وكان قد تراكم رسومٌ مالية بأكثر من ثلاثين ألف جنيه مصري، وأرسل معي صهره المكرَّم لتجديد التسجيل قال لي صهرُهُ: يجب أن نمرَّ أولًا على البنك، فقلت: لماذا؟ قال: لنسحب قيمة الرسوم من حساب سيدي الإمام لنسدِّدها للجامعة، هكذا أَمَرَ مولانا، فقلتُ له: أنا ميسور الحال ولله الحمد، والمال متوفِّرٌ معي.

فوقفت مدهوشًا من كُنه سيدي الإمام، وكيف يريدني بشدَّة أن أتابع تحصيلي العلمي، وإذا كان المالُ هو المشكلة فهو يسدِّده، نعم: الاهتمام بطالب العلم وصيَّةِ رسول الله ﷺ في كل شؤونه، هكذا علَّمني.

كُلِّفت وكيلًا لوزارة الأوقاف السورية لمديرية أوقاف دمشق في عام ٢٠٠٨ فاتصلتُ به وأعلمتُه، فَسُرَّ بذلك ونصحني بالإخلاص في العمل لله عز وجل، وخدمة الناس، وأن أجعل خدمتي في هذا الموقع مطيَّة للآخرة، والجدَّ في العمل والتجديد فيه. وكان وقتها مفتيًا للديار المصرية، زرتُه مرارًا وتعلَّمت منه الكثير، وحدَّثني عما قام به من كثير من الأعمال في دار الإفتاء المصرية لجعلها مؤسسة علمية إدارية ذات مرجعية يُشارُ إليها بالبنان، وكنت في كل زيارة أتعلَّم شيئًا جديدًا أضيفه إلى واقع عملي في وزارة الأوقاف وما كلِّفت به من عمل فيها.

وفي عام ٢٠١١ أرْخَت الأزمة السورية سُدُولها على مشهد غريبٍ وفتنة عظيمة لم يعرف التاريخُ السوريُّ لها نظيرًا، ودخل الناسُ في فوضى خلَّاقة لم نعهدها.

زرتُه في القاهرة مع أخي الدكتور خضر شحرور - وقد أضحى وقتها وكيلًا لوزارة الأوقاف أيضًا - فثبَّتنا على الحق والوقوف مع الإمام، وعدم الانجرار وراء

التائهين، وقال: منهجُ الدكتور البوطي هو الصواب، وهؤلاء المتطرفون هم خوارجُ العصر.

وهكذا العالم العامل لا يغير منهجه، ولا يترك علمه الذي تعلَّمه، ولا يشتري دنياه بآخرته، وفي الفتن هو الميزانُ لمن وراءه من الناس، وسلوكُه وقولُه قد ينقذ الناسَ وقد يهلكهم.

وإني لأرى أن الله عز وجل ثبتنا في بلاد الشام بمنهج أستاذنا العلامة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي رحمه الله وبسيدي الإمام الدكتور علي جمعة حفظه الله، وكذا ثبَّت اللهُ الناسَ في مصر الكنانة بمنهج سيدي الدكتور علي جمعة والعلماء العاملين من أمثاله.

كان سيدي الدكتور علي العالم العامل النحرير الذي فَقَه العصرَ وأهلَه، وأفادنا وأفاد الأمة بمؤلفاته القيِّمة الجليلة التي كانت وما زالت نبراسًا لي في دروسي وحلقاتي التليفزيونية على قناة نور الشام الفضائية والمسموعة على إذاعة دمشق العريقة، ولا سيَّما فيما يتصل بحاجة الناس اليوم من نشر سماحة هذا الدين العظيم بعد التشويه الذي كان من أعداء الإسلام ومن المتطرفين من بني جلدته، فكانت هذه المؤلفات العظيمة البُوصلة لي ولأمثالي أنتجت فهمًا عظيمًا لحقيقة الإسلام القائمة على الرحمة والسلام والحب والأخلاق واليُسْر والبشارة، كالتعايش مع الآخر الذي بدأتُ به بحلقات تلفزيونية على أثير قناة نور الشام وما زلت، وككتاب فقه حبِّ الحياة الذي كان أيضًا برنامجًا على القناة نفسها، وككتاب الرد على خوارج العصر وغيرها من الكتب.

ليس هذا فحسب، بل كان ومازال يهتم بمظهر الداعية الأنيق الذي يظهر به أمام الناس، فتعلمنا منه حسن الهندام، فإذا رأتك عيونُ الناس فأحبُّوا ظاهرك أصْغَوا إلى كلامك فإنْ كان فيه الإخلاصُ وحُسْنُ العرض وكان نابعًا من القلب

استأثرْتَ بعقول وقلوب الآخرين، وأحبوك وأحبُّوا الدِّين وأهله.

كل هذا تعلَّمناه من سيدي، العَقْلُ حرٌّ في تفكيره يهتدي بموضوعيَّةٍ شفَّافةٍ للحق، والقلبُ مع الله في الخلوات والجلوات، واللسانُ دائمُ الذكر لله عزَّ وجلَّ والصلاة والسلام على رسول الله، والقلم يخطُّ ما ينفع الأمة وتقوم به الحجة بين يدي الله عز وجل، والهمة العالية نصرفها في خدمة الناس وقضاء حوائجهم.

والداعية الحقُّ: داعية إلى الله عزَّ وجل ولسُبُلِ الخير، وليس داعيةً للنفس والهوى، يعمل لله لا للرياء والسُّمْعة.

كل ذلك غيضٌ من فَيض، ولولا أني قُيِّدتُ بصفحات قليلة وأسطر معدودة لذكرتُ ما رأيتُه من سيدي الدكتور علي من العَجَب العُجَاب الذي يدلُّ على أنَّ هذا العالم الجليل من زمن السلف الصالح ﷺ.

ولا أشكُّ أبدا أنَّ سيدي هو ممَّن جدَّد الله به الدين في هذا الزمان الصَّعب، لا ينبغي أن يماري في هذا أحدٌ إلا منْ لم يكن على بصيرة وهدى.

والمؤلفات العظيمة الجليلةُ في موضوعاتها ونوعها على كافَّة الصُّعُد والمستويات شاهدةٌ بذلك.

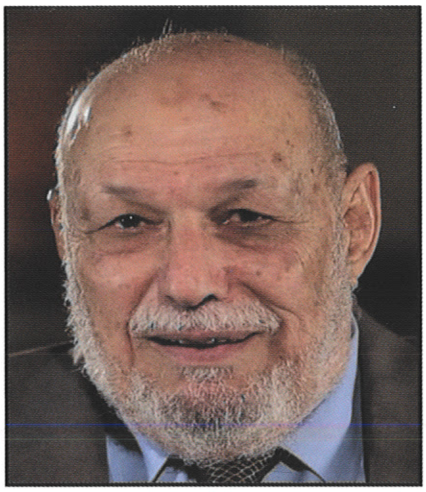
وختامًا: علمني سيدي أن العلم بحر عظيمٌ لا ينتهي، ونبعٌ ثرٌّ لا ينضَب، وإن أنسَ لا أنسى كلماته التي كان لها الأثرُ الكبيرُ في نفسي عند الانتهاء من مناقشة الدكتوراه في جامعة الأزهر: «يا شيخ أحمد، يا دكتور أحمد!! الآن بدأتَ بطلب العلم».

سيدي الإمام: نحن على العهد الذي أخذتَه علينا، وعلى المنهج الذي ربَّيتنا عليه، لا نحيدُ عنه إن شاء الله.

أنت عالم الزمان والأوان، ونبراس الأمة على الأزمان، ومربي الأجيال، وباني الرجال، حفظك الله ذخرًا للأمة ومنقذًا لها من الضلال.

التقي النقي عمدة المتقين

بقلم د. أحمد طلبة



من علماء القراءات – مصر

إنه لمن ألطف المنن وعظيم العطايا وجزيل النعم أن يجمعنا زمان واحد وعصر واحد وبلد واحد مع العالم الألمعى والفقيه الذكي اللوذعي، الخطيب المفوه المتوقد الذهن، جناب التقي النقي عمدة المتقين الزاهد الورع فضيلة الشيخ الدكتور/ علي جمعة. مفتى الديار ومبدد حجج الزائغين والكفار.

وكان من جميل الصدف أن أنتهز هذه المناسبة الطيبة يوم ميلاد فضيلته وفقًا للتقويم الهجرى، وأزف إليه خالص أمنياتي القلبية له بدوام الصحة والعافية والعمر المديد في طاعة رب العالمين.

وأهنئ نفسي بل والدنيا كلها بمولده، ولم لا؟! والعلماء ورثة الأنبياء وهم مصابيح الهدى خاصة في ليالى الدجى.

وهو العالم الذي لا يبارى في علمه، الموسوعي في معارفه، مصباحًا للهداية ودليلًا لسبل الرشاد.

لقد ألقى الله محبته في قلب كل من يعرفه أو يلقاه أو حتى يسمعه؛ لأنه من أهل الله وخاصته أهل القرآن، كما أنه محمود السيرة، طيب السريرة، ويكأنه قد امتزجت به جميل الخصال وحميدها، فكانت جزءًا من تكوينه وطينته.

فضلًا عن أن حضرته لم ينل من تواضعه كثرة المحبين والمريدين؛ لأن التواضع له إزار، وأنه بطبعه متجاف عن مقاعد الكبر، خافض الجناح لتلاميذه ومحبيه.

وفضلًا عما حباه الله به من جميل الشيم، فهو جميل المنظر وضيء الطلعة، ظريف الهيئة يجذب القلوب برونقه وجميل كلامه؛ وكأنه قد تسربل بالملاحة الممزوجة بالوقار، فهو قريب من محبيه مهابًا منهم وقورًا في ذاته لا يتجرأ أحدهم بالتجاوز في مجلسه.

زينت شجاعته بحلمه فلا يخشى في الحق لومة، فهو بحق حامي عُرَى الإسلام، وكأنه حارس مدينة العلم بالله، ومع ذلك يأخذ المخالف بشئ من اللين والصبر عليه والتوجيه، عسى أن يرده لصحيح الطريق؛ لكن إذا وجد الغل غالبا والكره طبعًا ظاهرًا لا يصححه تقويم ولا يجديه تسكين تبرز قوته في الذود عن حمى الدين مبينًا حقيقة هذا المضل عدو الدين.

فعالمنا الجليل يعالج في دروسه وخطبه وندواته وكتبه ما يحتاجه الواقع وما استحدثه الزمن، ويضع له الدواء النافع المستخرج من صحيح الدين.

ولقد تميزت مجالس الشيخ/ علي جمعة بالخير العميم؛ لعمق فكرته وغزير علمه وواسع ثقافته وقدرته الفائقة على المعالجة والموائمة والتطبيق، بما يجبب في صحيح الدين بعيدًا عن التشدد الممقوت غير المطلوب، أو اللين الذي يذهب بأصول الدين، فكان بين ذلك يأتي بما يوافق صحيح الدين وتوجيه النبى الكريم ﷺ ومراد رب العالمين.

وهو ما يجعلنى أشير بشيء من العجلة لبعض مجالسه:

فمجلس التفسير: يريح القلب بالطواف حول آيات الذكر الحكيم كلام رب العالمين، وإضاحة البيان عما خفي عن كثير من أهل الإسلام من بديع المعاني وجميل الألفاظ، مما يزيد الشوق والتعلق بالقرآن الكريم حبل الله المتين.

أما مجلس الفقه: تجد فيه من سهولة العبارة وواضح الدلالة ترسيخًا للأحكام وتأكيدًا للبيان بما يضفيه عليه من خبراته وحكاياته اللاتي يقرب بها المعنى ويثبت بها المبنى، فيضحي المجلس المحبب لعقلك، والقريب من قلبك، فما ينتهي المجلس إلا وتتلهف لجلسة أخرى بعد أن زالت عن المنهج صعوبته وأصبح سائغًا عذبًا شرابه.

وأما مجلس الفتوى: فتحس فيه أن الشيخ هو الطبيب المداوي لما أشغل الذهن أو حير العقل أو ألقى الريب بالقلب، ولا ينتهى المجلس إلا وقد نلت الشفا وزالت عنك الأوهام والريب بطيب دوائه وصحيح إفتائه.

أما مجلس الحديث: فلو جُلت فيه بفكرك وأعملت فيه نظرك؛ لأحسست أنك في زمن الرسول ﷺ وتجلس بين أصحابه وتسمع كلامه، فهو بحق بخاري عصره، قد جمع بين علو السند وصحيح المتن ما ليس له نظير فيه.

وأما مجلس التصوف: فتتعلم فيه التخلق بخلق الأنبياء، وتراه مجلسًا مجافيًا للبدع، متوجًا بصحيح القواعد حاثًّا على تزكية النفس وتنقية القلب مما علق به من الشواغل والأغيار، وكل ذلك وفقًا لمراد الله وعلى طريق أهل الله.

وأما مجلس اللغة: تحسبه من جزالة ألفاظه وضبط نحوه مناظرًا؛ بل فائقًا لسيبويه والخليل والمبرد، فقد حباه الله تعالى بذاكرة حافظة وعقلًا واعيًا فجمع بين علوم الأولين وثقافة المعاصرين، فعرض غامض عبارتهم بجمال بيانه وتسلسل كلامه، فحبب إلينا ما كان مكروها، وقرب ما كان عن ذهننا بعيدًا، ولذلك فنهنئ أنفسنا قبل سيادته في يوم مولده، فميلاده نعمة لما حباه الله به من جميل الخصال وحميد الصفات، ولما أفاضه عليه من ينابيع حكمته، وبما خصه من أسرار المعرفة.

فله منا الشكر الجزيل والثناء والدعاء بأن يضاعف الله له الخير ويمنع عنه كل شر، وأن يزيد في إحسانه، ويبارك في معارفه ونبيل خصاله، ويزيد فضله، ويحشره في زمرة أصفيائه.

***

صاحب فقه الحياة والذكاء العاطفي

بقلم د. أحمد عكاشة



أستاذ الطب النفسي ومستشار الرئيس المصري للصحة النفسية والتوافق المجتمعي

كان فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ علي جمعة ضيف محاضرة الدكتور/ أحمد عكاشة الثانية والعشرون لعام ٢٠١٦، والشيخ الأستاذ الدكتور/ علي جمعة عضو هيئة كبار العلماء، وأستاذ أصول الفقه بكلية الدراسات العربية والإسلامية بجامعة الأزهر بالقاهرة، ومفتي الديار المصرية السابق، وعضو مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر الشريف، له العديد من المؤلفات العربية والإنجليزية، والتي تجاوزت السبعين مؤلفاً في أصول الفقه والفقه والتصوف والفكر الإسلامي، ويترأس فضيلته مجلس أمناء مصر الخير، والتي تعد من أكبر مؤسسات العمل الخيري في مصر في السنوات الأخيرة، كما نال فضيلته العديد من الأوسمة من مختلف دول العالم، وحصل على الدكتوراة الفخرية من جامعة ليفربول ببريطانيا، وكذلك من جامعتي أسيوط وبني سويف بمصر.

وكان لي شرف مراجعة كتاب فقه حب الحياة، ويشرح الكتاب المبادئ الأربعون للعيش بالدين: عالم النور، نور الحياة، الدين يحب الحياة؛ لأنها رؤية إنسانية فعالة لدور الدين في الحياة، وكذلك التدين يحب الحياة، علينا بحب الإنسانية التي أودعها الله في الإنسان مهما كان الدين أو الجنس أو العرق؛ لأن تنوع البشر هي إرادة الله، والمؤمن الحق هو من يحيي الحياة كما أرادها الله لا كما

يريدها هو.

وإذا أخذنا بعض كلمات فهم دور الدين في الحياة، والذي أوصى أي مؤمن بقراءته حيث وضع د. علي جمعة كل علمه وخبراته ورؤيته: السلوك الإيجابي لفهم دور الدين في الحياة، الإسلام دين إنساني بامتياز، القرآن كتاب للأحياء وليس للأموات، القرآن كتاب حكمة ونور ينتفع به العالم حتى على غير الإسلام، السؤال قيمة إسلامية ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ الرحمة والحب سر الخلق، لا تربي أولادك على الخوف من الذنوب بقدر ما تربيهم على الإحساس بالمحبوب، حقيقة الدين أن الحياة معه تكون رائعة وسعيدة، ابذل جهدك واعمل وأنتج وفكر وأبدع، لا توجد قاعدة شرعية إلا وراءها قيمة أخلاقية، لا حياة للشريعة بغير القيم والجمال، العمل والإنتاج والقيم والأخلاق على رأس قضايا الإسلام، السهولة واليسر اختيار الإسلام، تحويل كل نص ظني إلى قطعي يجعل كل الدين حرامًا يصيب الحياة بالعقم والفشل، الأولية في الدين الأخلاق وقوام الدين هو الأخلاق ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ ويقول الرسول: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فالقيم مطلقة ولا تتوقف على الحسِّ أو الكون أو الدين، إزاحة الشر بنشر الخير، خلقنا لإعمار الأرض «قداسة العمل» العبادة قوة دافعة محفزة للعمل والإنتاج، النقد آلية أساسية في الإسلام، الاستغفار والتوبة هي عملية نقد وتقييم ومراجعة مستمرة في الحياة، اجعل المركزية في الحياة هي الحياة والآخر وليس الأنا، نريد حياة النبي وليس عصر النبي، الحوار المتحضر هو طريقة الإسلام لنضج الأفكار، النموذج المعرفي هو الرؤية التي نرى بها الحياة وننفذها في الواقع، فقه حب الحياة، الحياة مشتقة من اسم الله الحي، الساجد قبل المساجد والإنسان قبل البنيان، حب الوطن من الإيمان، مفهوم الوطن صيانة للشريعة من الذوبان في العولمة، الانتماء للوطن

مساعد لتفعيل الهوية، وهذا ما جعل العلماء يلقبون بأوطانهم العراقي، المصري، الإسكندراني، المنوفي، المنياوي، الأسواني. أي أن التنوير هو تحكيم العقل وأن نأخذ الزمن والعلم في الاعتبار.

لا يختلف أحد من أن العلماء الأكفاء يتمتعون بذكاء متميز ومتفرد، ولكن تجد القليل منهم من يتمتع بالذكاء العاطفي. أتاحت لي الفرصة في المؤتمرات العلمية المختلفة أن أجلس مع الكثير منهم، وعلى الفور يتضح لي أنني لا أريد أن أكرر اللقاء إلا مع هؤلاء الذين تشعر معهم بالتواصل العاطفي، وينطبق هذا على الصديق العزيز د. علي جمعة فهو رجل يتمتع بالذكاء المتفرد والمتميز، ولكنه أيضا أعطاه الله موهبة الذكاء العاطفي ومع أنه «رجل علم» إلا أنه أصبح له جاذبية جماهيرية تفوق «رجل السياسة» ومن ثم يتمتع بحب كل من يتكلم معه أو يسمعه أو يشاهده. وتشير أحد الدراسات الاستقصائية أن د. علي جمعة من أكثر الناس مصداقية عندما يتكلم في وسائل الإعلام، ما معنى هذا! أنهم يشعرون أنه يفهم ويعرف ويقدر عواطفهم، وأنه بالرغم من عمق علمه وضيق وقته إلا أنه يتواصل مع الغني والفقير، المتعلم والجاهل والمثقف وغيره. وللأسف توجد بعض النفوس غير القادرة- والتي لم ينعم الله عليهم بالذكاء العاطفي- لا يحاولون قبول ذلك ولكنهم يصابون بحيل دفاعية لا شعورية تجعلهم يعادون النجاح ويذمون التفوق، ويقللون من قيمة النجاح، ولكن هيهات أن تؤثر ذلك في نفسية الناجح. إن الأقزام لا تصيبها السهام ولكنها تصيب الأكابر، والكبير يستطيع التسامح والتغاضي ويتسامى عن الصغائر.

إنني أعلم أن د. علي جمعة بالرغم من حب الناس له واعتباره قدوة إلا أنه عازف عن المنصب والقوة والجاه مستغرقًا في أبحاثه العلمية.

قد يقول البعض: وماذا نفعل إن لم يعطنا الله هذا الذكاء العاطفي، لا تيأس فيوجد الآن التدريبات لتنمية الكفاءة الشخصية والاجتماعية والعاطفية والمهارات الاجتماعية، بل إنه يوجد مقاييس للذكاء العاطفي يتم استخدامها في التخطيط، وملء الوظائف والتنمية البشرية واختبار الكفاءات، وتنمية الإدارة في حركة الأسواق التجارية وفي خدمة العملاء.

وأخيرا عندما تنظر إلى دراستك الجامعية أو الثانوية وقد تعرضت لعشرات الأساتذة والأذكياء ستجد أنك تتذكر البعض فقط، هؤلاء هم ذوي الذكاء العاطفي، كذلك ستذكر بعض الزعماء والقيادات والفنانين والعلماء والصحفيين... إلخ. هؤلاء الذين يملكون الذكاء العاطفي.

القليل في الوقت الحالي ممن يتمتع بهذا القبول والحضور والكاريزما والذكاء العاطفي مثل د. علي جمعة، وليس فقط بين طبقة المثقفين! ولكنه يمثل لهم النجاح والتفوق والأمل، يزيد على ذلك الذكاء العاطفي، فالكثير يعتبرونه مثَلهم الأعلى في المصري الذي تفوق على ذاته وعلى الآخرين، ويتمنون التوحد معه حيث يشعرون ببعض السعادة والكرامة والقدرة على تطلعات متفائلة.

وأخيرًا فهو يمثل خصائص الأخلاق العلمية ألا وهي المصداقية وتتمثل في تحمل المسئولية، الإتقان، الانضباط، الإصرار والمثابرة للوصول، كما يتمتع بروح التعاون وحب العمل بروح الفريق، حيث دائمًا ما يقول: نحن نعمل ولست أنا أعمل. وأيضا من أكثر ما يميزه تجاوز الذات أنه يعمل دائمًا للغير وللخير ببشاشة وبساطة وعطاء، تجعله مقبولًا محبوبًا من الجميع.

هنيئًا لك أيها الصديق بمحبة الله والجماهير، والتي تثير في القلة العاجزة الغيرة واليأس، وفي الأغلبية الفخر والاعتزاز.



خير داعٍ إلى الهدى

بقلم د. أحمد عمر هاشم

بمناسبة نجاة العلامة فضيلة الأستاذ
الدكتور علي جمعة، المفتي السابق



عضو هيئة كبار العلماء - مصر
ورئيس جامعة الأزهر الأسبق

نَجوتَ وخاب الآثمون وماتوا	بغيظهمو بل في جَهنمَ باتوا
سَماحَتُكم قد أشْرَقتْ وتألَّقتْ	فَسُرَّ بها دينٌ وعَزَّ دُعاةُ
[علي جمعة] يا خيرَ داعٍ إلى الهُدَى	نجاتك للدِّينِ الحنيفِ نَجاةُ
ألَمْ تَكُ في الإفتاء سمحًا وَرَائِدًا؟!	فماذا أراد اليومَ منكَ جُنَاةُ؟
أيُغْتالُ مَنْ يدعو إلى الله مخلصا	أيُغْتالُ مِنَّا خُلَّصٌ وهُدَاةُ؟!

***

وكيف اسْتَحلَّ الغَدْرُ رُوَّادَ أمتي	وهم مرشدوها للهُدى وَبُناةُ؟!
وهم عُلَماءٌ وارثون نُبوَّةً	وهم أمَناءٌ للهدى وتُقَاةُ؟!
بنِي الأزهرِ المعمور يا أنجمَ السَّنى	يحاربكم بيْنَ الحياة طُغَاةُ
إذا اغتيلَ منا عالمٌ قام عالمٌ	وألْفٌ وفيهم هِمَّةٌ وثَباتُ

بكم صـانَ رب العـرش ديـن محمـدٍ	فـأنتم بحـقٍّ مخلـصون رُعَـاةُ
هو الأزهر المعمور حامي حِمَى الـوَرَى	وأبنـاؤه أهـلُ الجهـاد حُمـاةُ
«عـلي جمعـة» يـا خـيرَ داعٍ إلى الهُـدَى	نجاتـك للـدِّينِ الحنيـفِ نجـاةُ

***

سبق فكره زمنه

بقلم الشيخ أحمد فايز الشهير بالفاتح الماليزي الأزهري



مدرس بأكاديمية الشيخ داود الفطاني - ماليزيا
مقدم الطريقة الصديقية الشاذلية - ماليزيا

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه وبعد، فقد مَنَّ الله علي أن أنهل من معين معارف مولانا الإمام نور الدنيا والدين سيدي الشيخ علي جمعة حفظه الله، فهو معين لا ينضب، ودائم التدفق، يغمر الخاص والعام بمنافع الله بها عليم.

قد جالستُ مولانا الإمام في عديد من حلقاته، وقرأتُ مؤلفاته؛ على رغم قصر المدة، وصغر السن، فبفضل الله أرى كيف فكره قد سبق زمنه، وأدرك بفرط ذكاءه ونور بصيرته كيف كان ينبغي على المسلم أولًا وعلى العالم ثانيًا أن يعيش زمنه، وكيف يؤدي واجبه في نقل هذا الدين الحنيف إلى العالمين، وإلى من بعدنا بصورة صحيحة لافتة للنظر، هذا قد شهده القاصي والداني، وجميع مؤلفات مولانا الإمام.

فنفسي الضعيفة قد رأته كيف كان محبًّا ومجلًّا للنبي ﷺ، وكيف حمل تلامذته الكبار على أن يسلكوا نفس المنوال في تربية الصغار، فحبُّ الله ورسول الله هو سرٌّ في قوة شخصية الإمام العلامة، فاللهمَّ احفظ مولانا الإمام، وأفض علينا من علومه وبركاته بجاه نبيك الأمين، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

Segala pujian khas milik Allah. Selawat dan salam ke atas penghulu kita Nabi Muhammad Sallahu alaihi Wasallam, juga ke atas ahli keluarganya dan para sahabat baginda.

Sesungguhnya Allah telah mengurniakan kepadaku peluang untuk ku minum dari telaga ma'rifat Maulana al-Imam Nuruddin Ali Jum'ah -hafidzahUllah- maka iaitu telaga yang tidak kering, lagi sentiasa memancar melimpahi golongan khas dan am dengan manfaat yang banyaknya itu hanya Allah sahaja yang mengetahui.

Saya telah duduk bersila di guru mulia pada beberapa majlis, dan telah saya baca beberapa tulisan beliau, dan meski sedikit tempoh bersama dengan sang guru, mudanya umurku, maka dengan kurnia Allah semata-mata, saya telah melihat bagaimana fikiran beliau mendahului zamannya, dan beliau mendapati dengan kepintaran dan mata hatinya yang becahaya bagaimana sepatutnya seorang muslim pertamanya, dan seorang alim keduanya, hidup di zamannya, dan bagaimana dia dapat melaksanakan kewajipannya pada menukilkan agama yang lurus ini kepada sekalian alam, dan kepada generasi selepas kita dengan gambaran yang sahih lagi menarik perhatian. Hal demikiam telah disaksikan sendiri oleh orang jauh mahupun dengan, dan juga sekalian tulisan beliau.

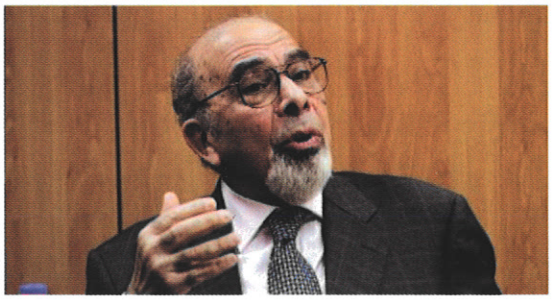
Maka diriku yang lemah ini juga telah melihat bagaimana cinta dan takzimnya beliau terhadap Nabi Sallahu alaihi wa sallam dan bagaimana maulana al-Imam telah mendidik para guru-guru saya seperti Sheikh Ahmad al-Hajin, Sheikh Amru al-Wardani, dan Sheikh Isam Anas. Maka cinta Allah dan Rasul itu rahsia kekuatan peribadi maulana al-Imam.

Semoga Allah sentiasa memelihara mawlama al-Imam, dan melimpahkan ilmu dan keberkatannya ke atas kami dengan berka Nabi Muhammad Sallahu alaihi wasallam.

***

عـمـــود النـــور

الـمُبدع الدكتور/ أحمد مصطفى



الـمُبدع العالـمي دكتور/ أحمد مصطفى
مؤلف كتاب «الخط الكوني»

أتذكر أنني التقيت فضيلة الشيخ الدكتور علي جمعة لأول مرة في مدينة شتوتجارت الألمانية سنة ١٩٩٤م على وجه التحديد، حيث دُعيت إليها لإلقاء محاضرة حول ماهية «الخط المنسوب» الذي يعود وضعه للوزير العبَّاسي محمد بن علي المعروف بابن مقلة في القرن الثالث الهجري – التاسع الميلادي، ولم يكن ذلك من قبيل المصادفة وإنما كان لأمر قد عقده الله لغاية لم أكن أعلمها في ذلك الوقت.

ومع انتهاء حديثي حول الغاية الموكولة بطبيعة «الخط المنسوب» والكشف عن المراد بمفهوم الجمال في الإسلام من خلال التعرُّف على ما تحققه دلالة وضع تلك النظرية منذ أكثر من ألف عام، حتى قُوبلت باستحسان وتقدير السامعين وتكاثفت أسئلتهم حول موضوع النسبة بشكل عام وعلاقته بالهندسة على نحو خاص. وإذا أخذنا في الاعتبار أن محاضرتي تلك حول «الخط المنسوب» قد صدرت كنتاج عَقَلَه قلبي وانصاع له إدراكي فتوثقت بيني وبين مكانة ومقادير القلم في الإسلام أُلفة نمت على مدى زمن طويل؛ تناولت فيه الحديث حول هذا الموضوع بالتحليل والاستفاضة في أماكن مختلفة من العالم، إلا أن ذلك اليوم في شتوتجارت ما زال ماثلًا في ذاكرتي حيًّا حتَّى الآن. ويرجع ذلك الى لقائي بالدكتور علي جمعة، حيث قضيت بقية ذلك اليوم في معيَّة أملاها الله فجمعت بيننا لأمر قد اختاره لنا ربُّ العزة على النسبة والتقدير.

لقد كان من الواضح لي في طبيعة الدكتور علي ما تنطوي عليه شخصيَّته من مقدرة فريدة يمكنها الجمع بين النفيس والبسيط، وبين التعقيدي المركَّب والأحادي المنفرد، أو بين النادر والعام، وتلك القدرة لا يملكها إلَّا الخواص من عباد الله والأولياء الصالحين الذين يتَّبعون النبي الأمِّي سيدنا محمَّد رسول الله عليه الصلاة والسلام. ويمكنني أن أقول، أنني منذ ذلك الحين لا أتذكر حضوري الى مصرنا الحبيبة دون أن يكون لي فيه لقاء أسعد فيه بمقابلة الدكتور علي والسلام عليه والتطرق الى بعض الإشارات القرآنية والكونية والاستماع الى تعليقه عليها، سواء كان ذلك في جواب مباشر أو في صورة تساؤل يستهدف مضاعفة النور على ما يبدو مبهمًا فإذا هو واضح كل الوضوح.

كان الدكتور علي في ذلك الوقت يؤدي خطبة صلاة الجمعة بمسجد السلطان حسن الذي يعد أثرًا معماريًّا فريدًا في كونيَّة تصميمه ودلالة عناصره الإسلامية في العالم أجمع، وكان الدكتور حريصًا عند كل لقاء على سؤالي فيما تمَّ بشأن نشر الكتاب الذي يشرح المراد بمفهوم «الخط المنسوب»، وهو الموضوع الذي تربَّع على قلبي وعقلي ليصبح محور بحثي لنيل درجة الدكتوراه الثانية سنة ١٩٨٨م. لقد كان لوقع سؤاله في كل مرة حول نشر هذا الكتاب السبب المحوري في ظهور كتاب «الخط الكوني» بالإنجليزية سنة ٢٠١٤م.

لقد كانت هناك أعباء كثيرة تضافرت لإملاء تأخير ظهور هذا الكتاب، منها على سبيل المثال حرصي على نشأة وتربية وتعليم أولادي نسرين وسفير تربية يتعرفون بها على نعم الله التي لا تحصى عليهم وعلى الخلق أجمعين، وخصوصًا لأنهما قد ولدا ونشئا وتلقَّيا تعليمهما الأساسي في بلد غربية غير إسلامية.

ومرت الأيام سريعًا حتى أبلغتني زوجتي رحمها الله أنَّ ولدي سفير قد رسب

في أولى سنوات تعليمه العالي المتخصص في أحد علوم الكمبيوتر، وأنها كانت تبحث عن الكيفية التي يمكن بها أن تضع مثل ذلك الخبر السلبي لانتباهي، فشكرتها وطيَّبت خاطرها وقلت لها أنني غير قلق بشأن سفير وتعليمه وذلك لإيماني بأن الكيفية المنهجيَّة في معرفة قدرات الإنسان غير مؤهلة لمعرفة ما تصبو إليه روحه بالفعل.

وعندما فاتحت سفير مستفسرًا عمَّا يدور في فكره، أجابني على الفور بأنه ليس على قناعة تجعله يهب حياته للكمبيوتر وما يتعلَّق به، فسألته مستفسرًا وما هو المبحث الذي يراه مستحقًّا بأن يهب له حياته؟ ولدهشتي التامَّة أجابني بلا تردد – أنا أود أن أعرف اللغة العربية وأسرار الاختيار الإلهي لها في تنزيل وحيه بالقرآن الكريم للناس أجمعين!! فنظرت إليه وأنا لا أصدِّق ما سمعت وخصوصًا لكونه لا يتكلم العربيَّة على الإطلاق، فجمعت أفكاري التي تبعثرت في شتَّى النواحي والاتجاهات وقلت له في هدوء أردت أن أخفي به ارتباكي– اسمع يا سفير– إذا كان مطلبك المعرفي هذا حقيقيًّا بالفعل فدعني أصارحك– إن دراسة اللغة العربية وإجادتها ومعرفة توجهاتها وأسرارها ومكامنها تعدُّ من الأمور الصعبة والشاقة، فهي لغة لا يعرف كثير من الذين يتحدثون بها أنهم لا يملكونها، وذلك لتعاملهم معها بحكم التعوُّد لا بحكم الإدراك السليم لمقتضياتها بالتأمل والبحث والتساؤل، فهي لغة تنفر ممن يتحدثونها أو يتعاملون معها بدون حبٍّ وشهيَّة، ولذلك فإن كثرة من يجهلون العربية هم في حقيقة الأمر في العالم العربي.

أمّا اذا كنت جادًّا في مطلبك مستعدًّا لتحقيقه بكل غالٍ ونفيس، صابرًا على مصاعبه بالرويَّة والإيمان فأبشر– إن مع العسر يسرًا إن مع العسر يسرًا– فهزَّ رأسه بالإيجاب وهو متأثر، وهنا عاودت حديثي قائلًا– وما دام الأمر كذلك فإني أسأل

الله أن يسخرني وكل ما في وسعي لتحقيق سعيك هذا والله عليم بما نقول، فأقرَّ سفير ذلك وهو يحاول أن يسيطر على انفعاله بالموقف.

وسافرت أنا وزوجتي في معيَّة سفير إلى القاهرة بهدف مقابلة الدكتور علي جمعة ومعرفة رأيه في كيفية بداية تلك الرحلة المعرفيَّة التي انعقدت عليها قناعة سفير بأنها تستحق أن يهب لها حياته. وعلى عادته استقبلنا الدكتور بكل بشاشة وترحيب وبلا كلفة، مما جعل الطبيعة الأسكتلندية لزوجتي تشعر بالراحة والاطمئنان وأخذت في رشف عصير المانجو الذي قدَّمه لنا الشيخ ضاحكًا وقال موجِّهًا الكلام الى أم سفير ... مانجو.

وبعد قليل عرضنا عليه أمر سفير سائلين إياه المشورة والنصيحة، وفي تلك الأثناء كنت أقوم بالترجمة لزوجتي. فأجاب الدكتور علي طارحًا البدائل المتاحة في دراسة العربية بادئًا بالجامعة الأمريكيَّة في القاهرة، فأشرت إلى الدكتور علي أن هدف سفير من حضوره الى القاهرة هو رغبته في تعلم العربية مباشرة من الذين يعيشونها، وتلك هي الغاية الجوهرية من حضوره إلى مصر - عندئذٍ استطرد الدكتور قوله مشيرًا إلى معرفته الجيدة بمدرسة قد يبدو تجهيزها في غاية التواضع إلَّا أنها بهمَّة وعلم العاملين فيها فسوف تحقق ما يسعى اليه سفير، ثم أضاف وعلى وجهه ابتسامة كبيرة - «يعني لوكان ابنك ده عمود نور فحيتكلم عربي»، فضحكت زوجتي وقالت - «هو فعلًا عمود نور».

الغريب في الموضوع أن هذا التشبيه الذي ولد من رحم المسامرة كان حقيقيًّا بالفعل، فبعد ثلاثة شهور تقريبًا من التحاق سفير بهذه المدرسة بدأ يعلِّق على الأخطاء الشائعة في العربية العاميَّة وينتقيها متسائلًا عن أسباب شيوعها بين المصريين. وبعد سنة قضاها في تلك المدرسة أصبح مستوى لغته العربية الفصحى

فعَّالًا إلى حدٍّ يتعذر معه تصديق أن امتلاكه لهذا اللسان العربي هو وليد عام واحد فقط.

وانطلق سفير ليحصل على بكالوريوس في اللغة العربية بامتياز مبهر من جامعة "إكستر" بإنجلترا، ثم التحق بجامعة الأزهر الشريف بعد اجتيازه امتحان مقررات السنوات الثلاث التي تنطوي عليها الثانوية الأزهرية في عام واحد لدراسة الشريعة الإسلامية، وهو يعمل الآن على وضع الملامح الأخيرة في رسالته للدكتوراه من كلية الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن.

إن تلخيص هذه القصة على هذا النحو لا يستهدف الحديث عن سفير، وإنما يشير الى تلك الرؤية التي أنعم الله بها على الدكتور علي جمعة، وهي تلك الرؤية التي يكشف عنها الشيخ في قالب ظاهري دعابي مرح بينما هي في واقع الأمر جليلة الخطورة والجديَّة.

وتلك هي حكمة المربي الحقيقي الذي نهل من الأخلاق المحمدية وثبر غورها واقتدى بها.

نسأل الله أن يبارك لنا في الشيخ الدكتور علي جمعة ويسدد خطاه في كل ما يحبه ويرضاه آمين.

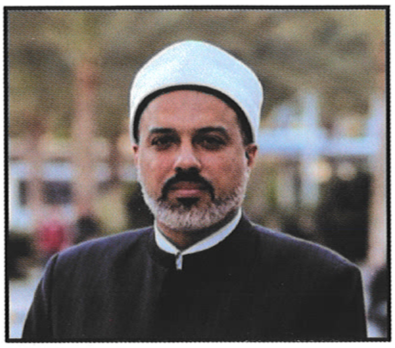
لندن في ١٨ / ١١/ ٢٠١٩م

***



العالم المربي

بقلم د. أحمد ممدوح سعد


أمين الفتوى ومدير إدارة الأبحاث الشرعية- دار الإفتاء المصرية

قبل نحو ما يقرب من ربع قرن كنا نسمع عن عالم كبير يردد طلبة العلم الجادون كلامًا كثيرًا عن علمه وإتقانه وتفننه في العلوم المختلفة، لاسيما في علم أصول الفقه، وأنه ليس أستاذًا أكاديميًّا تقليديًّا يقتصر في أداء رسالته على مجرد إلقاء المحاضرات لطلبة الجامعة، بل إن له نمطًا فريدًا لا يكاد يشاركه فيه أحد من نظرائه، وهو أنه يفتح بيته لطلاب العلم للدراسة الخاصة عليه، وأن ذلك يحدث بصفة يومية؛ فيبدأ يومه بعد صلاة الفجر ثم يتردد عليه بعض الطلاب بشكل يومي، يدرسهم الفقه وأصوله والمنطق وعلم الكلام وغير ذلك من الفنون.

ظللت أسمع هذه الأخبار حتى تكونت لديَّ صورة ذهنية عنه أنه رجل كبير في السن ذو لحية بيضاء يتوكأ على عصا ويلبس الزي التقليدي للمشايخ، فسعيت لمعرفته والبحث عنه؛ أملًا في أن أنتظم في سلك طلابه، وأن أشرب من هذا المَعين الذي طالما شوقتنا الأخبار إلى النَّهَل منه، ولم أزل أذكر أول مرة رأيت فيها ذلك العالم، وكان ذلك في مناقشة إحدى الرسائل العلمية في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالجامعة الأزهرية، فوجدت هيئته مخالفة تمامًا لذلك التصور النمطي الذي قام في ذهني عنه، وجدته رجلا أربعينيًّا شديد الوسامة في غاية التأنق له حضور «كاريزمي» كاسح، وتنطق عينيه بالذكاء البالغ، وترددت عليه بعدها في لجنة الفتوى بالأزهر حيث كان أصغر أعضائها سنًّا، وتعرفت عليه مباشرة، وسمعت دروسه في الدراسات العليا بالكلية في منهاج البيضاوي وقواعد

السيوطي، فوجدت عالمًا نحريرًا موسوعيًّا مشاركًا متفننًا فوق ما كنت أتصوره من حكايات الطلاب، ثم درست معه دراسات خاصة بعد ذلك في الجامعة، ثم في بيته بعد الفجر، ثم في الأروقة الأزهرية لسنين عديدة، وكتب الله تعالى لي شرف صحبته متعلمًا منه وملاحظًا لشمائله وتصرفاته وأقواله وأفعاله وكلامه وسكوته، ثم ازددت تكريمًا وتشريفًا بالعمل تحت قيادته في دار الإفتاء المصرية، فوجدت فيه ما كنت أظنه لا يوجد إلا في كتاب أو تحت تراب، وجدت فيه رسم الإمامة في الدين بكماله علمًا وعملًا، ذلكم العالم هو سيدي الشيخ علي جمعة حفظه الله تعالى وبارك في أنفاسه.

نشأ شيخنا في بني سويف في حجر أبيه الأستاذ جمعة محمد عبد الوهاب المحامي الشرعي رحمه الله تعالى، الذي كان له أبلغ الأثر في شيخنا من الناحية التربوية، ويظل شيخنا يستحضر هذا الأثر الطيب ويحكي عن الوالد المواقف الإنسانية وفنون التعامل مع الناس والحياة.

وكان هذا الوالد حريصًا أن يحدث نقلة نوعية في حياة أولاده من الناحية التعليمية والاجتماعية والشخصية، فانتقل إلى القاهرة وعمل على أن ينال أولاده الحظ الوافر من التعليم والمعارف، وأن يحتكوا ببيئة المدينة، وكان شيخنا يعبر عن أثر الحضر الإيجابي في حياة الإنسان وإنضاج شخصيته بقوله: «من تَمَصَّر تبصَّر».

وكان هذا الوالد الكريم يشجع ابنه الفتى اليافع على القراءة والتثقف، حتى يحكي لنا شيخنا أنه كان يشتري له أي كتاب يشتهيه من خارج ما يبذله له من مصروف شخصي، وكان إمعانًا في التشجيع يقول له: «أي كتاب تشتريه من مالك الخاص، أرد لك ما دفعته مرتين، بلغ ما بلغ». فنشأ شيخنا محبًّا عاشقًا للكتاب، حتى صار فيما بعد من أعرف العارفين بالكتب في الفنون المختلفة، وصاحب مكتبة تعد من أكبر المكتبات الشخصية التي تحوي عجائب الكتب ونوادر

المطبوعات، وتجاوز ما تحتويه التسعين ألف عنوان.

وبالرغم من أن الشيخ لم يسلك سلك التعليم الأزهري بداية، إلا أنه تعلق مبكرًا بالثقافة الإسلامية، وانجذب نحو طلب العلم في سن مبكر، حتى يخبرني أنه أنهى قراءة تفسير القرطبي كاملا وعمره ثمانية عشر عامًا، وأنه جلس سنين عديدة يقرأ بانتظام لمدة ثماني ساعات يوميًّا على الأقل، وفتح الله له باب التبتل، وحببت إليه العبادة، وهو لم يزل بعد في هذا السن، وكان يسرد الصيام، حتى سمي: «صائم الدهر».

وبدأ كذلك في صحبة الشيوخ والعلماء في داخل الأزهر وخارجه، وأكرمه الله تعالى أن جَمَّل ما هو عليه بالانتساب للتعليم الأزهري، بعد أن أنهى دراسته المدنية، فدرس في كلية الدراسات الإسلامية والعربية، ثم أنهى مرحلة الدراسات العليا ثم الماجستير (التخصص) فالدكتوراه (العالمية) في تخصص أصول الفقه.

وكان في هذه المرحلة المبكرة الثرية من حياته في ملازمة الشيوخ الأكابر في العلم والسلوك، وكان محط أنظارهم جميعًا ومعقد آمالهم، رأوا فيه ما لم يروه في غيره، وانتقلوا إلى جوار الله وهم عنه راضون.

سألته ذات مرة عن أكثر الناس أثرًا عليه تربويًّا وعلميًّا، فقال لي تربويًّا: والدي والشيخ أحمد مرسي، وعلميًّا: الشيخ أبو النور زهير، والشيخ جاد الرب رمضان، والشيخ الحسيني الشيخ، والشيخ عبد الله الغماري، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحم الله الجميع.

أما الشيخ أحمد مرسي فهو الوالد الثاني لشيخنا، لزمه أربع سنوات ملازمة يومية، وكان من قدامى الأزهريين، ومن أصحاب العارف الشيخ محمد أمين البغدادي النقشبندي رضي الله عنه، وكان رجلًا عالمًا عارفًا بصيرًا بالناس وبالحياة، وكأني

أرى شيخنا يستبطنه ويتمثله دائمًا، ولا تأتي مناسبة إلا ويحكي عنه حكاية أو قولًا أو موقفًا يناسب السياق وينتفع به المتلقون.

وكان يحب شيخنا حبًّا جمًّا ويعجبه ما كان عليه من همة عالية لافتة للنظر، ويقول له: لو أدركتَ شيخنا البغدادي كان سيحبك ويسر بك.

أما الشيخ زهير فيقول لي شيخنا: إنه صاحب الفضل عليه في القدرة على حل شفرة التراث، وقد لازمه شيخنا ودرس على يديه كتابه العظيم «أصول الفقه» بتمامه، وكان الشيخ زهير يحبه ويقدمه، وكان شيخنا يمازحه ويقول له معبرًا عن عظيم علمه بالأصول: «يا مولانا أنت عندما تعرق تنزل أصول فقه» فيضحك الشيخ زهير، ويلاطفه.

وأما الشيخ جاد، فهو عالم الشافعية في زمانه الملقب بـ«الشافعي الصغير»، حتى قيل من تمكنه وبراعته إنه كان شافعيًّا أكثر من الشافعي نفسه، ومما ينقل أنه كان يقول لشيخنا: «قلمك أحسن من قلمي»، وأنه قال فيه: «الشيخ علي أمة وحده».

وأما الشيخ الحسيني الشيخ فهو أحد العلماء الأفراد الذين لانت لهم العلوم الأزهرية، وكان دائمًا ما يطرح أسئلة علمية على طلابه في دروسه لاختبار عقلياتهم وحثهم على التفكير والتحليل، وكان شيخنا فارس الرهان في الجواب عن أسئلة الشيخ حتى وقع عنده موقع الإعجاب والتقدير.

وأذكر أنني سألته مرة -وقد أدركته ودرستُ عليه، وكان لي به نوع اختصاص- مَن هم العلماء الموجودون الآن في الجامعة من الرعيل الأول المؤسِّس المتشبع بالعلوم على الطريقة القديمة؟ فسمى لي أربعة أسماء كلهم من الأساتذة الكبار سنًّا منهم ثلاثة من جيله هو الذي كان من مواليد ١٩١١م، ثم خَمَّس وقال: «والشيخ علي جمعة». والشيخ الحسيني هذا كان صارمًا حازمًا لا يعجبه أحد ولا يعرف المجاملة.

وأما السيد عبد الله بن الصديق فهو العالم الأشهر الذي جمع بين علوم المغاربة والمشارقة، وكان يجل الشيخ، ويرى في شيخنا أنه خليفته، ويثني عليه ويوصي طلابه في مصر أن يلتزموا الشيخ علي جمعة في غيابه هو عن مصر، وذكر في كتابه «سبيل التوفيق» شيخَنا في ضمن تلاميذه، بل هو أولهم ذكرًا، وقال فيه: «عالم فاضل كريم الخلق».

وشيخنا مجبول على البذل، ماديًّا كان البذل أو معنويًّا، أما البذل المادي فأياديه البيضاء شاهدة له بأنه لا يعرف أن أحدًا في كرب أو احتياج ويرده إذا طلب بلغ مطلوبه ما بلغ، حتى إن بعض من حصل بينه وبين الشيخ جفوة لم يجد من يغيثه عندما احتاج إلا الشيخ، فيجد منه الشهامة والنجدة والمروءة، يعطي عطاء من لا يخشى الفقر وراثة نبوية، وكان دائمًا ما يدعو: «اللهم اجعل الدنيا في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا». ويقول: «الدنيا في أيدينا بقدر استعمالها واستخدامها».

وأما بذله المعنوي فحدث ولا حرج؛ فهو النبل المجسد، تصدر عنه الأخلاق الكريمة والفعال المستحسنة بلا تكلف؛ عفوًا وتسامحًا ودعمًا وجبرًا للخواطر وإقالة للعثرات وتغافلًا، وكان يقول: «تسعة أعشار التربية في التغافل»، وقيامه مقام القدوة العملية هو ما صرنا نفتقده الآن كثيرًا، وقد كانوا يقولون قديمًا: «من لم ينفعك لحظه فلن ينفعك لفظه ووعظه».

ومما حفظته عنه قوله: «العلم لا يصلح إلا بالتقوى، ولو كان بلا تقوى لكان محض تاريخ؛ فلان قال وفلان قال».

وهو عالم موسوعي في العلم بحر لا تكدره الدلاء، إذا تكلم في فن ظننته مختصًّا به دون غيره، وإذا سئل عن مسألة أجاب واستفاض، وذكر تاريخها، وحكمها، وفلسفتها، وأثرها، والفوارق بينها وبين ما يشتبه بها، ومَن تكلم فيها، ومَن أفردها

بالتأليف، وغير ذلك، حتى يقع في خاطرك أن ذلك صنيع من يعلم مسبقًا بما سيسئل عنه فيحضر جوابه بشكل يسلب به لب السامعين، والشيخ لا يفعل سوى أنه يستل ذلك بيسر وسهولة من ذاكرته، وأما اطلاعه الواسع ومعرفته بالعلوم الإنسانية والفلسفة والمعارف المختلفة التي هي زائدة على مجرد المعارف الدينية، بل واستحضاره ما أراد من ذلك متى شاء، فموهبة آتاه الله إياها حدث عنها ولا حرج.

وهو في ذلك لا يضن على طالب بمعلومة أو إرشاد أو تفهيم، وقد أوتي موهبة استثنائية يقتدر بها على إيصال أعقد المسائل وأعوص العبارات بأيسر الطرق وأقرب الأمثال.

وقد جعل الله تعالى له شرف إحياء التدريس بالأروقة الأزهرية، فافتتح درسه اليومي عام ١٩٩٨م، ولمدة خمس سنوات متصلة، لم ينقطع عنه إلا بعد الانشغال بأعباء الإفتاء، وكان هذا الدرس اليومي يبدأ في السابعة صباحًا وينتهي في قرابة الحادية عشر صباحًا، قرأ فيه الشيخ لطلابه عيون الكتب في الفنون المختلفة: في السنة النبوية والفقه والأصول وقواعد الفقه والتوحيد والمنطق والوضع وغير ذلك، وأسس فيه مجموعة من الطلاب الأماجد تأسيسًا علميًا متينًا يكونون امتدادًا لمدرسته سالكين نهجه، وكان ينبهنا بقوله: «نحن موجودون لأجل الهداية والبيان، ونقل الدين بصورة لافتة للنظر لمن بعدنا».

ومن أهم ما كان الشيخ ينبه عليه دائمًا في دروسه من مفاتيح منهجية: ضرورة المزاوجة بين العلم المسطور في الكتب وبين الواقع، وأن الواقع قد يؤثر على الفتوى فتختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والأزمنة والأمكنة، وأنه لابد في المفتي من إدراك النص وإدراك الواقع وإدراك الوصلة بينهما، وأن هناك فرقًا بين النص وتفسير النص وتطبيق النص، وأن كتاب الله المسطور لا يجوز أن يخالف

كتاب الله المنظور؛ إذ الكل من عند الله، وأننا ينبغي أن نعيش واقعنا بمناهج السلف ولا نقف عند مسائلهم، وأنه ينبغي ألا نقع في فخ تحويل المسائل إلى قضايا، وأنه ينبغي التمييز بين القطعي والظني، وأن تنزيل أحدهما محل الآخر من أكبر أسباب مصائب الأمة الآن، ومثل ذلك في فكرة الثابت والمتغير، وكان يؤكد لطلابه أن الإسلام أكبر منا، وأن هناك فرقًا بين فقه الفرد وفقه الأمة، وأننا ينبغي علينا أن نعمل على فكرة توليد العلوم.

وشيخنا قرأ التراث وامتلك ناصيته وفهم لغته العلمية بعمق، ثم عبر عن ذلك في اختياراته وفتاويه وبحوثه ودروسه بطريقة أقرب للعصر، مع كون مضمونها لم يخرج عن قواعد الشريعة وعلوم الإسلام وتراثه، فالحقيقة واحدة والصياغة مختلفة، وقال لي مرة: «أنا فهمت التراث كما فهمه علماء الأزهر، لكن المشكلة هي صياغة فقط، وعرضت على مشايخنا كثيرًا مما كنت أصل إليه، فكانوا يقرونني، وبعضهم كان يقول لي: دعني أفكر فيها».

ومن أكبر مميزات عقلية مولانا ﷺ أنها عقلية تنزع للتجريد والبحث عن الكليات والعلل البعيدة للقضايا والأشياء، وكان من ثمرات هذا ما صنعه من رد علم الأصول كله إلى نظريات سبع، وهي: الحجية، والإثبات، والفهم، والقطعية والظنية، والإلحاق، والاستدلال، والإفتاء. وشرح شيخنا هذه النظريات، ووجهَ تجريد علم الأصول إليها في لقاءات ومحاضرات متعددة، فسمع ذلك منه ذات مرة أحد المعتنين، وهو البروفيسور هشام نشابة مدير عام التربية والتعليم في بيروت ورئيس جامعة المقاصد، فقال له: «الآن فهمت الأصول، والله لا يستطيعها إلا من أشرف عليها من علو».

وهو بركة على كل من حوله، حتى إنني عندما كنت أقرأ أن الخضر عليه السلام

قد سمي بالخضر؛ لأنه كان إذا مر على بقعة اخضرت كان يقفز إلى ذهني صورة مولانا الشيخ علي؛ لأنه ما اتصل بشخص أو كيان أو مؤسسة أو مشروع إلا نهض به نهضة لا تدفع.

وأنا لم أقصد في هذه العجالة القاصرة أن أتكلم عن الشيخ بالطريقة التقليدية التي تعتني بذكر المولد، ومتى أخذ الشهادة الفلانية أو الجائزة الفلانية، ومتى تولى المنصب الفلاني ومتى تركه، فهذا مبذول معروف وهو لا شك مهم، لكنني أحببت أن أكتب عن سيدي الشيخ علي جمعة الذي عرفته عالمًا وأستاذًا ووالدًا ومربيًا ومرشدًا روحيًّا من خلال إلماحات مفيدة مختصرة قد لا يعرفها الكثيرون، تبين شيئًا من قدره، وتتضمن بعض المعاني التربوية المفيدة المنهضة للهمة، وأما تفاصيل سيرة الشيخ وما عشته معه وما سمعته من حكاياته وحكاياته عن المشايخ، وما رأيته منه ومعه من مواقف تربوية، والنهضة الصوفية التي قام بها، وجهوده في نصرة مذهب أهل السنة، وتجربتي معه في دار الإفتاء والنهضة التي أحدثها فيها، والمشروعات العلمية التي عمل عليها، وتفصيل الكلام على مدرسته العلمية، وعلى مؤلفاته، والدور الوطني المهم الشجاع الذي وقف فيه وقفة الأسد الهصور منذ اشتعال الفوضى في البلاد في ٢٠١١م، وجهوده في مقاومة الفكر المتشدد، وتعريته للجماعات المتطرفة والإرهابية حتى كان الثمن أن تعرض للاغتيال من خفافيش الظلام ونجاه الله تعالى بفضله ورحمته، وما فعله في خدمة المجتمع من خلال جمعية مصر الخير، وأسفاره، وغير ذلك، فيحتاج إلى مجلدات لضبط ما أذكره منه وأعرفه، وقدر الشيخ فوق ذلك لا يحيط به مجلد أو عشرة، لكنه جهد المقل الفقير بما يناسب المقام.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يبارك في عمر شيخنا، وأن يعطيه الصحة

والعافية، وأن ينفعنا به وبكل ما سرى إلينا منه من علوم وتربية، وأن يجعلنا أهلًا للانتساب إليه، وأن يعيننا على القيام بما أمَّله فينا ورجاه منا، وأن يديم علينا نعمة صحبته في الدنيا والآخرة، آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله.

***

الشيخ المربي الذي عمت فضيلته وبركته

بقلم د. إدريس بن محمد السعيد بن إدريس الفاسي
دارا ولقبا، الفهري أرومة ونسبا


نائب جامعة القرويين
فاس - المغرب

الحمد لله الذي خلق كل شيء كما ينبغي، الذي لا يُعَجِّل شيءٌ آناهُ وقدَّرَه. حسبي الله وكفى، سمع الله لمن دعا، ليس وراء الله مرمى.

وصلى الله وسلم بلسان عزته، على عروس مملكته، وإمام حضرته، وعين أعيان خلقه، سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه.

فضيلة الأخ الكريم اللوذعي، والعالم الجليل الألمعي، بعد خالص السلام والتحية:

فقد تذاكرت وإياك أشياء من إفادات الإمام الجليل الشيخ الدكتور نور الدين علي جمعة، وذكرت لك في تلك الأثناء، بأنه رجل عمت فضيلته وبركته، فاستفاد الناس منه رؤية صحيحة لهذا الدين المتين، والشرع الحكيم. وهي وظيفة الشيخ المربي المستمد من النور الهادي، والتنوير المستهدي بالأخلاق والأحوال المحمدية، التي تفرغ على صاحبها من الله تعالى ما يكون به راضيا مرضيا، هاديا مهديا.

ثم أردتني أن أكتب لك ورقة تشتمل على رؤوس أقلام مما تداولناه مشافهة، والحقيقة أنكم بذلك أولى؛ لما أمتعكم الله به من طول صحبته، وما استفدتموه من علمه وتربيته، عند انبساطه وانقباضه، وإطراقه وإحداقه، وسكوته وكلامه، وإشاراته وتصريحاته.

وأما الفقير المتحدث إليكم، فإنما التقيت بمولانا الشيخ مباشرة مرات معدودة، في أوقات محدودة، قد لا يكون مثلها كافيا في التعرف على مثله.

وإنما طاوعتك على الإجابة لأن قيمة تلك اللقاءات، وأثرها في نفسي، جاءا تتويجا للمعرفة غير المباشرة: من خلال ما خطَّته يمينه، وما أسسته لقاءاته ودروسه، من الوعي العام بين الناس، وعلى الأخص ما انعكس من أخلاقه وأحواله، على حوارييه من العلماء الأعلام، الذين كان أثره العميق في نفوسهم، مرآةً اطَّلعت من خلالها بعين قلبي وفكري على علمه المنير، وفكره المستنير.

وليس ما ذكرت لكم - أيها الأخ الصفي - عنكم بخفي، فإنكم أنتم أحد تجلياته الحسنى، ومظاهره الفضلى.

وليس ما ذكرت لكم من ذلك خاصا بأهل العلم، فإن تجلياته كما لمستها باديةٌ على العوام والخواص، من المحبين لأهل الله، والمنتسبين لأولياء الله، في طول مصر وعرضها، وما ينبئك مثل خبير، فإنني - كما تعلم - زوَّارُ الساحات، وملتمسُ البركات، ومحبُّ المحبين. وقد أتى عليَّ حين من الدهر كنت أزور مصر وأزور منها على التخصيص آثار الصالحين، ومجالس العلماء العالمين، فلا أزور موقعًا إلا وجدته عبقًا بذكر الشيخ عبد الحليم محمود - رحمه الله تعالى وألحقه بمنازل الأبرار - ثم صرت لا أزور موقعًا من مقدسات مصر، إلا وأجده عطرًا بذكر الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله تعالى، وأنزله في مقعد صدق بدار القرار. ثم صرت منذ زمان مضى، وإلى يوم الناس هذا، لا أزور موقعًا في مصر، ولا أطأ بها موطئًا من آثار الصالحين، ولا أطلع على مشروع من مشاريع العلم، ولا على

مشرع من مشاريع الخير؛ إلا وأجد فيه للشيخ علي جمعة قدَمَ صدقٍ، وسابقةَ خيرٍ، بل وتُفتح لي باسمه أبوابٌ ألج منها إلى القلوب قبل أن أُعرف، وأندمج بها في الحضرات والملتقيات بعد أن أُعرف.

وما فتح الله على يديه من مفاتيح الخير، وما أغلق الله بسببه من مغاليق الشر عن مصر، وغير مصر؛ وما نشره الله تعالى من طيب ذكره... وما فطر الله عليه القلوب من عظيم حبه... لا يمكن أن يكون عن تدبير بشريٍّ متأسِّسٍ على منهجٍ وقواعدَ معينةٍ مهما كانت، أو متوسِّلٍ بوسائلَ ماديةٍ مهما بلغت.

وحيث طلبت- أيها الخل الوفي- أن أحدثك عن أصل هذه المكانة، وسر هذا الأثر في تقديري المتواضع؛ فالحق والحق أقول، وهو ما لا يخفى على كريم علمكم؛ لأنه أمر مأثور متفق عليه عن أبي هريرة، ينميه إلى خير البرية، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام والتحية: «إذا أحب الله العبد؛ نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحبِبْه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض».

وأما إذا أردت أن أذكر لك من ذلك ما هو ملموس محسوس؛ فإنني أجده بعد التأمل على ثلاثة أنواع:

- نوع متعلق بالعلم. وهو استيعاب الشيخ علي جمعة لأصول هذا العلم وفروعه، وأدواته ووسائله، مسندًا عن أهله، متصلًا بأصله، رواية ودراية عن طريق الأئمة الأعلام، لا يستغني فيه بما هو مرقوم عما هو مسموع، ولا بما هو مسموع عما هو مرقوم.

تسمع منه الإشارات والمفاتيح العلمية التي لا توجد في كتاب، وإنما هي فائدة بدرت في مجلس درس، أو إفادة وعاها في جمع لأهل الله.

وتستفيد منه الطرفة التي لا توجد إلا في غميس الكتب التي قد لا تتوفر في كبريات المكتبات، وإذا بها مكنونة في مكتبته دون غيرها من المكتبات.

- ونوع متعلق بالعمل. لا يسمع بشيء من الذكر؛ إلا كان له ذاكرًا، عن تقدم إذن، واتصال سند، وحقيق معرفة. ولا يعلم سنة من السنن؛ إلا كان بها عاملًا، عن تمييز بما يعُم منها ويخُص، وما يجتمع منها مع الواجب، وما يأتي بعد الواجب، وما يتعين في الوقت تعينَ الواجب. تسمو همته في تطلُّب سبل الخير والفضل؛ فيكون لها بشخصه سابقًا، أو لاحقًا. ويُستنفَر لسبل الخيرات فيكون إليها نافراً نفرة النمر إلى بغيته، ويسمع بما يسوء حالًا أو عاقبة من القول والفعل؛ فيكون عنه مُنَفِّرا، وبعاقبته مُنْذِرًا.

- ونوع متعلق بالحال. وهو حال الصدق مع ربه، ومع نفسه وغيره. تعرِف ذلك في لهجته ودعوته، وإقدامه وإحجامه. بل قد تحسبه من إقدامه متهوِّرًا، وإنما أقدم متوكِّلًا. وقد تحسبه من إحجامه متقاعسًا؛ وإنما أحجم لحكمة قد لا يدركها بعض الناس في الحال، وإنما تبدو لهم محاسنها في المآل.

وقد امتنَّ الله بوجود هذا الشيخ الأمين في هذا الزمن الذي كاد فيه السند الأزهري أن ينقطع. بسبب كيدٍ متينٍ متتابعِ الحلقات لا يخرج فيه الناس من ظلمة إلا دخلوا في ظلمة. ولولا أن الـمُسَمِّيَ يُعَدُّ مبتدعًا؛ لسمَّيتُ لك الأسماء، وبيَّنتُ لك الصفات، وأبدأت وأعدت، وأصَّلت وفصَّلت. ولكن اقنعْ مني بهذه الجملة،

ولا تطالبني بالتفصيل. وإن شئت التصريح بدل التلميح فيكفيك أن الشيخ نفسه- حفظ الله نفسه ومعناه- قد اختصر الموضوع في كلمة واحدة، حيث أطلق على مجموع ما ظهر وانتشر من أولئك الكائدين وصف «النابتة».

وقد سعت هذه النابتة- وإخوانهم يمدونهم في الغي- بوسائل وإمكانات هائلة واستراتيجيات مهولة إلى زعزعة الثقة بعلماء الأزهر وعلمهم، من خلال أفكار غريبة عن روح الإسلام وهديه... وها أنت ترى اليوم كيف تَـجُبُّهُم هيبة الشيخ عليٍّ، وكيف تعتليهم هيبة الأزهر الشريف العليِّ.

فحفظ الله الشيخ عليًّا بما حفظ به الذكر الحكيم، وبارك في وجوده وجهوده. وحفظ الله من هم في دائرته، وعلى شاكلته من العلماء. وحفظ الله أرض مصر وما عليها، وحفظ الله بلاد المسلمين وأهلها من جميع ما يريبها، وأعاننا جميعا لتبليغ الرحمة المهداة إلى الإنسانية في عمومها.

والسلام عليكم أخي الكريم في البدء والختام.

***

الإنسان المشرق

بقلم د. أسامة العبد



رئيس لجنة الشئون الدينية والأوقاف بمجلس النواب المصري ورئيس جامعة الأزهر الأسبق

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، ثم أما بعد:

فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، هو صاحب علم عريض، ورأي مستنير، وإنتاج غزير تشهد عليه كتبه ومؤلفاته، وتشهد عليه بحوثه ومشاركاته في المجالات الإسلامية والعلمية، وفي تأسيس كثير من المشروعات، والاضطلاع بالعديد من المهام، وأنشطته العلمية بغير عدٍّ، وحضوره الدافئ المفيد وما يبديه دومًا من آراء قيمة عميقة متبحرة.

أرى أنه لا ريب بأننا نستطيع أن نطلق على فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة- عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف- وصف الإنسان المشرق، وإشراقته المعنوية في الحقيقة تتألق؛ لأنها نابعة من قلب عامر بحبِّ الحق بمراتبه وتجلياته كافة، لأنَّه لم يمِل إلى هوى النفس، أو حبِّ الذات، أو الجري وراء الدنيا، أقول ذلك تأكيدًا على النماذج المشرقة في أمتنا اليوم، لنؤكد المبادئ والقيم التي يمثلونها؛ لأنها تُحارب من قِبل قوى متشددة ومتعصبة؛ تسعى لتدمير وحدة الأمة بكل الوسائل والأساليب المتاحة.

وفضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة يعتبر نجمًا ساطعًا في سماء الدعوة الإسلامية، وهو عالم فريد في مجالات الدين والإعلام، والثقافة والفكر وحوار الأديان، ونشر ثقافة التسامح بين الشعوب.

فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة بعيدًا عن مكانته العلمية تعدَّى كل ذلك إلى أدوار اجتماعية، تفاعل فيها وتلاحم مع المجتمع، وقاد مشروعات خيرية انتفعت بها آلاف الأسر من مسلمين وأقباط.

إن تواجد فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة بعلمه الغزير وغيرته الدينية على شئون المسلمين في كافة ربوع الأرض؛ وبالتحاور الهادئ الرزين في كافة المؤتمرات العلمية في العالم أجمع -كان له الأثر الواضح في نشر الدعوة الإسلامية السمحة في العالم أجمع.

أما عن شخص فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة في الجانب العلمي فالرجل عالم لغوي أصولي فقيه، ومؤلفاته وكتبه المحققة ومدرسته العلمية شاهدة على عظيم فضله وسمو مكانته.

وقد كان الحضور الفكري لفضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة في الساحة الثقافية والفكرية والإعلامية بابًا كبيرًا من أبواب التعريف بالإسلام.

ولعل الدور الشخصي لفضيلة الشيخ علي جمعة؛ الذي أفاض به من غزير علمه وسعة صدره ووعيه؛ كمواطن مسلم وعالم جليل في ذات الوقت بالمستجدات التي تطرأ دائمًا على الساحة المحلية أو الدولية -دورٌ يستحق الإشادة بما أسبغه عليه من فضائل وصفات شخصية أضافها إلى طبيعة عمله فأعطت للعلماء من خلاله مذاقًا مختلفًا في التحضر والقدرة على المبادرة والتعامل الآني والمستقبلي الواعي مع المشكلات.

ولعلنا نذكر أيضًا دوره في رئاسة مؤسسة مصر الخير كعمل مجتمعي عملاق، فرض نفسه وترك بصمة على امتداد ربوع مصر من خلال خدمات مباشرة وغير مباشرة استهدفت شرائح أُهمِلت كثيرًا، وأضناها الفقر والعوز والحاجة.

ونختم قائلين عشرُ سنوات قام بها فضيلة الإمام علي جمعة على دار الإفتاء حتى جعلتها مدرسة الإفتاء الأولى في العالم، يحجُّ إليها الجميع راغبًا في التعلم والإنارة والتزود.

حفظ الله أمتنا بأمثال شيخنا الجليل وأخذنا إلى طريق الصلاح والإصلاح.

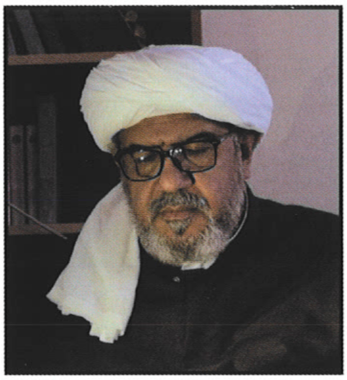
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

***



المرجع العظيم في قضاء حوائج الناس

بقلم الشيخ أسامة منسي



من علماء مكة المكرمة

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

الحمد لله رب العالمين، حمدًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وأتباعهم إلى يوم الدين.

فبناء على طلب أخي فضيلة الشيخ الدكتور مجدي عاشور -نائب مفتي جمهورية مصر العربية- في مشاركتي الكتابة عن مولانا وشيخنا العلامة الفقيه الأصولي المربي الدكتور علي جمعة- عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، ومفتي جمهورية مصر -سابقًا- فإني أتقدَّم بالشكر لفضيلة د. مجدي عاشور على إتاحة هذه الفرصة لي، فالحمد لله أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا.

فأقول إني ممَّن تشرَّف برعاية د. علي جمعة - حفظه الله - رعاية خاصة، عندما أكرمني الله بتوجيهي لمصر من شيخي السيد محمد بن علوي المالكي الحسني - رحمه الله تعالى- بإقراء كتاب الموطأ لسيدنا الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة - رحمه الله تعالى- وبالتحديد في مضيفة شيخه فضيلة الشيخ اسماعيل صادق العدوي، فتمَّ الإقراء بالسند المتصل ولله الحمد، ثم كان اللقاء الثاني في مضيفة د. علي جمعة، على كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ. وبعد الختام قمت بزيارة د. علي جمعة في منزله، فرحَّب بي أيَّما ترحيب، وأهداني نسخته الخاصة من كتاب المدخل لدراسة كتاب الشفا للكتَّاني وكتبًا له، ثم بعد ذلك كان كرم الله عليَّ بإقراء صحيح البخاري في مضيفة الشيخ محمد الحافظ التيجاني رحمه الله تعالى

بحضور فضيلة الشيخ أحمد محمد الحافظ التيجاني، وبعد هذا تمَّ انتقال الدرس إلى مسجد د. حسن عباس زكي رحمه الله تعالى، وكان لقراءة صحيح الإمام مسلم تحت رعاية د. علي جمعة، وتلا هذه القراءة سنن الترمذي فأبي داوُدَ فالنَّسائي فابن ماجه - رحمهم الله تعالى- وكان لرعاية د. علي جمعة للدرس سببًا من أسباب الاستمرار، وتخطي عقبات كثيرة مختلفة؛ يطول الكلام عنها.

فتلمس من شخصية د. علي جمعة شخصية العالم المتبحر في علمه، المربي لمن يلوذ به، صدرًا رحبًا، وجاهًا واسعًا، وعلاقات بأهل الحل والعقد في جمهورية مصر العربية - حرسها الله- ما يجعله مرجعًا عظيمًا في قضاء حوائج الناس، على اختلاف طلباتهم وحاجاتهم، فيده ممدودةٌ بالعون لَمن يطلبه، فهو يهتمُّ بالصغير والكبير؛ ليُدخل فرحًا ويؤنس محزونًا، ويبني لبنةً ويفتح بابًا من أبواب الخير، فكم فتح من درسٍ ومعهدٍ ومدرسةٍ وأكاديميةٍ، مع انتشارٍ واسعٍ في مجال وسائل التواصل المعاصرة، بأسلوبٍ سهلٍ ممتنعٍ، متبحر فما تجلِس مستمعًا إلا وتسمع من جملة الفوائد الجديدة التي تسمعها لأوَّل مرة، ففكرُه الإسلامي من أوسع مَن رأيت، وإذا كان لك معَه لقاءٌ فهو الحريص على دقَّة الوقت والاهتمام به اهتمامًا ملفتًا، مما يدلُّ على شخصية عجيبة ودقيقة، وأذكر من ذلك ما جرى في موسم حج عام ١٤٤٠هـ حينما تمَّ الاتِّفاق مع مولانا د. علي جمعة على ترتيباتٍ خاصة تخصُّ بعض مرافقيه فرأيت ما أبهرني في عنايته به وبمواعيده، ممَّا كان له بالغ الأثر في نفسي، وهذا موقف من مواقف التربية، فالعناية بالناس وقضاء حوائجهم ممَّا كان عليه هديُ سيدنا رسول الله ﷺ.

ومن مواقف التربية النبوية التي تأصَّلت في د. علي جمعة حبُّه لإطعام النَّاس، متمثِّلًا فيه قول الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ

﴿لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨-٩] فلمَّا ذهبت لاستئذانه في أنَّ درس سنن الإمام النسائي لابدَّ أن يستمرَّ شهرًا في مسجد د. حسن عباس زكي - رحمه الله تعالى- في شهر الصيف الماضي؛ فاقترحت أنَّنا نلغي الطعام لطول المدَّة، فقال: «سنطعم الطلاب، حتى يزدادوا سمنًا، وأيش يعني شهر». فلمست من كلماته تشجيعًا وتحفيزًا على مداومة الدرس في كتب الحديث النبوي، وأني لا أحمل همَّ شيء فيما يتعلق بترتيب أمور الدرس فطالما أنها تحت رعايته وعنايته؛ فهو يتولَّى ترتيبها، مع مشاغله الكبيرة والكثيرة جدًّا، فهو شخصية موسوعية في علمه، شخصية إدارية فذة من الطراز النادر، فيسعدك بمشورته، ويفتح لك أبوابًا من التفاؤل والفرح بدين الله، والدعوة إلى الله على بصيرة.

وهو في تصوفه يدعو إلى التصوف المرتبط بالكتاب والسنة، تصوف الصحابة ﷺ ومن بعدهم من التابعين وأتباعهم كأئمَّة المذاهب الأربعة - رحمهم الله تعالى، فالتصوف هو الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». وقد حضرت دروسًا كثيرة في مسجد فاضل لشيخنا ورأيت حرصه الشديد على ذلك، فهو العالم المتبحر في علوم التزكية والتربية ممَّا تلقاه عن مشايخ الجامع الأزهر الشريف كابرًا عن كابر، ولما أعلن تأسيس الطريقة الصديقيَّة الشاذلية، لا يعني هذا أنَّ هذا التأسيس طارئ في حياته أو أنه أمر جديد، لا؛ بل هذا إعلانٌ للمنهج في أسلوب الفكر والذكر؛ لأنَّ منهج الطريقة متلقًى أيضًا عن مشايخه بالسَّند المتَّصل إلى رسول الله ﷺ، ومن أصول التصوف نبذ كلِّ ما يخالف كتاب الله - عزَّ وجلَّ- وسنة رسوله ﷺ.

والعلم الشرعي بالسند المتصل- على منهج الوسطية التي هي السواد الأعظم من أمة سيدنا رسول الله ﷺ هو المنهج الصحيح، وهم طائفة الحق التي بشَّر بها سيدنا رسول الله ﷺ، وهو منهج د. علي جمعة، فليس ثمَّة شيء خارج عن المنهج أبدًا.

وفي الختام أشكر الله عزَّ وجلَّ على هذه الفرصة السانحة المباركة، وأدعو الله – سبحانه وتعالى– أن يديم على فضيلة د. علي جمعة الصحة والعافية والقوَّة والهمَّة ودوام العطاء الرباني، وهذه فرصة للتعبير والمشاركة في هذه المناسبة وهي بلوغ السبعين عامًا بالتاريخ الهجري.

***

الإمام العلامة

ودوره التجديدي في الصحوة الأزهرية المعاصرة

بقلم الشيخ أشرف سعد محمود أحمد



من علماء الأزهر الشريف
مقدم الطريقة الصديقية الشاذلية
- مصر

الكتابة عن مولانا الإمام العلامة، شيخ الإسلام، نور الدين والدنيا، شيخي ووالدي، ومن له ظاهرًا وباطنًا نسبتي، الأستاذ الدكتور علي جمعة -وإن كان أمرًا محببًا إلى قلب خادم من خدامه، ومريد من مريديه، ومحب عاشق لجنابه الشريف؛ لكنه في نفس الوقت أمر صعب بكل المقاييس، حيث تقصر الكلمات وتعجز العبارات عن التعبير عما يجيش في النفس تجاه هذا النجم الأغر، والجبل الأشم، والطود الشامخ، وبطبيعة الحال فإنَّ أي كلام يكتب عن هذه الشخصية المحمدية الفريدة المجددة المجاهدة، لا يمكن أبدًا أن يوفيها حقها، أو أن يبلغ شأوها، ولكن حسبنا من القلادة ما أحاط بالعنق.

كل من اقترب من مولانا الإمام العلامة من المريدين والمحبين، وطلبة العلم والعلماء، بل وعامة الناس يدرك بجلاء أنه أمام شخصية نادرة فريدة، تختلف جذريًا عن كل من لقيه من أهل العلم والعلماء العاملين، ويكاد يعجز عن إدراك السر في ذلك أو أوجه الاختلاف؛ فهناك أسباب باطنية وسر خفي لا يعلمه إلا الله تعالى، فمفتاح شخصية الإمام العلامة هو الإخلاص لله تعالى والتوكل عليه في كل ما يقول وكل ما يعمل وما يأتي وما يذر، والخروج عن رؤية النفس، وعدم الالتفات إلى السِّوى، والاعتصام بلا حول ولا قوة إلا بالله؛ حتى صارت منهج حياة يعيش بها ولها، ويربي أتباعه عليها، فاصطفاه الله تعالى لمرتبة كبيرة من مراتب

الوراثة المحمدية والولاية الربانية، لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى.

وثمة أسباب أخرى ظاهرة تدل على عظمة شخصية الإمام، فالإمام العلامة يعد علامة فارقة في تاريخنا المعاصر بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان، فهو علامة فارقة في تاريخ مؤسسة الأزهر الشريف، وعامل من عوامل البعث والتجديد فيها، وصاحب أكبر نهضة علمية معاصرة في تاريخ الأزهر المعاصر؛ بإحياء التدريس بالأروقة الأزهرية، وبث علومه الشريفة التي تلقاها من المشايخ المتقنين؛ كالعلامة الفقيه الأصولي الحسيني الشيخ، والعلامة المدقق الأصولي عبد الجليل القرنشاوي، والعلامة مجدد أصول الفقه محمد أبي النور زهير، والعلامة المجدد الفقيه الأصولي المحدث القطب السيد عبد الله بن الصديق الغماري، وغيرهم من أساطين الفقه والأصول والحديث واللغة والمعقولات.

ومولانا الإمام العلامة علامة فارقة في تاريخ التصوف المعاصر والدعوة والتربية؛ حيث جدد معالم التصوف، وأكمل مسيرة أشياخه المجددين كالسيد الإمام الرائد محمد زكي الدين إبراهيم، والولي الصالح الإمام صالح الجعفري، والسيد المجدد عبد الله بن الصديق الغماري، والسيد الإمام محمد الحافظ التيجاني، والإمام الحكيم أحمد المرسي النقشبندي، والسيد الولي الصالح حسن عباس زكي، والشيخ أحمد حمادة النقشبندي، وغيرهم كثير، فاجتمعت في قلبه الشريف روافد عدة من أنوار الولاية الصوفية، واتحدت في ذاته المباركة أسرار لا متناهية من الوراثة المحمدية، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

والإمام العلامة نور الدين والدنيا علامة فارقة مؤثرة في واقعنا وحياتنا الاجتماعية المعاصرة، فقد كان حاضرًا وموجهًا ومؤثرًا في واقعنا المعاصر في كافة الأحداث الكبيرة، والقضايا الجسيمة التي أثرت على مصر والعالم بشكل كبير،

وخاصة في أحداث يناير ٢٠١١م وما بعدها، كان ﷺ عصمة لمصر وأهلها من الفتن الظاهرة والباطنة، لم يتردد لحظة واحدة في الجهر بالحق ورَدِّ الناس إلى الجادة، وعمل مجاهدًا صابرًا على تجنيب البلاد والعباد ويلات مخططات الشر؛ التي كادت أن تسوقنا جميعًا إلى الهلاك والهاوية؛ لولا أن لطف الله بنا بكلمة حق جهر بها الإمام في وجه قوى التطرف والإرهاب، وكاد ﷺ أن يدفع حياته الشريفة شهيدًا ثمنًا لذلك؛ لولا أن نجاه الله تعالى وحفظه وكتب له أجر الشهداء وهو سالم، معافى بين الأحياء ﷺ.

ولنبدأ من الأزهر الشريف؛ حيث جدد مولانا الإمام العلامة ما اندرس من معالم التدريس العلمي القديم في أروقة الأزهر الشريف، فقد بدأت الحوزة العلمية حلقة صغيرة لا يتجاوز عدد الطلاب فيها خمسة طلاب شرفني الله تعالى بأن أكون أحدهم، ولا يمكن بأي حال لأي ناظر إلى هذه الحلقة أو البذرة الصغيرة البسيطة أن يتصور أنها سوف تستمر وتنمو وتتطور؛ لتصبح أحد أهم روافد النهضة العلمية الحديثة؛ لا في الأزهر الشريف وحده بل في العالم الإسلامي كله، وهذه سمة ظاهرة من سمات كل أعمال وجهود مولانا الإمام العلامة، فكثير من الأمور والأعمال تبدأ عنده صغيرة لا يكاد أن يراها أو يتصور مستقبلها المشرق الباهر أحد من الناس، ثم لا تلبث أن تنمو كشجرة كبيرة، وارفة الظلال، طيبة الثمار، والسر في ذلك هو الصدق والإخلاص والحب الذي يسقي الإمام به أعماله فيجعلها الله نامية مباركة.

لقد ابتعث مولانا الإمام العلامة في هذه الحوزة المباركة من أول يوم نمطًا فريدًا من التدريس، لا يقتصر على فك مقفلات كتب التراث ولا حل معضلاتها؛ بل اهتم جدًّا بربط التراث بالواقع المعاصر، وبالنوازل الحديثة، لقد كنا نقرأ التراث من قبل في المعاهد والكليات الأزهرية والحلقات العلمية، وكنا نجد أنفسنا أمام نمطين من

القراءة لا ثالث لهما:

إما أن نجد نمطًا جامدًا يريد أن يطوي الواقع المعاصر في دهاليز التراث، ويحاكم قضايا الواقع لمفاهيم ومعانٍ تجاوزها الزمان، وهي قراءة جامدة سببت كثيرًا من المشكلات، ونفرت كثيرًا من الناس وأبعدتهم عن حظيرة الدين والتدين بشكل عام، أو تسببت في خلق روح من العصبية والجمود والانغلاق أدت إلى التطرف والعنف والتشدد.

وأما النمط الثاني فقد كان نمطًا عجيبًا، لا يمثل التراث بالنسبة له إلا صنعة أو حرفة، فهو تراث نقرأه ونحفظه ولا نستفيد منه شيئًا، تنتهي الصلة بيننا وبينه فور إغلاق الكتاب وفهم ظاهر العبارة، فنظل نحمل كنوزًا لا نعرف لها قيمة، ولا نستطيع تفعيلها في دنيا الناس وواقعهم، والنتيجة معروفة على كلا القراءتين: إما بُعد الناس عن العلم والدين، أو الوقوع في شباك الدين الموازي الذي روجت له الجماعات المتطرفة.

وهنا يأتي أهمية الدور التجديدي العظيم الفريد الذي قام به مولانا الإمام في قراءته الدقيقة الواعية لكتب التراث على اختلاف مشاربها وتعدد أنواعها، وهذه القراءة أثرت في عقولنا وإدراكنا، ولا أكون مبالغًا إذ أقول جعلتنا نشعر بالحسرة والندم على ما ضيعناه من أعمارنا، ونحن نظن أننا على شيء من العلم أو الفهم الذي لم يتجاوز العبارة، فقراءة مولانا الإمام حافظت على الثوابت، وراعت المتغيرات، ووظفت التراث في خدمة الواقع؛ عن طريق تفعيل قواعده ومناهجه، مع تجاوز مسائله التي لم يعد لها وجود في الواقع.

كانت قضية امتلاك مفاتيح قراءة التراث وفهم أصوله ومناهجه وقواعده وأسراره تساعدنا في تفعيل هذا الفهم في الواقع، وهذا النمط الفريد المنهجي

الذي أحياه مولانا الإمام في قراءة كتب الفقه والأصول والتفسير والعقيدة والمنطق والجدل واللغة والتصوف، وغيرها من العلوم ربطها بما يدور في الساحة المعاصرة من تطورات فكرية ونظريات فلسفية حديثة؛ كالذاتية والموضوعية، والإطلاق والنسبية، والعلمانية الشاملة والجزئية، والقراءة التأويلية المعاصرة والتاريخية، وكان من مميزات الحوزة العلمية النقاش المطول المفتوح الهادف الهادئ العميق، لم يكن مولانا الإمام أستاذًا بارعًا فذًّا وحسب، بل كان مستمعًا رائعًا، كان يسمع لنا ويتأمل كلامنا على سطحيته وبساطته، ولم يكن من عادة المشايخ أن ينصتوا لكلام طالب مبتدئ يشرِّق ويغرِّب في الحديث حتى يصل إلى مبتغاه وسؤاله بصعوبة، فما يكون منهم إلا الإشاحة عنا إذا لم نحسن صياغة السؤال، وهنا تبرز سمة أخرى من سمات مولانا الإمام ألا وهي سمة الصبر الجميل على طلابه، وسعة صدره على الاستماع لنا، مع ما يحمله الكلام ربما من ركاكة أو تكرير أو سطحية، وبعدما ينتهي الطالب من السؤال على طريقته؛ يبدأ مولانا الإمام قبل الجواب- وبعدما قرأ ما في ذهن الطالب ولم يحسن التعبير عنه- في إعادة صياغة السؤال بطريقة علمية مختصرة، ثم يبدأ في الجواب بشكل مفصل، ومن هنا فقد علمنا مولانا الإمام فن صياغة السؤال، وترتيب الأفكار، وحسن التعبير، وترك الشغب والجدال العقيم جانبًا.

لقد استشعرنا من طريقة مولانا الإمام أنه يعيد صياغة العقول وترتيبها وتهذيب النفوس وإصلاحها، واستشعرنا أيضًا أن الحلقة ليست مجرد حلقة تعليم أو قراءة كتب علمية، إنها حلقة بعث وإحياء وتجديد وتربية.

ومن هنا فقد تحولت الحلقة شيئًا فشيئًا إلى مجلس علمي جامع، يلتف حوله كثير من الطلاب والدارسين والمفكرين من أنحاء العالم الإسلامي، وتخرج من هذه الحلقة الرائعة مئات بل آلاف الطلاب من المصريين والوافدين وكثير من

العلماء المشايخ؛ الذي أفادوا بمنهج مولانا الإمام جماهير الأمة الإسلامية شرقًا وغربًا، ولا أنسى كلمة قالها مولانا الإمام في الحوزة الأزهرية، قال: «الحوزة نسق مفتوح» بمعنى أنها لتخريج العلماء الذي يقومون بواجبهم في التعليم والدعوة والتربية، فتمتد آثارها إلى الأجيال تلو الأجيال، وليست مجرد حلقة تعليم، فقد أحيا مولانا الإمام فكرة الإسناد والرواية والإجازة في كتب الحديث وغيرها.

وبالجملة كنا نرى أنفسنا أمام عالم موسوعي فريد نادر المثال في كافة جوانبه الشخصية والإنسانية، واسع الثقافة والاطلاع، شديد الصبر والجلد على البحث والمعرفة وتتبع المعلومات وربطها برباط عقلي وثيق.

وجدنا في شخصية الإمام شخصية الوالد الحنون الذي يرعى أولاده، ويتتبع شئونهم وأحوالهم، ويحمل همومهم ويساعد في حل مشاكلهم المالية والاجتماعية والأسرية، وقد أعد مولانا الإمام وقفية مالية ورواتب شهرية لكي نتفرغ لطلب العلم، ولم يكن الأمر يقتصر على الرواتب الشهرية؛ بل شمل أيضًا توزيع كتب العلم، والمساعدة في كافة الملمات التي لا يتسع لها الراتب الشهري، وكان هذا العطاء يشمل المصريين وغيرهم، فمن عادة مولانا الإمام أنه حاتميُّ الكرم، لا يفرق في العطاء بين مصريٍّ وغيره؛ بل ولا بين موافق ومخالف، والأمر في هذا مشهور معروف، والخلاصة أنه حاتميُّ المذهب، كريم العطاء، واسع الجود، ينفق إنفاق من لا يخشى الفقر رضي الله عنه.

أيضًا حرص مولانا الإمام على بث روح الحب والمودة والإخاء بين أبنائه وطلابه؛ لأن الحب يشغل مساحة كبيرة في حياة مولانا ومنهجه، فمنذ أن اكتحلت عيناي برؤيته رضي الله عنه وهو يرشدنا إلى أهمية الحب وقيمته، ويتردد على لسانه رضي الله عنه كثيرًا: «أحبوا بعض» وفي يومٍ ما استدعاني فضيلته وأحدَ إخواني الأحباء

للمشاركة في عمل علمي، وقبل أن يشرح لنا المنهج والمطلوب قال لنا: أهم شيء «تحبوا بعض» مهما رأيت من أخيك من خطأ فأحبه وأقل عثرته. ولا تزال هذه الكلمات تتردد في أذني إلى اليوم، ولا يزال مولانا يؤكد لنا في كل مناسبة على أهمية وقيمة الحب في حياتنا، هذا غيض من فيض فيما يمكن أن يقال عن تجربة الحوزة العلمية الأزهرية، وإلا فالحوزة قد أحدثت تغيرًا واضحًا في حياتنا الفكرية المعاصرة وناهضت الأفكار المتشددة، وغيرت كثيرًا من المفاهيم المغلوطة، وحرَّكت المياه الراكدة، وأحيت الهمم، حتى أكاد أجزم أن معظم الجهود العلمية والمدارس الأزهرية التي قامت على المنهج الأزهري هي من نتاج هذه الحوزة المباركة.

ردت طريقة مولانا الإمام في العلم والتربية كثيرًا من الشباب عن الأفكار المتطرفة الشاذة التي كانت رائجة، وأوجدت تيارًا أزهريًّا وسطيًّا قويًّا جذب قلوب الشباب وطلاب العلم إليه، واستشعر مشايخ وزعماء هذه الجماعات الحرج الحقيقي؛ فشنوا حربًا لا أخلاقية اتسمت بالغوغائية وقلة الديانة، لكن الله تعالى نصره، ورفع قدره وأيده، وزاد من انتشار وذيوع دعوته الشريفة في الخافقين، ولا زالت هذه الحركة المباركة هي حائط الصد القوي المنيع الذي يدفع ضلالات وانحرافات هذه الجماعات حتى هذه اللحظة.

كانت الحوزة الأزهرية ولا زالت رافدًا علميًّا مهما للطرق الصوفية، وللدفاع عن التصوف وإقامته في حياة الناس على قاعدة من العلم الشرعي الأزهري المتين، فقاعدة الإمام في التصوف هي قاعدة الإمام الجنيد رضي الله عنه «طريقنا هذا مقيد بالكتاب والسنة».

كانت رحلة الإمام العلامة في بحار التصوف رحلة عميقة، فقد نهل كما ذكرنا

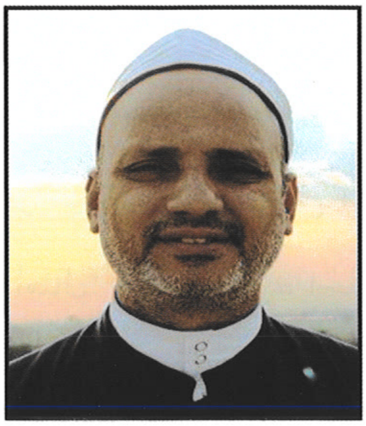
من موارد صافية، ومشارب نقية، وعايش الأولياء وكان من أبنائهم الأوفياء المخلصين، صور لنا حياتهم وأحوالهم تصويرًا دقيقًا، حتى رأينا هذا في أخلاقه وفي قوله وفي عمله ﷺ، وكان من نتاج هذه المسيرة الصوفية المباركة أن أسس مولانا الإمام الطريقة الصديقية الشاذلية؛ التي أقامها على العلم والمعرفة والحب والإخاء والخدمة، وأقامها أيضا على احترام وتقدير كل رجال الله من السادة الصوفية، وعلى احترام الطرق الصوفية وأهلها ومشايخها الكرام، وأوصانا بالتواصل مع الطرق الصوفية والتعاون مع أهل الله تعالى على البر والتقوى، وعلى كل ما يدفع مسيرة التصوف في طريق الخير والحق، ولا شك أن كثيرًا من الآمال الطيبة معقودة على مولانا الإمام في تجديد المسيرة الصوفية، ونحن لا نزال ننهل وننهل من بحار وأنوار مولانا الإمام العلامة.

ولا زالت تبدو لنا في آفاق شخصيته الكريمة ﷺ أعلام تلو أعلام، وخصال فوق خصال، وشمائل بعد شمائل، بحيث يقصر القلم، ويكل اللسان، ويعجز الكلام عن التعبير والإحاطة، والله تعالى حسيبه ووليه وناصره وممده، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

***

ربَّاني هذه الأمة

بقلم د. السعيد محمد علي



وكيل وزارة الأوقاف – مصر

تبدو ربانية هذا العالم الجليل الأستاذ الدكتور علي جمعة مفتي الديار المصرية في عدة جوانب، أبرزها: العلم، والرحمة، والهمة، والتي تمثل- من وجهة نظري المتواضعة- معالم تلك الشخصية الثرية الفريدة المباركة، ويؤكد هذا تحقق فضيلته بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩] مع ما ورد في الأثر أن عبد الله بن عباس ب لمَّا مات قال فيه محمد بن الحنفية: «مات ربَّاني هذه الأمة».

وأبدأ دخول تلك الرحاب الطيبة العامرة بذكر ارتباطي وعلاقتي المباشرة بسماحته- حفظه الله- يوم أن كنت واحدًا ضمن مجموعة تحت إشراف معاليه في «دورة الأئمة الروَّاد الأولى» لنخبة من علماء وزارة الأوقاف خاصة، بمعسكر أبي بكر الصديق بمدينة الإسكندرية، في الشهور الأولى من عام ٢٠٠٣م، حيث لفت نظر الجميع وأَسرهم بعلمه الغزير، وخلُقه الكريم، الأمر الذي جعلني منذ ذلك الحين أدين له بالفضل، فقد رأيت فيه رجلًا قد امتلأ علمًا وصدقًا وإيمانًا ويقينًا، ورأيت فيه نمطًا مختلفًا من طراز خاص لشيوخ الأزهر الشريف، ورأيت فيه جرأة وحكمة وهمة، قلما تجتمع إلا في صادق صالح موصول.

ثم إن المتأمل لأبعاد شخصية هذا العالم الفذِّ لا يملك إلا أن يصفه بالرجولة في

الإيمان، والفحولة في العلم مع طيبة القلب، ووصفه بأنه في الخير بحر لا ساحل له، ويدرك كذلك المتأمل عن كثب- بل ويسلِّم في ذات الوقت لنتيجة لا يمارِي فيها إلا مغرض: أنه نسيج وَحْدِه، وقلما يجود الزمان بمثله، وكيف لا؟ وهو امتداد لطائفةٍ من العلماء والدُّعاة والمفكرين الروَّاد، الذين أثرَوْا الدعوة والثقافة والحياة الإسلامية على مدى عدة عقود، وعلى رأسهم شيوخ الأزهر المبرزون، أمثال: الدكتور عبد الحليم محمود، والشيخ محمد زكي إبراهيم، والشيخ محمد متولي الشعراوي، والشيخ إسماعيل صادق العدوي، والشيخ محمد الغزالي، والشيخ عطية صقر، والدكتور أحمد عمر هاشم، والدكتور محمد عمارة، وغيرهم من الذين اضطلعوا بمسئوليتهم تجاه قضية تجديد الدين، واستطاعوا أن يكشفوا للعالم أجمع عن وجه الدين الصحيح دونما تقصير أو مغالاة، ليأخذ طريقه إلى العقول السليمة والنفوس الصافية والقلوب النقية.

أولًا- العلم:

حرص شيخنا الموهوب- حفظه الله- أن يكون في رحاب الجامع الأزهر طالبًا للعلم على أيدي المشايخ والأساتذة حتى تبوأ شرف التدريس في الأزهر - جامعًا وجامعة- حيث استجمع أدوات العلم والمعرفة مبكرًا، فحُقَّ له أن يكون بارعًا ليس في تخصص واحد من العلوم؛ بل في العديد منها، وخاصة أمهات العلوم والفنون، ولست أعدو الحقيقة إذا قلت: هو متفرد في جميعها، وهذا شأن العالم الأزهري الموسوعي، الذي صار العلم له سجية.

سمعته أذناي وهو يقول: سلوني فيما بين السماء والأرض! ويومئذ دعاني

فضولي إلى أن أوجِّه إليه معضلة علمية كانت تمثل إشكالية عندي، فقلت له: كيف نوفق بين قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح:١٥، ١٦] والذي أكده بعض علماء التفسير أن الشمس في السماء الرابعة، وبين ما أثبته العلم أن الأرض تدور حول نفسها كل يوم مرة، وأنها تدور حول الشمس كل عام مرة، فأجابني بكلمة: هذا من حيث النظر لا نفس الأمر، وعلى هذا جرى أسلوب القرآن في تقرير الحقائق الكونية، لأن الرائي يشاهد الشمس كأنها في كبد السماء، وليست كذلك على الحقيقة، بل هي في القلب من المجموعة الشمسية، ولا علاقة لها بسكنى السموات على ما هو مفهوم من ظاهر الآيات.

ومما يدل على نبوغه- حفظه الله - تفتق ذهنه عن قضية في غاية الأهمية وهي قضية «توليد العلوم»، والسبيل إلى ذلك إدراكه أن القرآن ليس حاويًا للعلوم على اختلاف تخصصاتها وفقط، وإنما هو مولِّد للعديد من العلوم النظرية والتطبيقية، وهذه مرحلة متقدمة يجب ملاحظتها في تطور العلم، تلك التي لا يجرؤ عليها من العلماء والموهوبين إلا الأفذاذ والعباقرة، الذين يصح أن نطلق عليهم لقب «المجددين في الدين».

وقد كتب في ذلك يقول: «إن توليد العلوم منهج مناسب للخروج العملي من الأزمة الطاحنة التي تمرُّ بها الأمة، وقد دعا محمد رشيد رضا - في مجلة «المنار» في العدد السادس والعشرين من السنة الثانية يوم السبت الثالث من جمادى الأولى سنة ١٣١٧هـ الموافق للتاسع من سبتمبر سنة ١٨٩٩م، في مقالة بعنوان «كرامات الأولياء»- إلى إحداث عِلم جديد يَدرُس السنن الإلهية التي وردت بالقرآن الكريم، ولم يتم ذلك إلا بعد مضي أكثر من مائة عام على تلك الدعوة، فلابد علينا

أن ندرك أن توليد العلوم نوع من أنواع مظاهر حياة الفكر، وهو أيضًا مظهر من مظاهر التفاعل مع العصر الذي نعيشه، وهو ثالثا الجسر الذي يصل بين الشرع وبين الواقع المحيط، وهو من الضرورة بمكان.

ومن هنا كان تأليف العلماء في ضرورة الاجتهاد، ومن هؤلاء الإمام السيوطي وكتابه «الرد على من أخلد إلى الأرض، وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض» والذي قال فيه ما نصه: «قال ابن برهان: لا ينعقد الإجماع مع مخالفة مجتهدٍ واحدٍ، خلافًا لطائفة أخرى ترى أن عدد التواتر من المجتهدين إذا اجتمعوا على مسألة كان انفراد الواحد منهم يقتضي ضعفًا في رأيه.

واعترض على هذا فقال: ليس هذا بصحيح، إذ من الممكن أن يكون ما ذهب إليه الجميع رأيًا ظاهرًا تبتدر إليه الأفهام، وما ذهب إليه الواحد أدقُّ وأعوص، وقد يتفرد الواحد عن الجميع بزيادة قوة في النظر، ومزية في الفكر، ولهذا ينبغي أن يكون في كل عصر مقدَّم في العلم، يفرِّع المسائل، ويولِّد الغرائب»[1].

ويدور في فلك هذه النظرية ويؤصل لقضية توليد العلوم ضرورة البناء على ما كان في السابق أو الماضي للوصول إلى ما يكون مثله مطَوَّرًا في اللاحق أو المستقبل، وإلى ذلك انصرفت همم المشتغلين بتطوير وتوليد العلوم فراحوا يقلِّبون النظر في رؤية الأشياء لمحاكاتها، فمنهم من تأمل شكل وحركة الطيور كالنسر فاخترع الطائرة، ومنهم من تأمل شكل وحركة الكائنات البرمائية كالإوز وهي تغوص في الماء فاخترع السفينة، وتوالت الاكتشافات والاختراعات فكان استخراج البخار من الماء، وكان استخراج الطاقة من الشمس، وهكذا حتى كانت مراقبة الإنسان لشجرة وهي تتدحرج على الأرض بجذعها الأسطواني فأخذ يصنع على شكلها

(1) مقال في جريدة الأهرام، بعنوان: توليد العلوم فرض على المسلمين، د. علي جمعة، بتاريخ ٣/ ٧/ ٢٠٠٤م.

العجلة التي كانت تطورًا هامًّا في مرحلةٍ ما من تاريخ العلم[١].

وعلى الإجمال فهو عالم نحريرٌ يُعدُّ من مجددي هذا القرن الخامس عشر الهجري - الموافق للحادي والعشرين من الميلاد - مع طائفة من أفذاذ العلماء، وخاصة في علم أصول الفقه حيث التخصص الدقيق- كما أشار إلى ذلك الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف الأسبق في أحد مؤلفاته، وهذا يشهد بتمكن وتضلع العلامة نور الدين - حفظه الله - في هذا العلم، ولا أدل على ذلك من بلوغه قمة قمم العلم في زماننا وانتخابه عضوًا لهيئة كبار الكبار عن جدارة - وهو بها خليق.

ولا عجب فقد استطاع - حفظه الله - أن يفعِّل «فقه الواقع» بشكل عمليٍّ، حتى صار العلماء فضلًا عن طلبة العلم في أنحاء شتى من العالم يطلبون هذا الفقه على يديه بطرائق مباشرة وغير مباشرة، عبر دروس العلم في رحاب الجامع الأزهر ومواقع التواصل الاجتماعي وغيرها، كما كان صاحب نقلة نوعية لتطوير وتحديث وتجديد علم الفتوى، حيث استطاع أن يجعل من دار الإفتاء المصرية مرجعية عالمية وخرج بها من دائرة الإقليمية إلى الدولية، لاسيما في القضايا التي تمس الإسلام في أوروبا وأمريكا وغيرها من قارات العالم القديم والحديث.

ثانيًا- الرحمة:

بلغت شفقة مولانا - حفظه الله- بالخَلْق حدًّا يكاد يقارب حال أكابر الأولياء ﭬ، وذلك بما لديه من شعور صادق وإحساس لا يساوره شك بأن الله قد وكَّله برحمة من حوله، وقد تأكد هذا بإعانة الله له، حيث أفاء عليه من فضله ووسَّع عليه من جوده وكرمه، وجعل حاجة الناس إليه منحة وهدية فواصل الجهد ولم يقصر في الأمر، متمثلًا حال الإمام الحسين يوم قال: اعلموا أن حوائج الناس إليكم من نعم الله

(١) فقه تجديد الدين ومسئولية علماء المسلمين، د. السعيد محمد علي، تحت الطبع، صـ٩٥.

عليكم؛ فلا تملوا النعم فتحول نقمًا، وإنَّ أجود الناس مَن أعطى مَن لا يرجوه، وإنَّ أعفى الناس من عفا عن قدرة، ومن أحسن أحسن الله إليه، والله يحب المحسنين.

وقد ظهر هذا بشكل واضح ملموس في اعتماده اليسر منهجًا في الحياة عامة وتبنِّيه لمنهج التيسير في الفتوى خاصة، تمشيًا مع روح الإسلام واتساقًا مع الإرادة الإلهية في تقرير أحكام الشريعة، حيث قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:١٨٥] وقال سبحانه: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة:٦] وفي الحديث النبوي الشريف: «إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»(١).

وفيما أعتقد أن دار الإفتاء هي الأقدر على شرح وبيان ذلك من خلال ما حققته في هذا الإطار رحمة بالأمة والناس أجمعين، تفعيلًا للوصف الإلهي الجامع- للمقام النبوي الكامل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] وبالأخص وهذا النبوي الرحماني على رأس تلك المؤسسة الفقهية العريقة.

ثالثًا- الهمة:

لا يكاد يشك مَن خالطه - حفظه الله- أنه يفوق في همته العالية كل أقرانه، وأنه يوزن في ذلك بعشرات - بل مئات- الرجال؛ على حدِّ قول البعض «رُبَّ رجلٍ بألفٍ»، ويؤكد هذا أنه دائم الهمِّ والبِشر، حيث يجمع بين الإحساس بالمسئولية تجاه الأمة والأمل العريض في رحمة الله وفضله، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨].

---

(١) سنن الترمذي تحقيق شاكر (١/ ٢٧٦).

ويشهد لذلك سعيه الحثيث في قضاء حوائج الخَلق، ومسارعته بشكل ملحوظ في جبر الخواطر، وحرصه الدؤوب على إنجاح المقاصد، وصدق الله العظيم: ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧] وفي الحديث: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[١].

وهذا يؤكد تلك الحقيقة التي طالما تتردد على الألسنة وهي: «الدين المعاملة»، ولا عجب فواقع الناس ترجمة عملية لتدينهم، وعلى قدر صدقهم وإخلاصهم ويقينهم يكون تعاملهم وتصرفاتهم، ومما أطبق عليه أهل الله أن «من زاد عليك في الخُلق زاد عليك في الدين»، ولله درُّ القائل: «ما عُبد الله بأفضل من جبر الخاطر.

وختامًا أقول: إنه وارث محمديٌّ قد امتلأ حبًّا لله تعالى ورسوله ﷺ وأهل بيته رضي الله عنهم، ثم فاض بهذا الحبِّ على كل الناس، ويكفي أن يعلم الجميع أنه ما اقترب منه أحدٌ إلا نال من خيره وفضله ونواله، ولا يملك مَن يعاشره إلا أن يشهدَ له بأنه ممن يرجى خيره ويؤمن شره، وهذا من نوادر أحوال الناس في حياتنا التي امتلأت بالكثير من الضغائن والأحقاد.

وأذكر من عنايته ورعايته لأمثالي أنني كنت أتردد إلى فضيلته في مكتبه بدار الإفتاء مع المرحوم الشيخ صلاح نصار إمام وخطيب الجامع الأزهر، والشيخ

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٧٤).

فؤاد عبد العظيم وكيل وزارة الأوقاف لأخذ مشورته فيما يتعلق بشئون الدعوة، وهذا يؤكد أنه كان سندًا للعلماء وطلاب العلم في الداخل والخارج، سواء بالنصائح والتوجيهات أو بالكتب والمراجع العلمية أو حتى بالمساعدات المادية.

وقد أولاني- مع فضيلة الإمام الطيب- حفظه الله- شرف المتابعة والإشراف على مجموعة الخمسين في أعقاب ثورة يناير بالجامع الأزهر الشريف مع مولانا الشيخ صلاح نصار والدكتور أسامة الأزهري، وكان نعم العون على طلب العلم، بل كان رمزًا للبذل والعطاء، حتى صار في ذلك صاحب مدرسة جديرة بالاحترام والمحاكاة، على غرار الشيوخ الأقدمين في حمل هموم المسلمين.

ولا أنسى أنني تعلمت على يديه- بعد الإمام الرائد أبجديات التصوف، من خلال حكم ابن عطاء الله السكندري والبردة للإمام البوصيري في رحاب الجامع الأزهر حين كان مشرفًا على النشاط العلمي والرواق الأزهري، ومن ثم أدعو أهل الذوق إلى التعمق في فهم الحكم مع حضور مجالس البردة، ففيهما من أسباب إشراق الروح وسعادة القلب ومتعة النفس ما لا يخطر لصادق على بال.

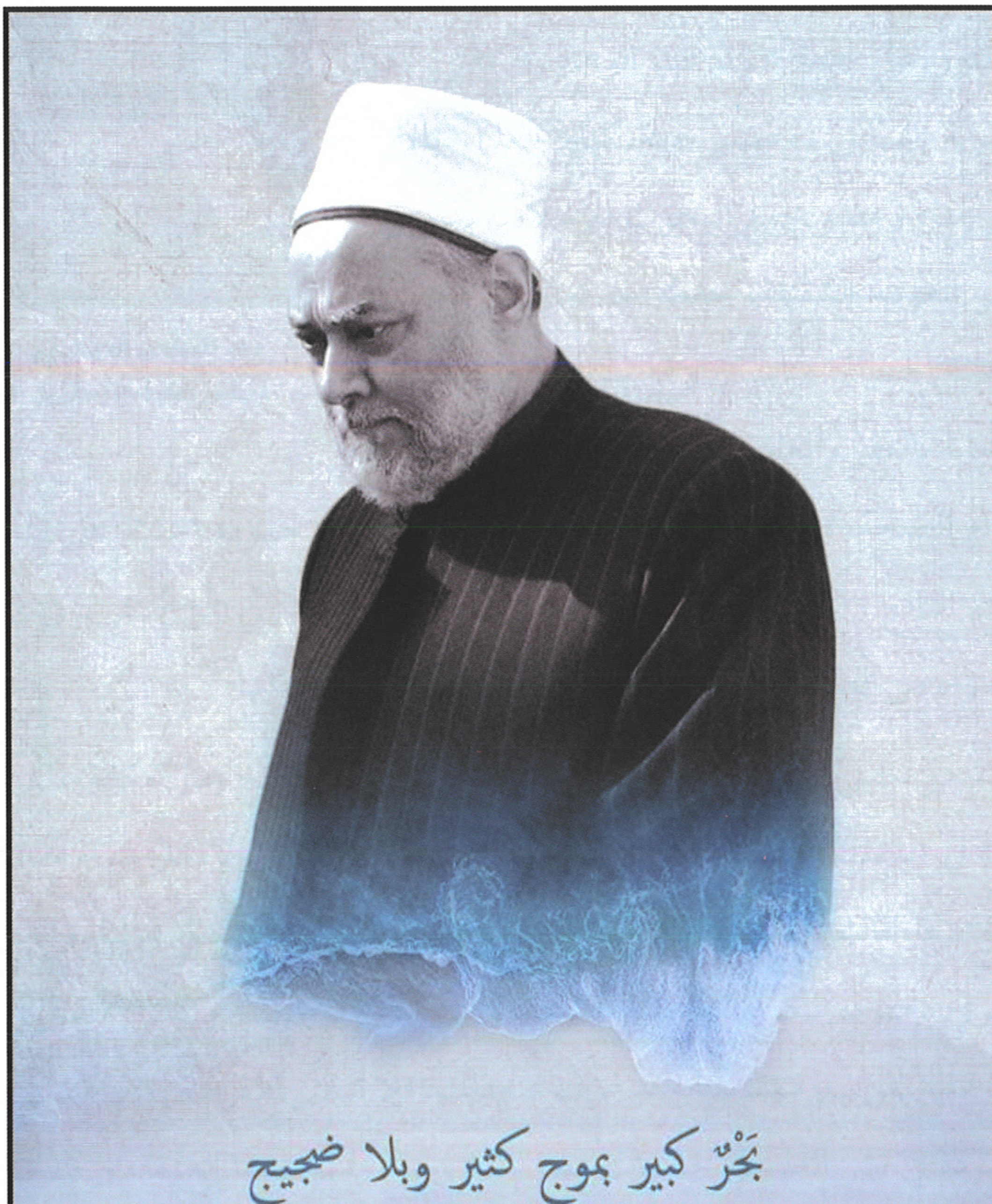
ولأنه شاذلي الطريقة لمست في زيارتي الأولى لمقام سيدي أبي الحسن الشاذلي سنة (٢٠٠٦م) الأيادي البيضاء لسيادته من خلال الاطلاع على مخطط التطوير للمسجد والمقام والمنطقة هناك، وبعد حوالي ثماني سنوات زاد سروري وتمت فرحتي بانتهاء أعمال التطوير وافتتاح المسجد والمقام والمنطقة بهذا الشكل الراقي والمظهر الحضاري لقرية سيدي أبي الحسن الشاذلي سنة (٢٠١٤م)، مع كل التقدير لما توليه الدولة ومحافظة البحر الأحمر من رعاية لقبائل العبابدة الذين يسكنون بطون الجبال هناك.

ولذلك ليس بدعًا من الحال أن نراه اليوم شيخًا للطريقة الصديقية، يقود إلى الله

ألوفًا وملايين من البشر الذين يدفعهم الحب الأكيد والرغبة الشديدة في السير على خطاه المباركة، متمثلين قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان:١٥] آملين أن يكون على يديه صلاح أمر الطريق الصوفي في الداخل والخارج.

والحمد لله في بدء الأمر ومنتهاه وأفضل الصلاة على نبيه ومصطفاه مع السلام على جملة الآل والصحب المنتقاة والرضا على عليٍّ شيخنا مَن به يبلغ السالك مناه.

***


بَحْرٌ كبير بموج كثير وبلا ضجيج

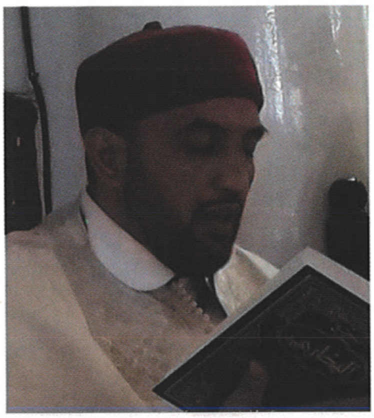
إشرافه بارك الله في عمره ووقته، وهذه الإصدارات الأصيلة في مادتها إنما تصدر عن عِلم شريف ودقة وعمق؛ يجمع بين التيسير والسعة التي نحن في حاجة إليها بجانب تنوعها، فمنها ما تعلق بكتاب الله تعالى كـ «النبراس في تفسير القرآن الكريم» والذي استدعى فيه فضيلته علمه بأصول الفقه بما له من قدرة دقيقة منضبطة قائمة على آليات ومناهج راسخة، مفعِّلًا بحوثه من خلال تحليل النص القرآني لاستخراج دلالاته والوصول إلى مراميه، ومنها كتابه «الإمام البخاري وجامعه الصحيح» معرِّفًا فيه بهذا الإمام العظيم خادم السنة عبر تاريخ الإسلام وسبب تأليفه لهذا السفر الجليل، مبيِّنًا كم بذل من جهد ليُخرج هذا العمل الذي لا يستغني عنه مسلم، واستحقَّ أن يكون علامة مشرقةً على ما يُنسب إلى رسول الله ﷺ، بجانب ما تعلَّق منها بالتخصص وهي كثيرة قلَّ مَن ينسج على منوالها، ومنها ما تعلَّق بقضايا الوطن والمجتمع كالمرأة، والأمن، والتعايش، والمساواة، والبيئة، كذلك قدَّم فيها رؤية مستنير مستمدةً من أصالة المنهج ومعاصرة الوقت، فخرجت فريدةً في بابها قيمةً في مادتها، وهو في هذا كله كغيره من العلماء مقبولٌ من قوله ومردود، فلا عصمة إلا لسيِّد البشر ﷺ، ولا عابَ أهلُ العلم عبر تاريخنا المجيد أن تتمَّ المراجعة على أقوالهم ونقولاتهم.

وإن نسيت فلا يمكن أن أنسَى دوره التربوي الممتدَّ عبر تاريخه متع الله بعلمه، وتعريفه بحب القلوب في كتابه «من نبيك؟.. هو سيدنا المصطفى ﷺ» والذي جَمَع فيه مع الإيجاز الدقَّة في العرض، والشمول في الطرح.

ختامًا؛ إلى فضيلة المفتي والعالم الجليل الأستاذ الدكتور علي جمعة أهدي تحياتي الطيبة المباركة، راجيًا منه تعالى له دوام التوفيق والسداد، إنَّه قريب مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

صاحب الابتسامة والاهتمام بالغير

بقلم الشيخ حسن بن جمال السوسي الزيتوني


من علماء الزيتونة الشباب

كلمة حق في سيدي العلامة النحرير الأصولي المحقق المدقق علي جمعة المفتي السابق للديار المصرية، ومؤسس الطريقة الصديقية الشاذلية وشيخها.

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

الحمد لله الذي هدانا لاتباع سيد المرسلين، وأيَّدَنا بالهداية إلى دعائم الدين، ويسَّر لنا اقتفاء أثر السلف الصالحين، حتى امتلأت قلوبنا بأنوار علم الشرع وقواطع الحق المبين، وطهَّر سرائرنا من حدث الحوادث والابتداع في الدين، أحمده على ما منَّ به من أنوار اليقين، وأشكره على ما أسداه من التمسُّك بالحبل المتين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمدًا عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين صلاة دائمة إلى يوم الدين، والحمد لله الذي جعل العلماء الأولياء هم ورثته، وبعد:

فهذه رسالة لطيفة في آداب سيدي الدكتور علي جمعة، والمقصود منها أن أبين ما شهدته بالمعاينة لحاله من خلال مجالسته أو مراسلته أو الانتفاع بدروسه وكتبه.

وإني في هذه الرسالة لم أعتمد أو أتقيد بالصنعة التأليفية، بل جعلتها محاولة لرصد واقعي لأحوال التعبير بحسب الواقعة والحال والخاطر الوارد، وهو جمع لما وجدته عليه بالفعل.

والحكمة الباعثة على خط هذه السطور هو إظهار فضل الشيخ أولًا،

والاعتراف له بالفضل، فهو من جعل ليوم مولدي معنًى وصفة فقد أجازني بإجازته العامة بمكتبه بدار الإفتاء المصرية يوم ٥ مايو ٢٠١٠ الموافق ليوم مولدي، وبالرغم من مشاغله خصَّني بلقاء خاص دام أكثر من ساعةٍ، تكرَّم بإفادتي في الكثير من المسائل، ولأن الإجازة مشروطة بفقه السادة الشافعية عيَّن لي ابنه بالإفادة سيدي الشهيد عماد عفت رحمه الله، ووجَّه إلى تحقيق مسائل السادة الشافعية معي وقال: «يا ولدي لولا كثرة السفر والمشاغل وضيق الوقت لدرستك بنفسي». والخلاصة معرفتي به قبل اللقاء وبعدها ما يعبر عنه في هذه الأبيات:

كانت محادثة الركبان تخبرني — عن جعفر بن فلاح طيب الخبر
ثم التقينا فلا والله ما سمعت — أذني بأصدق مما قد رأى بصري

سيدي علي جمعة العالِم:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين». ولما كان العلماء ورثة للأنبياء؛ اصطفى الحق سبحانه وتعالى رجالًا بعث في قلوبهم باعث الإقبال عليهم، ويسَّر لهم طريقًا لطلب العلم، وقيض لهم أكابر علماء زمانهم ليكونوا لهم أساتذة ومرشدين. وكان من هذه الطائفة الشيخ الإمام الفقيه الأصولي المحدث الصوفي علي جمعة نور الدين، الأشعري عقيدة، والشافعي مذهبًا، والشاذلي طريقة، مفتي الديار المصرية السابق، وتلميذ محدث المغرب وفقيهها في زمانه الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري الحسني رحمه الله ونفعنا الله بعلومه في الدارين.

كان فضيلة الشيخ حفظه الله من المدافعين عن منهج أهل السنة والجماعة، ومن الذين أعادوا صياغة مسائل العقيدة وفق منهجية تتلاءم مع عصرنا، جمع فيها بين

المعقول والمنقول في كتابه «عقيدة أهل السنة والجماعة» كتبها بأسلوب ليس بالمختصر المخل ولا بالمطول الممل.

وعاصر الشيخ في زمانه جماعاتٍ وفرق إسلاميَّة اتَّسمت بالجهل بالدين، وبالميل إلى التطرف والتكفير، ناقش فيها منهجهم وأهم قضاياهم في كتابه «المتشددون».

ولما كان التيسير من السنة المحمدية جريدة غرَّاءُ ومن الحنيفية السمحاء؛ كانت فتاوي الشيخ علي جمعة تراعي تحديات العصر مع تجنب تمييع الحداثيين وتشديد المتنطعين، ولقد جمعت فتاويه في كتب نذكر منها «البيان لما يشغل الأذهان»، وكتاب «فتاوي النساء: فتاوي وأحكام للمرأة المسلمة».

تميز الشيخ حفظه الله بتمكنه في علم أصول الفقه وانفتاحه على المذاهب الثمانية وهي: المالكية، والشافعية، والحنفية، والحنبلية، والإمامية، والظاهرية، والزيدية، والإباضية، وتجلَّى هذا الفهم العميق لأصول هذه العلوم ونشأتها في كتابه «تاريخ أصول الفقه» الذي يعتبر خارطة علمية لهذا الفن، وكان الشيخ يستأنس بالمذاهب الأخرى في فتاويه، نابذًا للجمود الفكري والتعصب المذهبي السائدين في هذا الزمن.

وأقول لقد أسَّس ﷺ وأرضاه مدرسة علمية جديدة أعادت الأمة إلى أصولها دون الانبتات عن واقعها، وسيكون أثر هذه المدرسة الإصلاحية أثرًا لن ينمحي إلى يوم الدين.

سيدي علي جمعة المربي:

ولما كان لكل باطن ظاهر، ولكل شريعة حقيقة؛ أُذن للشيخ بالإرشاد وفق منهج تربية الإمام عبد الله بن الصديق الغماري، شيخ الطريقة الصديقية الشاذلية الدرقاوية، ودرَّس أمهات كتب التصوف؛ كالحكم العطائية، ومنازل السائرين، والرسالة القشيرية، كما ألَّف كتابًا في هذا العلم اعتمد فيه أقوال أكابر أهل

التصوف السُّنِّي، وأسوق لكم ما رصدته من معاينتي لحال الشيخ بصفته مربي.

الرصد الأول: إبتسامه وبشاشته للجميع:

الابتسامة والبشاشة في وجه الجميع حتى يظن كل واحد أنه أقرب إلى الشيخ من غيره، وهذا الأدب من وراثته للأخلاق المحمدية الكاملة، فإن النبي ﷺ كان دائم البشاشة والبشر في وجوه أصحابه، يقرِّبهم ويودهم، وكان جليسه يظن من عظيم إقبال النبي ﷺ عليه أنَّه أحبُّ الخلق إليه، وذلك مشهور من حاله ﷺ. ولهذا الأدب أثر عظيم في تربية وتكوين الطالب وإقباله على منهج أهل الحق، فإنه متى رأى بشاشة الشيخ في وجه أحب الشيخ وتعلق به.

الرصد الثاني: الاهتمام بأمر من يطلب مشورته:

اهتمامه رضي الله عنه وأرضاه بأمر من طلب مشورته من الناس في أمورهم الخاصة والعامة، فيشتغل سره بذلك انشغالًا تامًّا، ولا يزال متوجِّهًا فيه إلى الله تعالى حتى يكشفه الله تعالى ويرفعه أو يخفِّفه عن صاحب الأمر. ولي مواقف مع سيدي كثيرة في هذا الباب وشهدته من سيدي بنفسي في أمور عدة؛ كنت أرجع إليه فيها مستشيرًا مستنيرًا برأيه، أو سائلًا الدعاء في بلاء نزل ونحو ذلك، فأجده دائم السؤال والتحرِّي عمَّا قضى الله في الأمر حتى يكشف الله تعالى، ولا شكَّ ولا غرو أنَّ في هذا الأدب عملًا بروح القرآن والسنة النبوية الشريفة من الاهتمام بأمر المسلمين عامة وخاصة، وقد كان ﷺ يتفقد شئون أصحابه ويسأل عنها دائمًا، وقد قلَّ في زماننا نظيره.

الرصد الثالث: الاهتمام بأمر أبنائه وطلبة العلم عنده ومريديه، والقيام على خدمتهم:

اهتمامه بأمر أبنائه من الطلبة ومن المريدين، فكان معهم في كلِّ شيء، همهم همه

وفرحهم فرحه، وهو في حاجتهم حتى تُقضى بإذن الله، حدثني أحد أبنائه ممَّن أثق بهم أنه إذا مرَّت به ضائقة يحكها له، ويسأل منه الدعاء في رفعها، فيجده يهتمُّ لها ويقوم لها، ويصير منشغلَ السرِّ بها، وكما أخبرني أنه لم يكن أمرًا مخصوصًا له لمكانته من الشيخ وقربه منه، ولكنه كان فعله مع أبنائه ومريديه جميعًا؛ فضلًا عما يحمله من همِّ أمور العامة والأمة، وهذا أمر صعب وحمل عظيم يتحمله الشيخ، والحق أن هذا هو الأصل في الشيخ، وللأسف قلَّت في زماننا من يشغلهم حال الأمة، بل من يشغلهم القريب من الطلبة والمريدين.

وهو رضي الله عنه وأرضاه شديدُ الاهتمام العظيم بأمر المسلمين عامة فيما ينزل بهم من نوازل عامة، فلا يصيب الأمة أمر شديد إلا وجدت أثره بيِّنًا عليه من الحزن لما أصابهم، والدعاء بتفريج ما هم فيه، والسعي في إزالة ذلك بما يقدر عليه من أسباب ظاهرة أو باطنة. ولهذا فإنَّ الراحة لا تعرف سبيلها إليه بسبب توارد الفتن والبلايا على المسلمين، فلا تنزل الفتن إلا في إثر الأخرى، فلا يكاد يجد الراحة مما يحمله من الهم لما يصيب المسلمين، كل هذا تحقيقًا لقوله صلى الله عليه وآله وسلَّم: «من لم يهتم لأمر المسلمين فليس منهم».

الرصد الرابع: ملاطفته لأبنائه ومريديه:

تجده لطيفًا ممازحًا لأبنائه ومريديه، وهو ما يسمى عند أهل الطريق بالملاطفة في التربية، فهو رضي الله عنه وأرضاه يسارق طباع الطالب والمريد ليهذِّبه ويرجعه إلى طريق الحق فيعدِّل ويقوِّم ويهذِّب الطباع برفقٍ ولطفٍ، وتجد بركة ذلك في سلوك المنتسبين إليه بعد مرافقته وملازمته، وهذه الطريقة من أعظم طرق التربية وألطفها.

الرصد الخامس: تقديمه لمقدم كل قوم وإجلاله، والاحتشام مع أهل العلم والدين:

تقديمه لمقدم كل قوم وإجلاله وتكبيره في عيون أتباعه ومحبيه، والاحتشام مع

أهل العلم والدين، وعدم بسط الرِّجل ونحوها إليهم، وإن كان هؤلاء في عداد طلبته وتلاميذه؛ تقديرًا واحترامًا لما تحمَّلوه من علم، وذلك أدبٌ ربَّانيٌّ عالٍ، فإنَّه من تبجيل الشريعة، وتعظيم حرمات الله وشعائره، ودليل على تقوى القلوب- كما أشار إليه القرآن الكريم- وهذا من سيدي في جلوسه للاستماع لتلميذه الدكتور أسامة السيد الأزهري عند تقديمه لبعض الدروس بالأزهر الشريف، فالأخير يعتبر تلميذ سيدي نور الدين؛ ورغم ذلك يتعامل معه تعامل المريد مع الشيخ، وتعامل طالب العلم مع الأستاذ.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أني وُفقت في رصد بعض كمالاته وأعتذر منه على التقصير في حقِّه.

***

عَلَم من أعلام الإسلام، ونبيل من نبلائه، وسيد من ساداته

بقلم الشيخ حنيف أرشد



المدرس بالفلبين
مقدم الطريقة الصديقية الشاذلية - الفلبين

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ والصلاة والسلام على أكرم وأشرف وأحب خلق الله سيدنا محمد بن عبد الله، المبعوث رحمة للعالمين، بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، أما بعد:

فهذا كلام في عَلَم من أعلام الإسلام، ونبيل من نبلائها، وسيد من ساداتها العلامة الدكتور فضيلة الشيخ نور الدين علي بن جمعة. المولود سنة ١٣٧١ من الهجرة، في مدينة بني سويف، جمهورية مصر العربية. حيث وُلِد الشيخ ونشأ في أسرة تهتم بالعلم النبوي الشريف، وكان أبوه وجدُّه من الفقهاء، كما أشار هو نفسه إليه في إحدى محاضراته، ولذا كانت حياة الشيخ في طريق العلم من أول يوم، وقد قال النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

كذا بدأ الشيخ دراسته في جامعة الأزهر، وحصل على الإجازة العالية من كلية الدراسات الإسلامية سنة ١٩٧٩م، ثم حصل على ماجستير في أصول الفقه من كلية الشريعة والقانون سنة ١٩٨٥م بتقدير ممتاز، ثم حصل على دكتوراه في أصول الفقه من كلية الشريعة والقانون سنة ١٩٨٨م، فحياة الشيخ كلها في خدمة الإسلام وفى طريق العلم، وقد قال الحبيب ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ».

ولقد بذل الشيخ جهده في تعليم الناس ونشر العلم، فقد قام بتدريس الناس الفقه والتصوف والعقيدة وعلومًا كثيرة في أماكن مختلفة في مصر وخارجها، وقام بتأليف الكثير من المؤلفات في العلوم والمسائل المختلفة؛ حتى صار مفتيًا للديار المصرية عام ٢٠٠٣م وحتى ٢٠١٣م،وأدى وظيفته جيدًا ولم يخش إلا الله فيها، وقد قال الرسول ﷺ: «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينَ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوتَ؛ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ».

ففضائل الإمام كثيرة جدًّا، لا تتسع لها صفحة أو صفحتين، ولذا اقتصرت على بضع منها، فالله أسأل أن يعطي شيخنا المزيد من الخير والشرف والبركة، وأن يكثر من ينتفع من علوم الشيخ وفضله أكثر ممن انتفع ومازال ينتفع، والله أسأل أن يحشرنا مع الشيخ في زمرة الحبيب المصطفي ﷺ وتحت لوائه، وأن يجعل شيخنا من خيرته، آمين آمين آمين يا رب العالمين، وصلِّ اللهم على سيدنا ونبينا وقرة أعيننا محمد الذي آمنا به ولم نره، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم إلى يوم الدين، عدد خلق الله، وزنة عرشه، ومداد كلماته، والحمد لله رب العالمين.

وهذه هي ترجمة كلمته باللغة الفلبنية التغالوغية (**Tagalog**)، لغة العاصمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

Sa ngalan ng Allaah ang Mapagmahal, Maawain

Ang papuri ay maging sa Allaah lamang, ang Siyang nagsabi sa loob ng kaniyang aklat: Katotohanan ang silang mga natatakot sa Allaah ay yaong mga maalam lamang. At pagpapala at pagbabati ay nawa'y mapa sa pinaka marangal pinaka kalugodlugod at pinaka mamahal na likha ng Allaah, ang ating pinuno na si Muhammad anak ni Abdullaah. Ang siyang ipinadala bilang isang awa sa sanlibutan at siyang nagbibigay ng mabuting balita at siyang nagbabanta mula sa parusa. Siyang nagiimbita patungo sa Allaah – ng Kanyang pahintulot. Nawa'y ang pagpapala ng Allaah ay mapasa kanya sa kaniyang pamilya at sa kanyang mga kasamahan na silang malilinis at mabubuti.

At ang susunod:

Ito ay isang sulatin patungkol sa isang importanteng tao sa Islam at isang kalugod-lugod at isang pinuno na siyang nag ngangalang Dr. Ali anak ni Gomaa. Ang siyang ipinanganak noong taong 1371**, ng kalendaryong Hijra, sa siyudad ng Banu Suweif sa bansang Egipto.**

Isinilang at lumaki ang Shaykh sa loob ng tahanan na labis na pinapahalagahan ang kaalamang mula sa Kalugod-lugod ng Propeta (nawa'y mapasa kanya ang pagpapala ng Allaah at mabutihing pagbabati). Maging ang kaniyang ama at lolo ay kabilang sa mga maalam sa Islam – tulad ng kaniyang sinabi sa isa sa kaniyang pagpupulong. Sa ganoon ay sa landas ng kaalaman ang kinagisnan ng Shaykh. Sinabi ng Propeta: sino man ang gustohin ng Allaah na matamo ang kabutihan ay bibiyayaan ng kaalaman.

Sinimulan ng Shaykh ang kaniyang pagaaral sa Unibersidad ng Al-Azhar at natamo niya ang pinaka mataas na lisensya sa kaalamang Islam mula sa Kolehiyo ng Araling Islamiko noong taong 1979**. Noong taong** 1985 **ay natamo niya ang antas na masteral sa larangan ng Usul al-Fiqh mula sa Kolehiyo ng Sharia at Batas. Sa taong** 1988 **naman at natamo niya ang antas**

Bihan hantang timagnah in pagtuntut ilmuh sin Shaykh halawm sin Al-Azhar University sartah nahasil niya in sataas-taas ijaza daing ha Kulliyah sin Dirastul Islamiyyah ha tahun 1979. Pagubus ha tahun 1985 nahasil niya in masteral ha Usul al-Fiqh daing ha Kulliyah Shariah wal Qanun sartah in grade niya mumtaz. Ha tahun 1988 isab nahasil sin Shaykh in doctoral ha Usul al-Fiqh daing ha Kulliyah Shariah wal Qanun. Ha bihayadtu in kabuhi sin Shaykh duun hadja ha paghidmat pa agama Islam way naig. Nagsabda in Nabi: hisiyu-hisiyu in limawag dan hasupaya manuntut ilmu, tantuh paluhayun sin Allaah para kaniya ha sabab sin ini in dan harap pa Sulgah.

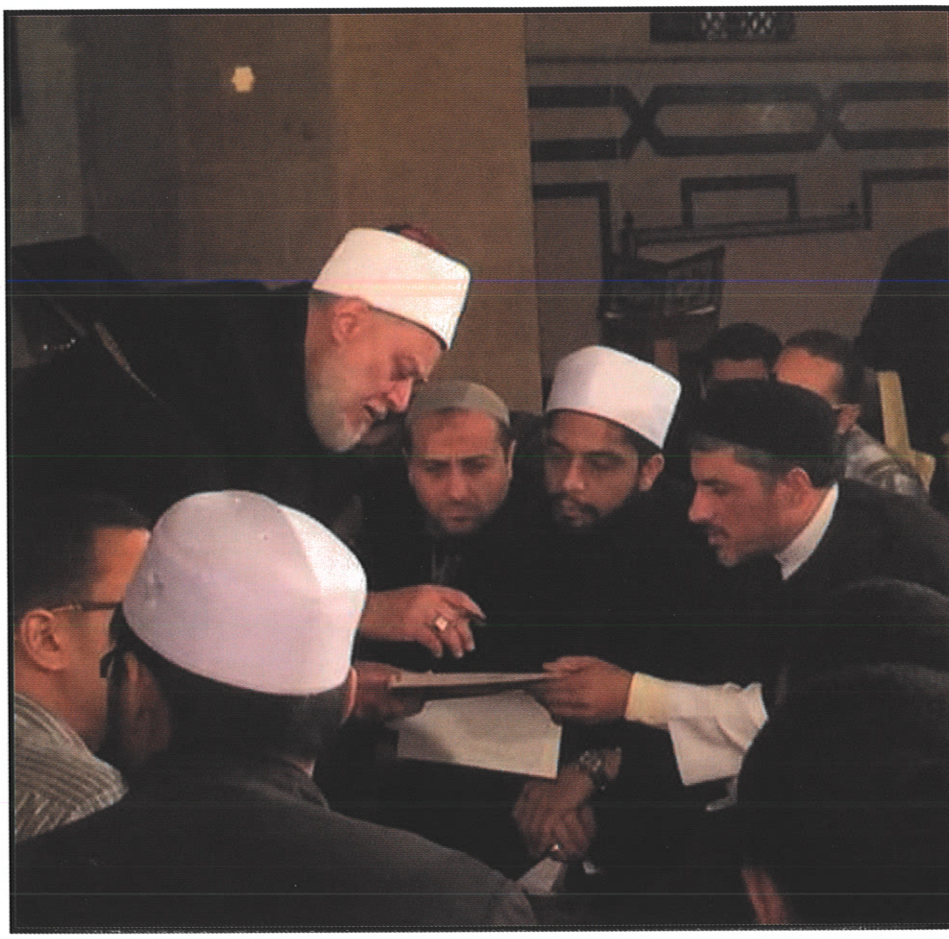
Hiyanglah sin Shaykh in kusug iban waktu niya ha paghinduh sin agama iban pagpasaplag sin ini. Naghinduh siya sin fiqhi, tasawwuf, aqidah, iban kaibanan ilmuh sartah ha dugaing-dugain tampat – halawm naka sin Misr iban ha guwah niya. Iban nagbaktul daisab siya mga kitab tungud ha dugaing-dugaing ilmuh sin agama Islam. Ha tahun 2003 biyutang siya mufti sin Misr sartah tiyunay niya in amanat ha way pagbugah pa hisiyu-hisiyu malaingkan Allaah sambil naubus in amanat niya ini ha tahun 2013. Nagsabda in Nabi: sabunnal tuud in Allaah iban malaikat Niya, iban in mga sila naghuhulah ha kalangit-langitan iban sila naghuhulah ha ginlupaan, sambil in sanam halawm bay niya iban ista halawm dagat, nagsasalawat pa manghihinduh karayawan pa tau.

In kalabbiyan iban karayawan sin Shaykh mataud tuud dih maubus sulatun halawm hambuuk pa duwa katas hangkan piyahawpuh ku na sadja. Tuhan Allaah in panginduwaahan ku bang man Niya dihilan in Shaykh namuh mataud pa karayawan iban pataurun pa in sila makakawah paidda daing kaniya labi mataud pa daing sin sila nakakawah na paidda daing kaniya sartah masi-masi da in paghasil nila paidda daing kaniya. Tuhan Allaah in panginduwaahan ku bang man Niya kami buhiun magbalik ha adlaw qiyamat iban in Shaykh namuh halawm tumpukan sin Nabi sallAllaahu 'alayhi wa sallam iban ha sawm panji niya iban bang man sin Allaah hilamud in Shaykh namuh

daing ha mga sila mataas in darajat ha hadarat Niya. Ameen, ameen, ameen ya Rabbal 'Alamin.

Salawat pa Nakurah namuh iban Panghuh namuh iban landuh namuh kalasahan amuna hi Muhammad. Amun piyaratsaya namuh siya ha wala namuh siya nara magkitah. Iban salawat pa ahli niya iban pa kasahabatan niya amun katan sila ini tau marayaw iban malissin. Salawat pa mga sila miyagad kanila sambil pa adlaw qiyamat. Salawat pa katan sila ini biyah sin taud sin piyapanjari sin Allaah iban buhgat sin Aras Niya iban taud sin Kalam Niya. Iban katan sin pudji iban sanglit tuput pa Allaah.

***



خواطر فقير محب

بقلم الأستاذ خالد محمد أحمد غز



مدير قطاع السلامة شركة بتروجاس المصرية للبترول – مقدم الطريقة الصديقية الشاذلية – مصر

بسم الله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أحيانًا يجد المرء نفسه عاجزًا عن التعبير عن مكنون نفسه وما يختلج داخله من مشاعر؛ ولا يجد سبيلًا إلى بلورة ما يعتمل داخله في عبارات خشية أن تخونه الكلمات، ولا تسعفه فيما هو إليه يسعى، فيقع فيما وقع فيه غيره ممن فسر الماء بالماء.

ومن هذا ما فيه الآن الفقير، كاتب هذه السطور، فقد كُلِّفْت بأمر عظيم، وشرفت بخير وفير، وحظيت بمزيد من الشرف؛ بأن أذكر بعض انطباعاتي عن محاسن شيخي ووالدي مولانا نور الدين علي جمعة بكلام مختصر.

وكيف لمثلي القيام بهذا الأمر؟! غير أني توكلت على ربي، واستجمعت أمري، وأعملت فكري لتحرير بعض ما انطبع في خاطري عن شيخي فضيلة الإمام، علامة الزمان، ومربي النفوس، ومطهر القلوب والجنان، سيدي علي جمعة – رضي الله تعالى عنه– وما تحرَّر في هذا السياق هو على قدري وليس على قدر شيخي؛ الذي لا يعلم قدره سوى ربي سبحانه وتعالى.

ونذكر فيما هو آتٍ في كليات بعض ما قد تفيض به السماوات، عما وصل إلينا من فضائل والدنا وشيخ طريقتنا، مع ملاحظة أننا تحدثنا عن شيخنا من منطلق ما هو مكنون بالقلب، لا من منطلق التأصيل العلمي، أو التأليف الأكاديمي، فلهذا المجال فرسان ورجال، ونقول وبالله تعالى التوفيق وعليه التكلان:

شيخنا وسيدنا ومربينا ووالدنا حضرة فضيلة الشيخ سيدي علي جمعة – رضي الله تعالى عنه- هو النور والنسمة التي أرسلها المولى تعالى إلى الخلق في أحلك الفترات التي مرَّت بها البلاد، وعانى منها العباد، فأخرج به المولى تعالى الكثيرين من الضلال والتيه، فكان فضل الله تعالى عظيمًا حين أطلَّت شمس العناية عليهم، فبددت الظلمات التي أحاطت بالبلاد بما هو واضح وجلي من خلال مشهود من الظروف، وما هو معاين من الملابسات.

فحين أتحدث عن نظرتي عن شيخي العالم العلامة الذي دانت له هامات الطلاب النجباء، وخاصة العلماء، فقد وجدت في حضرته الغنية عن غيره من فطاحل العلماء، فهو البحر الخضم الذي ليس له ساحل في شتى العلوم الشرعية والكونية، ما سأله سائل عن فن من فنون العلم إلا وأتى له ببدائع النقل والعقل، والجديد المتجدد من الفهم، الذي يشرق من مشكاة المواهب الربانية، والفتوحات الإلهية، وهو في خلال ذلك متدثر بدثار من التواضع؛ يبذل العلم لكل وارد، ويهب أدواته لكل طالب، لا يبخل على أحد من طلبة العلم بما قد يكون فيه معونة أو مؤونة.

يمتلك سيدنا قدرة كبيرة على تبسيط المعلومة مهما كان بها أفكار معضلات، أو قضايا مشكلات، والوصول بها إلى أفهام البسطاء والعامة، فيبهرك نموذج مولانا هذا كيف به يتحدث مع الخواص من فنون العلوم، وباللغة العلمية الأكاديمية والمصطلحات التي لا يفهمها سوى أصحاب وأهل ذلك الفن، فيفحم المخالفين، ويفتح آفاقًا أرحب وأوسع من الفكر والاستنباط أمام المتتلمذين، وهو ذاته سيدنا الذي يتحدث إلينا نحن من العوام الذين لا نمتلك أدوات الفهم، وعن ذات تلك العلوم، فيتدلى حتى يصل إلى مستوى فهمنا في تلطف مترفقًا بنا حتى لا

يتركنا، إلا وقد أوصل إلينا جوهر الفكرة أو لب القاعدة التي يشرحها فضيلته، فهو بحق كما قال عن نفسه يومًا أنه يُفهم الحجر ﷺ.

وحين أتحدث عن مولانا المربي المُسلِّك، تجد في سيدنا حنانًا وعطفًا وسعة صدر، ينظر إليك فكأنه يقرأ ما يعتمل في صدرك؛ فإذا به يفاجئك بما لا تتوقعه وإذا به يُلبي مطلبك دون أن يراق ماء وجهك في سبيل الطلب، وحق له أن يراق في سبيل هذا الحسن والجمال.

وجدت في حضرته الكرامة الظاهرة التي لا يسعى إلى أن يبديها، بل هي سر لا يظهر إلا لمن قدر الله تعالى أن يراها، والحمد لله رأينا منها ما أثلج قلوبنا.

كما عاينت في حضرته حزم الوالد المربي مع لين ورفق وحنان، ينظر إليك نظرة؛ فإذا بتلك النظرة تخترق شغاف قلبك إلى معقل الروح، فتشع عليها شعاعًا من نور تذيب ما علق بها من آلام وأدران، فتخرج من مجلسه وقد امتلأت نورًا وازددت بهجة وسرورًا، فما تلبث قليلًا إلا وقد نزعت نفسك إلى معاودة اللقاء شوقًا إلى رؤياه.

شاهدت في سيدنا المثل العليا التي كنت أبحث عنها متجسدة في صورة آدمية نورانية، لم يدعُ قط لنفسه، بل دومًا يوجهني إلى ربي ويدفعني في الطريق إليه عزَّ وجلَّ، دون تكلف ولا مشقة يصبغ عليك من المحبة التي يبدو أنها ملأت أركان حضرته حتى فاضت على من حوله؛ فكلٌّ يشرب ويكرع على قدره.

ولا تجد نفسك إذا ما جالسته ولو لمرة إلا وقد بِتَّ مدفوعًا إلى حبه؛ لحنانه الذي يصل إلى مجالسه، كل ذلك في ظل هيبة تكسوه، حتى أني قد بِتُّ في حيرة كيف يجتمع شعوران مختلفان لدى الإنسان؛ أحدهما وليد الحب والحنان، والآخر وليد الهيبة والجلال، فسبحان من جمع الجلال والجمال في إنسان؛ كما قد يجمع ما بين النار والماء.

وجدت في حضرته مثالًا حيًا للتفاني في العمل والإخلاص، فيه ابتغاء مرضات الله تعالى مع كفاءة وقدرة إبداعية وتنظيمية متناغمتان، حتى أنه يحقق في شهور قليلة ما قد تعجز عن إنتاجه المؤسسات في أعوام، فما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وجدت في حضرته سعة في الصدر واهتمامًا لمن لجأ إليه في كل نازلة أو مشكلة، يندر عند غيره وجودها، رغم مسئولياته الجسيمة، ومشغولياته الكثيرة، في تلطف وتودد كاد يستوعب العالم دون كلل ولا ملل، فتعجب من فضل الله تعالى.

وجدت في حضرته ثباتًا عند الشدائد لم أكن أتصور أن أشاهده واقعًا، ومن ذلك - ويشهد الله على قولي- ما شاهدته من حضرته حين تجرأ عليه حفظه الله أهل الشر من الجماعة الإرهابية في محاولة للنيل منه، وقد كنت ضمن من كانوا داخل المسجد، وسمعنا طلقات الرصاص التي أفزعت الكثيرين، وكنا مستشرفين للاطمئنان على حضرته مفزوعين عليه، فلا نستطيع خروجًا من شدة التزاحم، فإذا بحضرته يدخل إلى المسجد في زمرة من المصلين، وحين وقعت عيني عليه وجدته مبتسمًا؛ فاطمأنَّ قلبي، وتعجبت لأمر هذه الابتسامة التي شعت علي سكينة وأمانًا، حفظه الله.

تعلمت من حضرته في أيام ما لم أتعلمه في أعوام، وقد أعطاني ثقة في نفسي، ويكتشف فيك ما لا تكاد تعرفه حتى أنت عن نفسك.

تعلمت من حضرته أن أعمل وأجتهد في عملي، ولا أنتظر النتائج أو أستبق الأحداث، فكلٌّ ميسر لما خلق له، وكلٌّ مقدر من العلي الأعلى.

تعلمت من حضرته ألا أتشبث بالدنيا، وألا ألقي لها بالًا، فهي أهون عند الله من جناح بعوضة، وأن أتركها لمن نازعني فيها غير آسف عليها، وأن الدنيا تجري

وراء من يهرب منها، فتلقي بنفسها بين يديه، فنستخدمها في مرضاة الله تعالى، وأن ندعو الله تعالى «اللهم اجعل الدنيا في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا».

سيدنا بحق يستحق وعن جدارة لقب «نور الدين»، سعت الدنيا إليه وقد فرَّ منها، ونحسب حضرته ممن يبعثهم الحق - سبحانه وتعالى- على رأس كلِّ مائة سنين ليجدد للأمة دينها، فهو مجدد الزمان، ورمانة الميزان، وقطب الرحا، الذي برع في علوم الشريعة والحقيقة معًا، وأفاض المولى عليه من مواهب الإحسان، وسلامة الجنان، وحلو الشمائل، وجميل الخصال، ذو مكان ومكانة لو اطلع على بعضها مخالفوه لجاءوا إليه حبوًا خاضعين، ولقبلوا الأرض بين يديه آسفين، ولكنها حكمة الفتاح العليم، ألا يطلع على أوليائه سوى من أحب من عباده، جعلنا الله تعالى منهم.

وفي ذلك نذكر بعض ما نشعر تجاه فضيلته عسى أن يقبلنا الله:

قوم قد استنار الدين والدنيا … بطلعتهم وبرؤية محياهم يذكر الله
عمت أنوارهم الخلق قاطبة … فهذا يبصره وذاك الحق أعماه
يا سعد من ألقى برحله على … أعتاب فضلهم قد نال الحظ والجاه
هم أهل علم وجود ومكرمة … حين تأتيهم فالبِشر أدنى ما تلقاه

هذا غيض من فيض ما يعتمل في قلب الفقير حبًّا وتقديرًا لمولانا وشيخنا ووالدنا ومربينا، وهو نذر بسيط يكاد لا يوفي شيئًا من قدره وشأنه الذي لا يعلمه سوى ربه سبحانه وتعالى، رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وأطال لنا في عمره، ومتعه بالصحة والعافية، وأمدنا بمدده، وحققنا بحسبه ونسبه.

***

الشيخ علي أمة في رجل

بقلم د. خضر شحرور



مدير أوقاف محافظة ريف دمشق
سوريا

الحمد لله الذي عرَّفنا على أحبابه وأوليائه، وجعلنا مع الصفوة من خلقه وأتقيائه.

والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين وسيد الأولين والأخرين سيدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد شرَّف الله سبحانه الوجودَ بسيدنا محمَّد ﷺ وقال عنه في كتابه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، وقال الله سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾، ولم يترك ربُّنا سبحانه هذه الأمة خلوًا من الأولياء والاصطفاء والأصفياء والمجتهدين، فقال ﷺ: «إنَّ الله تعالى يَبعث لهذه الأمَّة على رأس كلِّ مائة سنةٍ مَن يجدِّد لها دينها» (أخرجه أبو داوود، في كتاب الملاحم (برقم ٤٢٧٠) وقال المناوي في الفيض ٢/ ٢٨٢ قال الزين العراقي: وسنده صحيح) والله سبحانه وتعالى أمرنا أن نكون معهم بقوله: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

وقد شرَّفني الله سبحانه بصحبة سيدي وشيخي العلامة الإمام فضيلة الدكتور علي جمعة الذي أحسبه- ولا أتألَّى على الله سبحانه- من تلك الصفوة المختارة، وقد قالوا سابقًا: (من أثارهم تعرفونهم). وقد شرفت بصحبة مولانا الدكتور علي سنواتٍ طويلة؛ حيث كان ذلك لأول مرة في دمشق الشام التي كان شيخنا يكرِّر زيارتها في كلِّ عامٍ مرَّتين أو ثلاثة، وقد كان لي الشرف مع أخي الدكتور أحمد سامر القباني أن نكون بخدمة شيخنا ومولانا، وقد رأيت منه شيئًا عجبًا يعجز

القلم عن حصره والكتاب عن جمعه، فأنا لم أرَ رجلًا يمشي على الأرض وإنما رأيت أمَّةً في رجل، نعم كان مولانا وما زال أمةً وحدَه قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾، ورحم الله القائل:

حلَف الزَّمانُ ليأتينَّ بمثلِه حنَثَت يمينُك يا زمان فكفِّر

وأنا إذ أسطِّر هذه الكلمات أورِد برنامج مولانا في سفره إلى دمشق، حيث كان يبدأ برنامجه من بعد صلاة الفجر، يبدأه بالذهاب إلى المسجد الأموي حيث مقام نبي الله يحيى الحصور عليه السلام، ويزور شيخنا العلامة الشيخ عبد الرزاق الحلبي رحمه الله، وكانت لي مشاهداتٌ عجيبةٌ مع مولانا الشيخ علي جمعة حفظه الله تعالى.

منها أنِّي ذكرتُ له مرَّةً أنَّ الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله تعالى يذكر في بعض كتبه أنَّ رأس سيدنا يحيى غير موجود في هذا المكان، فوقف سيِّدي الشيخ أمام مقام سيِّدنا يَحيى عليه السلام وقرأ شيئًا، ورأيته وقد أخذته هزَّة كأنه العصفور بلَّله القطر، وقال لي: «لا هو موجود هنا». وكأن مولانا الشيخ علي رآه كشفًا؛ كما حدَّثنا كثيرٌ من أولياء دمشق، ومنهم مَن قال لنا: إنَّه رآه. وبدأ يصِف لنا رأسَه الشريف.

ومنها أنَّه كلما دخل على مسجد دمشق سلَّم على سيِّدي الشيخ عبد الرزاق الحلبي القارئ الجامع الفقيه، ولكنَّ العجيب أنَّ سيدي الشيخ عبد الرزاق كان الطلابُ يتوافدون عليه من قبل صلاة الفجر ليَقراؤا عليه القرآن، فدخلت مرَّة بمعيَّة مولانا الشيخ علي جمعة حفظه الله تعالى وكان وقتها مفتيًا للديار المصرية، دخلنا والطلاب يقرؤون القرآن على سيدي الشيخ عبد الرزاق، فجلَس مولانا الشيخ علي يستمِع إلى التلاوة، فلم يقطع الشيخ عبد الرزاق القراءة وأتمَّ الطالب قراءَته إلى أن انتهى، ثمَّ أقبل مولانا الشيخ علي على الشيخ عبد الرزاق الحلبي

يُسلِّم عليه، وكان الشيخ عبد الرزاق لا يستطيع الحركةَ لمرضه وكبَر سنِّه فأعطى الشيخ عبد الرزَّاق لمولانا وردةً كانت في يده وقال له: «يا شيخ علي أنا أدعو لك في سجودي كلَّ يوم» ثُم انصرفنا، وتعلَّمت من مولانا الأدبَ مع العلم والعلماء فلم يعتَب عليَّ الشيخ عبد الرزاق وإنَّما زاد توقيره واحترامُه في قلب مولانا، وقلت لمولانا الشيخ علي مرَّةً: أسرع لنسلِّم على هذا الشيخ فأسرع وسلَّمنا عليه في الأموي وكلَّمه مولانا، وكان هذا الشيخ معتقَد أهل دمشق في الولاية والصلاح، وكان ظاهر الكشف، فقال لي مولانا الشيخ علي جمعة: لم قلت لي أسرع؟! قلت: حتَّى أعرِّفكم على هذا الرَّجل الصالح. فقال لي معلِّمًا: إنَّ الشيخ عبد الرزاق الحلبي يفوق نور أبيه هذا الشيخ أكثرَ من عشرة أضعافٍ ولكنَّك لا ترى. فعرَّفني فضيلةَ العلم والعلماء ومقام سيِّدي الشيخ عبد الرزاق.

وكنَّا بعدها نذهب بصحبته إلى مدينة نوى لنزورَ إمام الدُّنيا الإمام النَّووي رحمه الله تعالى ونفعنا به، وبعد زيارة الإمام النووي كنَّا نذهب لزيارة سلطان العارفين سيِّدي محي الدين بن عربي، وسيِّدي عبد الغني النابلسي وسيدي خالد النقشبندي، وكان حريصًا على زيارة الأولياء والصالحين، وكان علماء دمشق يفرحون بقدوم مولانا الشيخ علي، وكانت تكثُر عليه الدعواتُ، والسعيد مَن حظِي بدعوته، وكان مولانا لا يستجيبُ نظرًا لضيق وقته إلا للقليل منها، ولكن الشيء الذي أدهشَني ولفت نظري أنَّنا كنَّا مرَّةً في زيارة لمقام مولانا سيدي الشيخ محي الدين بن عربي ولما انتهينا من الزيارةِ خرَجنا، وإذا بِنا نلتقي طالبًا صينيًّا يحضِّر الدكتوراه، وكان جالسًا في المسجد، فلما رأى مولانا الشيخ علي أقبَل عليه وقال: يا سيِّدي أنا أحتاجُك وأريد أن أستشيرَك في رسالتي. فجلَس مع مولانا في المسجد على الأرض بحدود السَّاعتين على كثرة الأشغال والأعمال المتلاحقة، فتعلَّمت أنه لا أكرم عند مولانا من طالب العلم، وقد رأيتُ مواقفَ كثيرةً تدلُّ

على ذلك، وأنا واحدٌ ممَّن تشرَّف بتلقِّي العلم والإشراف من مولانا على رسالتي بالماجستير والدكتوراه فوجدتُ أنَّ مولانا يكرِم طلَّاب العلم بعلمِه وماله وجاهِه، فكلُّ شيءٍ يملِكه مولانا مبذولٌ لطلَّاب العلم لا يضِنُّ بشيءٍ منه أبدًا، فكنَّا وما زلنا نشعر أنَّه الأب الحنون والمعلِّم الشغوف جزاه الله عنَّا وعن طلَّاب العلم خير الجزاء.

ومن هذه المشاهدات أنَّنا كنَّا نصحبه، وكان الطريق أحيانًا طويلًا كالذي يكون بين نوى ودمشق، والبعد بينهما بحدود مئة كيلو مترًا، فكنَّا نسأله طيلة الطريق الأسئلة العلميَّة الكثيرة، وكان لا يَتوانى عن الإجابة بشكلٍ مُسهبٍ ومطوَّل، فإذا توقَّفنا عن الأسئلة بدأ هو بالسؤال، فكان مجلسُه حتَّى في السفر والطريقِ مجلس علمٍ وتعليمٍ لا يفتأ يذكر العلم ويذاكره، ويصدُق في مولانا قولُ الشاعر:

إذا نحنــا شــارَفنا أواخــرَ علمِــه تــدفَّق حتــى قيــل هــذي أوائلُــه

فإذا توقَّفنا عن ذلك إذا بلسان مولانا الشيخ علي يلهَج بذكر الله سبحانه، فهو يبقى بين ذكر الله ومذاكرةِ العلم.

ومن هذه المشاهدات: أنَّه كان يذهب بنفسه كلَّما قدِم دمشق إلى منطقة تسمَّى الحلبوني، وهي سوق تُباع فيه الكتب وتكثُر فيه المكتبات، وكنت أقول لمولانا: يا سيِّدي لو أعطيتني أسماءَ الكتب التي تريد وأنا آتيك بها. فكانت الفائدةُ التي لا أعرفها حيث قال لي: «يا بنيَّ الذهاب إلى المكتباتِ هي إحدى طرائق التعليم». قلت: وكيف ذلكَ؟ قال لي: «لما تذهب بنفسك إلى المكتبة تريد كتابًا معيَّنًا فإنَّك ستجد هذا الكتاب بطبعاتٍ متعددةٍ، وسيمرُّ معك وأنت تبحث عن الكتاب أسماء كتبٍ جديدة لا تعرِفها، وبذلك يصبح عندك معرفةٌ بالطبعات الموجودة بأسماء كتبٍ جديدة مطبوعةٍ ومعرفة المخطوط الذي طُبع حديثًا، وهكذا تجد

نفسك أصبحت تملك معرفةً مضافة لعلمك بذهابك للمكتبات وسوق الكتب».

فتعلَّمت درسًا ما نسيتُه.

والحقيقة أنَّني لا أستطيع أن أوفِّي هذا الإمام حقَّه بأسطر وكلماتٍ؛ إنَّما كتبت خواطرَ سريعةٍ أخذتها من الصحبةِ التي شرَّفني الله بها، وإلا فالكلام كثيرٌ في حقِّ إمام عابدٍ صالحٍ بقَر العلم بقرًا، فلم يصحبه إلَّا الكتاب؛ فكان سميره وأنيسه.

وبهذا أصبح مولانا حجةً على أبناء عصره، وكأنه جاء من عصر السلف، فإذا أملى العلم من صدره كتبت عنه مجلداتٍ؛ لكنَّ الميزة أنَّ مولانا كتَب التراث بلغة عصره، وأعاد الصلة بين هذا الجيل الذي أَلِفَ الحداثة والمعاصرة، وبين الأصالة الموجودة في القرون الماضية؛ فاستطاع أن يستخرجَ كنوزها، وأن يصوغ منها عقدًا جديدًا لم ينسج ناسج على منواله، ولم يأتِ أحدٌ بمثاله، وحبَّب اللهَ إلى خلقه ونفى عن هذا الدين انتحال المنتحلين وتحريف المبطلين، فهو إمام الهدى وبلُّ الصدى، أسأل الله سبحانه أن يمده بالصحة والعافية، وأن يطيل عمره وأن ينفعنا به ظاهرًا وباطنًا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

***

القدوة والناصح الأمين المحب للإسلام والوطن

بقلم د. طارق محمد عاصم محمد الجوهري

My Life with Mawlana



رئيس مركز التعايش للأبحاث أمريكا - مقدم الطريقة الصديقية الشاذلية - أمريكا

We live in a complex world where we find competing interests jostling for our attention and loyalty at almost every moment of the day. While I am sure this has always been the case since humankind first lived together in community, what makes the contemporary situation particularly challenging is that these interests do not always stem from the same thought paradigm. For a person of faith trying their best to hold on to traditional values and practices, this can be extremely confusing and difficult. As a young man growing up in the United States with immigrant parents from Egypt, I always found myself between two paradigms, between two ways of life, between to ethical systems. By the time I got to the university, I felt that the questions I had were not being answered sufficiently; there was no figure I could turn to for sincere advice and guidance. I was either encouraged to shed off my traditional identify since it was antiquated and backward, or to reject the world around me because it was against my way of belief. Neither option seemed to make sense or provide comfort.

After a series of events, I found myself in Cairo, Egypt in the summer of 2003 praying Friday prayer at the Sultan Hasan mosque where I met, for the very first time, Shaykh Ali Gomaa. I was overwhelmed at my first meeting: the khutba followed by a fiqh lesson, followed by open question and answers. All my concerns, my frustrations, my confusion were being answered at the same moment. From the conceptual to the minutiae, from the mundane to the philosophical, I was swimming in an ocean of knowledge where the each wave was washing away my pain and cleansing my heart. This initial meeting most likely did not

take more than 2 hours, but I was so struck by what I had just seen, so taken by Shaykh Ali's words, that as I ran after him to introduce myself, I forgot my sandals in the mosques and walked after him in the street barefoot! He invited me to his home, but as I looked down, suddenly feeling the heat from the summer pavement on my dirty bare feet, I looked at him in shock and said, "but I forgot my sandals!" to which he replied, "he came from America barefoot!" And this was the truth of the matter! I had come naked and barefoot and Shaykh Ali clothed me with love and knowledge.

From that moment on I became his student: a student of both the Sharia and the Haqiqa. Despite his heavy responsibilities as Grand Mufti of Egypt, Shaykh Ali was still able to keep a demanding teaching schedule. I was blessed to attend both public classes in fiqh and usul al-fiqh as well as private ones in tassawuf. All together, these classes opened a door to another world. It wasn't simply a lecture explaining a medieval text; rather the class was filled with hundreds and hundreds of reference volumes. We would not come across a reference or a quote except that we looked it up, verified it, and most importantly challenged the shaykh by arguing the opposing opinion. These classes were part of a living interpretive tradition, a tradition that gave us life, hope, and a deep desire to be the best versions of ourselves. And yet, despite the intellectual rigor that these classes required, in a strange and almost magical way, the complex was made simple and practical, and rather than be relegated to intellectual and academic debate, these classes taught us how to implement what we were learning and how to manifest the inherent beauty of Islam, how to manifest the inherit beauty of our beloved Prophet (Allah bless him and give him peace).

My journey with Shaykh Ali was to continue, however, beyond the riwāq. I was blessed to travel with him many, many times and to see him in action in the real world. I witnessed him deal with a ferocious media trying to undermine not only his efforts as Grand Mufti, but also the basic tenants of Islam. I observed him interact with heads of states, royalty, as well as students and detractors from all walks of life. While the

incidents are too many too enumerate, the one thread that unites all of these is that I witnessed the power of love, not only as an idea, but a constant expression that flows in one's every action, speech, and conduct. I saw in action what love of Islam and what love of homeland meant in the actions of Shaykh Ali. I saw what it meant to be an ambassador of one's faith and one's country, how there is always an opportunity to build bridges, say positive things, make alliances, and influence people to good works and not build hatred and animosity. This lesson, even more than the lessons of the riwāq taught me how I can coexist with the multiple paradigms of the world and how to be a Muslim of both the East and the West.

However, despite all of the aforementioned, there is a deeper, more personal relationship I have with Shaykh Ali because he is not just my teacher, but he is also my Shaykh who taught me how to worship Allah and how to love His beloved Messenger (Allah bless him and give him peace). I took the Shadhili Path from Shaykh Ali in the summer of 2003 **and he has guided me through the long inner-journey of the self. I have shared things about my personal life with Shaykh Ali that I have not divulged to any human being ever! His patience, love, humanity, compassion, and overall mercy towards me are so overwhelming that simply reflecting on this causes an abundance of emotional and humility that is impossible to describe. I will forever be in Shaykh Ali's debt. I am nothing today without the aid, assistance, and blessings of mawlana. May Allah preserve him and keep him for us!**

***

حياتي مع مولانا

نعيش اليوم في عالم شديد التركيب والتعقيد، تتجاذبنا فيه توجهات شتى، ففي كل لحظة من لحظات يومنا تتنافس تلك التوجهات على احتلال انتباهنا وكسب ولاءنا، ورغم يقيني التام بأن هذا هو حال عالمنا منذ بدأ البشر العيش معًا في مجتمعات، إلا أن الوضع الراهن يشكل تحديًا أكبر لأسباب تتعلق بكون هذه التوجهات غير نابعة بالضرورة من نموذج فكري معرفي واحد.

وهذا واقع معيش شديد الإرباك والصعوبة على الشخص المؤمن بدين ما، والذي يحاول أن يقبض على جمرات قيمه وممارساته النابعة من معتقداته التراثية.

نشأتي في الولايات المتحدة الأمريكية كابن يافع لوالدين مهاجرين من مصر؛ جعلني متحيرًا دومًا بين نموذجين معرفيين، بين طريقتين للحياة، بين منظومتين أخلاقيتين.

ومع وصولي إلى مرحلة الدراسة الجامعية، شعرت بأن تساؤلاتي الكثيرة لم تلق أجوبة تشفي غليلي، لم أجد مثلًا أحدًا أستطيع أن أثق فيه كقدوة وناصح أمين، فوجدت نفسي مستقطبًا بين خيارين لا ثالث لهما، إما أن أتنصل من هويتي التراثية بزعم أنها هوية رجعية، قد أكل عليها الدهر وشرب، وإما أن أتنكر للعالم بواقعه المعيش بزعم أنه قائم على التضاد والتصادم مع كل ما أومن به.

والحقيقة أن كلا الخياران بديا غير منطقيين، وغير قادرين على تقديم أي نوع من أنواع السلوى.

ثم شاءت الأقدار أن أجد نفسي في القاهرة في مصر، في صيف عام ٢٠٠٣، وفي يوم جمعة كتب لي أن أصلي في جامع السلطان حسن، حيث لقيت وللمرة الأولى الشيخ علي جمعة.

وقد انبهرت بالشيخ في لقائي الأول به أيما انبهار، البداية كانت مع خطبة الجمعة التي تلاها درس علمي في الفقه، تبعه حلقة أسئلة مفتوحة.

ووجدت جميع ما قد أشغل بالي وأرّقه، وكل ما قد أربكني وحيرني؛ يجاب عنه في لحظة واحدة! وسواء كانت تساؤلاتي من قبيل الفكري المركب المتعلق بالأصول، أم كانت من باب الفروعي البسيط، أو السطحي أو الفلسفي العميق، فقد تمت الإجابة على الكل!

كنت كالسابح في محيط معرفي هائل، تغسل كل موجة من موجاته آلامي وتطهر فؤادي.

هذا مع أن هذا اللقاء الأول لم يزد في مدته عن الساعتين، ولكن أثره علي كان مزلزلًا! لدرجة أنني مع تأثري بكلمات الشيخ علي ركضت وراءه لأعرفه بنفسي، ونسيت في خضم ذلك أن ألبس نعالي، فوجدت نفسي أتبعه خارج المسجد وفي الشارع حافي القدمين!

وقد تفضل عليَّ بدعوتي إلى منزله، وفجأة نظرت إلى قدمي بدافع من الإحساس بسخونة الرصيف التي ألهبت قدمي المتسختين من أثر المشي بلا نعال، فرفعت نظري إلى الشيخ وقلت له: «ولكني نسيت نعالي» فرد الشيخ في سرعة بديهة ولطف: «لقد أتانا من أمريكا حافيًا!» وكانت هذه فعلًا حقيقة أمري، فلقد أتيت عاريًا حافيًا، وقد سترني الشيخ علي وكساني بحلل الحب والمعرفة، ومنذ تلك اللحظة صرت تلميذه ومريده، شريعة وحقيقة.

ورغم أعباءه الثقيلة كمفتي للديار المصرية، فقد ظل الشيخ علي ملتزمًا بجدول تدريسي مرهق، وكان من توفيق الله لي وبركته علي أن مكنني من حضور دروسه جميعها، سواء ما كان عامًّا منها كالفقه وأصوله، أو ما كان خاصًّا كدروس علم التصوف.

وقد فتحت لي كل هذه الدروس بأنواعها أبوابًا على عالم آخر، فلم تكن تلك المجالس والدروس مجرد محاضرات أكاديمية يشرح فيها نصوصًا كتبت في القرون الوسطى، بل كانت دروسًا تعجُّ بذكر مئات من المراجع العلمية الرصينة، والتي لم يذكر أحدها أو منها نص إلا رجعنا إلى الأصل نتحقق منه ونتدارسه، ويمتحننا فيه الشيخ باعتبار وجهات النظر المضادة لما بين أيدينا، فكانت هذه الدروس بحق مجالس إحياء لفهم وتفسير التراث ومناهجه بمنظورٍ أحيانا وأحيا فينا الأمل، وبعث فينا رغبة عارمة أن نتحلى ونتخلى لنتجلى كأحسن ما يمكننا أن نكون، ومن العجيب أنه رغم عمق وتعقيد المواضيع والمادة العلمية محل هذه الدروس وما تتطلبه من مجهود عقلي كبير، فإن المركب تم تبسيطه دون إخلال، والمجرد تم تنزيله على الواقع دون إبدال، فوجدنا أنفسنا وقد استبدلنا المناقشة الأكاديمية الجافة بالتلقي المعرفي الذي كان يصب في صدورنا صبًّا، معلمًا إيانا كيفية تنزيل ما نتعلمه من قواعد على الواقع المعيش، وكيف نجلي لأنفسنا وللناس جمال الإسلام وحسنه الأصيل، وجمال حبيبنا ونبينا نبي الإسلام وحسنه الباهر عليه وعلى آله وصحبه أتم الصلوات والتسليمات من رب العالمين.

وقد شاء اللطيف الخبير أن تستمر رحلتي مع الشيخ علي لتتعدى حدود الرواق الأزهري، فأكرمني الله بصحبة هذا العلامة الجليل في أسفاره مرات ومرات، ومنحت لذة التعلم منه والفهم عنه من خلال المواقف الواقعية في الحياة العملية، فشهدت كيفية تعامله مع بعض النماذج الإعلامية الشرسة التي أخذت على عاتقها ليس فقط التقليل من أهمية مجهوداته كمفتي للديار المصرية؛ بل تعدت ذلك إلى التعرض لثوابت الدين الإسلامي ذاته، وشهدت تعامله مع رؤساء الدول، والملوك والأمراء، وكذا طلبة العلم فضلًا عن المنتقدين والمخالفين له من جميع الخلفيات.

وقد مر بي معه من الأحداث ما يستعصي على الحصر، ولكن الخيط الناظم فيها جميعًا هو شهودي لسلطان الحب، ليس فقط كفكرة مجردة وإنما كتعبير دائم يتخلل كل فعل وقول وسلوك.

لقد عاينت بنفسي من خلال كل حركة وكل سكنة بدرت عن الشيخ -التطبيق العملي لمعني المحبة للإسلام وللوطن، وقد شهدت بنفسي معني التحقق بكون المرء سفيرًا لدينه ولوطنه؛ من خلال استغلاله لكل فرصة تسنح لمد الجسور، وإفشاء السلام، والكلم الطيب، وفتح قنوات التعاون على البر والتقوى، والأخذ بأيدي الخلائق نحو فعل الخيرات، وترك المنكرات والشقاق والعداوات والبغضاء.

وقد علمتني هذه المواقف- ربما أكثر مما تعلمت في الرواق- كيفية التعايش مع النماذج المعرفية المختلفة والمتنوعة في عالمنا، وعلمتني كيف أكون مسلمًا بحق سواء كنت في الشرق أو كنت في الغرب.

ورغم جلال جميع ما ذكرته مسبقًا، فإن الله قد منَّ علي بما هو أجل وأكبر منه، وذلك هو علاقتي الشخصية المباشرة، فالشيخ علي ليس فقط معلمي، ولكنه شيخي الذي علمني عبادة الله سبحانه تعالى بحق، ومحبة رسوله الكريم صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم.

فقد أخذت عنه الطريقة الشاذلية في صيف عام ٢٠٠٣ فتغمدني بالرعاية الروحية، وكان لي دليلًا في رحلة طويلة لاكتشاف نفسي وتهذيبها.

فأفصحت له عن أسراري الشخصية، وبواطن أموري مما لا يعلمها عني غير علام الغيوب سبحانه وتعالى، فقابل كلَّ ذلك مني بالصبر علي، وغمرني بمحبته وإنسانيته وعطفه ورحمته السابغة؛ التي لا يسعني إزاء تدبرها إلا أن أغرق في فيض من الأحاسيس السامية، تتواضع لها نفسي بشكل يستحيل وصفه.

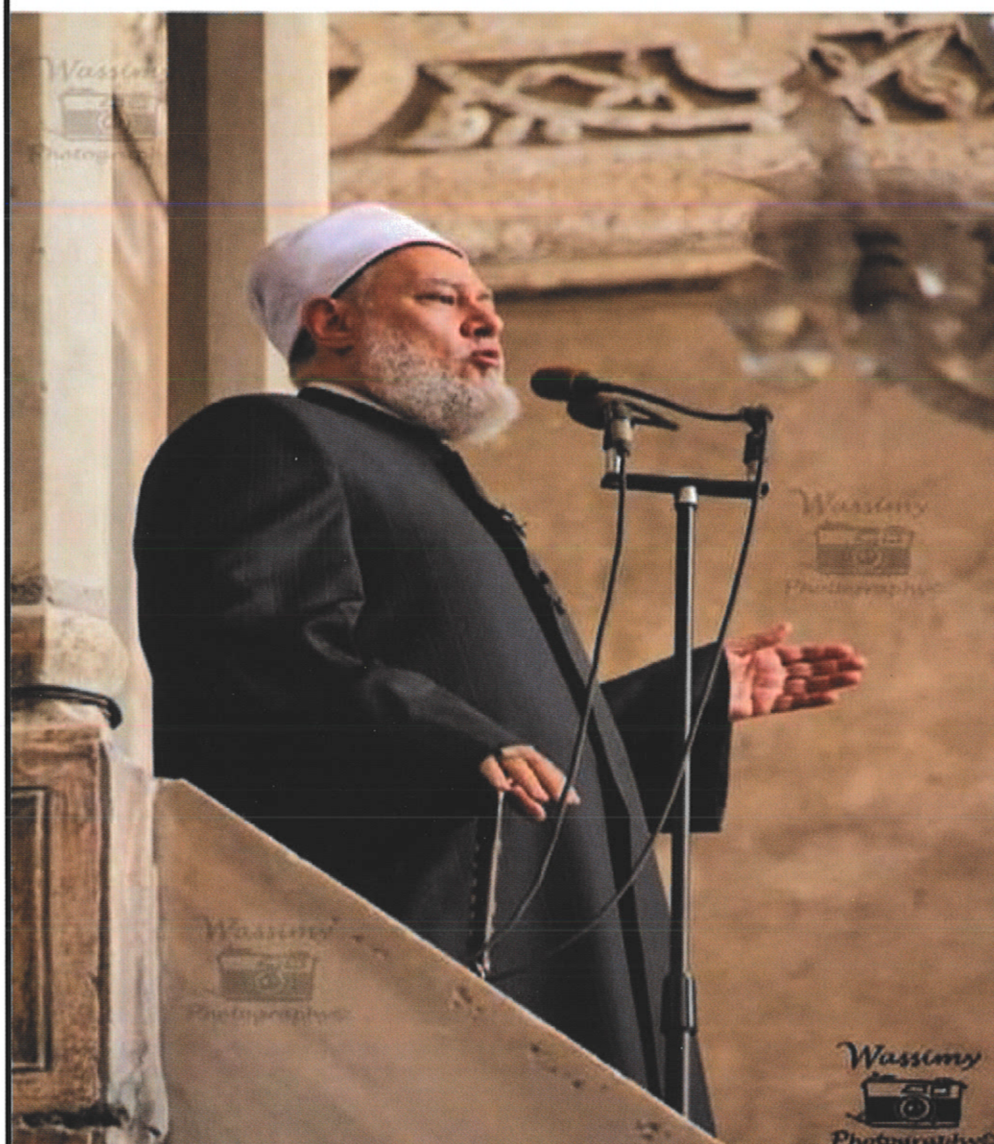
لذا أشهد الله علام السر وأخفى، أنني أظل أبد الدهر مدينًا للشيخ علي، فماذا أكون اليوم بدون عونه ودعمه وبركاته؟!

حفظه الله ورعاه وأبقاه ذخرًا لنا وللعالمين.

أحـــبهم وأداريهـــم وأوثـــرهم ... بمهجتـــي وخـــصوصًا مـــنهم نفـــرا
قوم كرام الـسجايا حيث مـا جلـسوا ... يبقـى المكـان عـلى آثـارهم عطـرا
يهدي التـصوف مـن أخلاقهـم طرفًـا ... حـسن التـآلف مـنهم راقنـي نظـرا
هـم أهـل ودي وأحبـابي الـذين همـو ... ممـن يجـر ذيـول العـز مفتخـرا
لا زال شـملي بهـم في الله مجتمعًـا ... وذنبنـــا فيـــه مغفـــورًا ومغتفـــرا
ثـم الـصلاة عـلى المختـار سـيدنا ... محمـد خـير مـن أوفى ومـن نـذرا

***

أتـته الإمامة منقـادة * اليـه فأحسن أعمالها
فـلم تك تصـلح إلا له * ولم يك يصلح إلا لها



إمام التطبيق الواعي والفهم الصحيح للإسلام

بقلم لواء عبد العزيز علي



نائب رئيس مجلس أمناء مؤسسة مصر الخير – مصر

بداية أقر أنني لا أملك من العلم الذي يمكنني أن أكتب عن مولانا الإمام الدكتور علي جمعة، ولكن سألقي الضوء على جانب عشت فيه مع مولانا أكثر من عشر سنوات في مؤسسة مصر الخير، فهو صاحب المبادرة في إنشائها، فهو مؤسسها ورئيس مجلس الأمناء فيها.

وأتكلم هنا عن قيمة الفهم الصحيح لمبادئ الإسلام، وكيف يمكن تطبيقها في المجتمع فتُحدِث الفارق وتؤثِّر على حياة البشر جميعًا المسلمين وغير المسلمين.

وكلنا يعرف ويحفظ الآية الكريمة التي تحدِّد مصارف الزكاة ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: ٦٠].

كيف كان الفهم والتطبيق الصحيح الذي يتماشى مع العصر الذي نعيش فيه هو الذي صنع ويصنع الفارق بين مؤسسات العمل المدني ومؤسسة مصر الخير؟

من خلال الفهم والتطبيق الصحيح لبعض من مصارف الزكاة؛ تمكنت المؤسسة من تفعيل أحد مصارف الزكاة وهو الغارمين.

من أموال الزكاة التي تجمعها المؤسسة قرَّر مولانا الإمام تفعيل هذا المصرف، وطبقًا للمبدأ الذي وضعه مولانا في المؤسسة باتِّباع المنهج والأسلوب العلمي

لتنفيذ أي مشروع؛ بدأ بدراسة المشكلة من الجذور وأساليب العلاج، والتعرف على كل الجوانب المرتبطة والمؤثرة فيها، وتكوين الفريق المناسب من التخصصات المختلفة للوصول إلى الهدف، ليس فقط إخراج الغارم من محبسه ولكن العمل على إزالة الأسباب التي أدَّت إلى أن يصبح غارمًا وتوفير أساليب العيش التي توفِّر له الفرصة الجيدة والمناسبة لبدء حياة جديدة.

وبفضل الله تمكنت المؤسسة من إخراج أكثر من ٧٥٠٠٠، نعم أكثر من خمسة وسبعين ألف غارم وغارمة وتوفير دخل مناسب لهم لاستمرار الحياة الكريمة من خلال إنشاء مشروعات مناسبة لقدراتهم، وفي هذا المجال تمَّ إنشاء عدة مصانع للسجاد، توفِّر لهم فرص عمل مجزية، أو توفير مشروعات تولِّد دخلًا مناسبًا لهم.

التطبيق الثاني والفهم الصحيح والمتطور لمصرف آخر من مصارف الزكاة، هو «فك الرقاب»، رغم أنَّ الرقَّ والعبودية بالمفهوم القديم لا يكاد يُرى الآن في العصر الحديث، لكن مولانا رأى أنَّ الاعتماد الكلي على الآخرين في حلِّ المشاكل التي نقابلها واعتمادنا الكامل على استخدام الاختراعات والاكتشافات على الآخرين -هو صورة من العبودية التي يجب العمل على التخلص منها؛ واستخدام سهم فك الرقاب من مصارف الزكاة في البحث العلمي ودعم العلماء والباحثين.

فقامت المؤسسة «مؤسسة مصر الخير» بناءً على توجيه فضيلته بإنشاء قطاع كامل للبحث العلمي في المؤسسة، وكمبدأ لا تحيد عنه المؤسسة في استخدام الأسلوب العلمي في التطبيق؛ فقد تمَّ ضمُّ المتخصصين في مجال البحث العلمي للمؤسسة، وتوفير الإمكانيات اللازمة لدعم البحث العلمي والباحثين في مجالات المياه والطاقة والطب، وأيضًا في إنشاء حضانات ريادة الأعمال وتبنِّي

الباحثين في المجالات المختلفة، ودعمهم حتى تتحوَّل أفكارهم إلى منتجات ملموسة.

أعترف أنني لا أضيف جديدًا إلى مولانا الإمام، فقط أوضح مدى تأثير الفهم والتطبيق الصحيح لمبادئ الإسلام كيف يؤدي إلى تقدم الأمم وخدمة الناس جميعًا.

مولانا أفاض الله لك من العلم ما ينفع الناس، وجعلك دائمًا إمامًا للفهم والتطبيق الصحيح للإسلام.

***

منارة العلم الجامع بين الأصالة والمعاصرة

بقلم فضيلة الشيخ/ عبد الفتاح عبد الجليل قاسم
شيخ الطريقة القاضية الشاذلية
خليفة خلفاء سيدي الشيخ عبد الفتاح القاضي

الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، القائم فينا حجته، القائل في كتابه العزيز: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد القائل في حديثه الشريف: «مَنْ يُرِدِ الله بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» (رواه البخاري). صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الأطهار، وصحبه الأكرمين الأخيار، ورضي الله عن مشايخنا وعلمائنا المتقين الأبرار، وبعد:

فإن أستاذنا الدكتور علي جمعة محمد عبد الوهاب مفتي الديار المصرية السابق الأصولي الفقيه، والألمعي النبيه، منارة العلم وركيزة من ركائز الدعوة إلى الله، فهو الأخ الصالح والشيخ الفالح والمعلم الناجح، عرفناه أنموذجا للعالم المحقق، والأصولي المدقق، حاملا لواء الدعوة إلى الله تعالى علما وعملا، متفهما لأحوال زمانه، جامعا بين الأصالة والمعاصرة، خائضا في لُجِجِ بحار العلوم بهمة فتية نادرة، ناقلا تراث الأجداد للأحفاد بسلامة وبساطة وسهولة قلَّ أن تُوجد في أمثاله، متكلما في شتى المتون والفنون حائزا للسبق، لم يقف على ساحل واحد من علوم الشريعة ولكنه تبحر في الفقه وأصوله، والحديث وعلومه، واللغة وآدابها، والبلاغة بأقسامها، والتفسير وعلوم القرآن إلى غير ذلك من العلوم النقلية والعقلية، وقد برع فضيلته وتميز بأسلوب فريد فقدم الدين بأصوله بأسلوب عصري صبغه بما حباه الله من قبول وقدرة إقناع، وفهم عميق وسعة اطلاع، فحبب العلم للطلاب وجذب للحقيقة الأحباب.

وقد توسع فضيلته في دائرة معارف العلوم الدنيوية دارسا للاقتصاد والسياسة والقانون والفيزياء والكيمياء والرياضيات، متكلما في كل ما سبق بحنكة المتخصص الذي يقنع المستمع إليه أنه متضلع في كل علمٍ من هذه العلوم، ثم وظف كل هذه العلوم لخدمة المنهج الأزهري الوسطي الأصيل، فقام عليه خدمة ودعوة، وبحثًا ونشرًا وتأليفًا حتى وصلت هذه الدائرة المعرفية له لتكون مكتبته الشخصية وهي أكبر مكتبة خاصة بالشرق الأوسط، مجهزة بأحدث البرامج الإلكترونية التي تنفع الباحثين وتُسَهِّل عليهم عملية البحث في شتى العلوم والفنون.

كذلك من بركات الله تعالى عليه أن أحيا الله به مجالس الجامع الأزهر الشريف في أوائل التسعينات، بعد مواتها نحو قرن من الزمان، فقام في هذه المجالس جامعًا علماء الأمة الأثبات ليُعيدوا للأزهر الشريف نظام الدراسة القديمة التي تخرج فيها علماء الأمة جيلًا بعد جيل، وفي هذه الفترة وما بعدها آخيناه في الله تعالى أخوة أسرية صادقة بعدما انتسب إلى شيخنا وسيدنا العارف بالله تعالى الدكتور حسن عباس زكي ﷺ، والذي كان يثني عليه وعلى علمه وفطنته الكثير، وهو من هو العارف بالله سيدنا الشيخ حسن عباس زكي، الذي له في علوم الظاهر والباطن الباع الطويل، والمذاق العذب الفريد، والسبق العظيم، وقد فتح الله بصيرته بالرأي السديد، ودامت بيننا وبينه أواصر المودة والرحمة والمعروف والبركة مؤيدة بقول الصالحين «العلمُ رحمٌ بين أهله».

ومع أوائل الألف الثالثة من الميلاد فتح الله لعالمنا الجليل أوسع أبواب حمل الأمانة ونشر الرسالة، بداية من عمله عضوًا بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، ثم أقامه الله تعالى في مرتبة الشرف والكمال ليصبح مفتيًا للديار المصرية، فقام عليها خير قيام ورمم ما تحطم من بنيانها الظاهري والباطني، وخرج من خلالها موسوعة فتاوى دار الإفتاء المصرية منذ نشأتها حتى عهده، ونشرها مطبوعة ومبثوثة في المكتبات العالمية إلكترونيا لتنتفع البشرية بها فيها، وظل بهذا المنصب الرفيع حتى وصل إلى سن

التقاعد، ومنها ليُصبح عضوًا بهيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، وهو منصب لا يصل إليه إلا من كمُلَت أهليته له، وبين هذه السنوات أحداث طوال وأعمال عظام يطول المقام لذكرها، من بحث وتأليف وإشراف على مؤلفات علمية خرجت ولا زالت تخرج إلى يومنا هذا، بما يثري المكتبة الإسلامية خاصة في التصوف، وكذلك مناصب ومراتب دولية رفيعة حازها من العديد من الدول في الشرق والغرب.

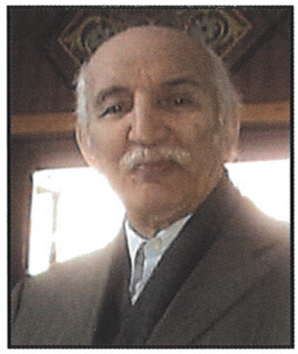
وكذلك لا ننسى له دوره الاجتماعي الرائد لخدمة الإنسانية عن طريق المؤسسة الخيرية الكبرى (مصر الخير) التي يشغل منصب رئيس مجلس أمنائها، وما لتلك المؤسسة من فضائل عمت البشرية على اختلاف ألوانها وأجناسها وأديانها، إلى غير ذلك من الأعمال التي لا حصر لها في هذا الميدان.

ثم منَّ الله تعالى عليه بعد أن سلك طريق الشريعة والحقيقة وتربع على عرش العلوم، وتلقي أسانيد عدة في الطريق إلى الله تعالى أن شرف بمنصب شيخ الطريقة الصديقية الشاذلية عن شيخها العارف بالله تعالى السيد عبد الله بن الصديق الغماري رضي الله عنه، بإسناده حتى سيدنا أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، وبأسانيده حتى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام بذلك خير قيام، وأصبح مسجده العامر (مسجد فاضل) منارة هداية ونبراس إرشاد، ومقصدًا للصالحين من مصر وخارجها، ومنهل علم لطلاب الحق، ولا زالت بيننا وبينه تجمعنا أخوة دينية، ووحدة شرف عليَّة نعتز بها دوما، تؤيدها الولاية النبوية علينا جميعا ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٦] فالعلماء لهم حظٌّ من ميراث النبوة على قدر ما يكونون عليه من العلم والعمل والإخلاص، وعلى قدر الدعوة إلى الله تعالى وخدمة دينه والشفقة والنفع لعباده.

أطال الله في عمره في صحة وعافية وستر وخير، ونفع به البلاد والعباد، وختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين.

تحية للشيخ/ نور الدين علي جمعة

الشريف عبد الكريم الوزاني اليملحي الحسني

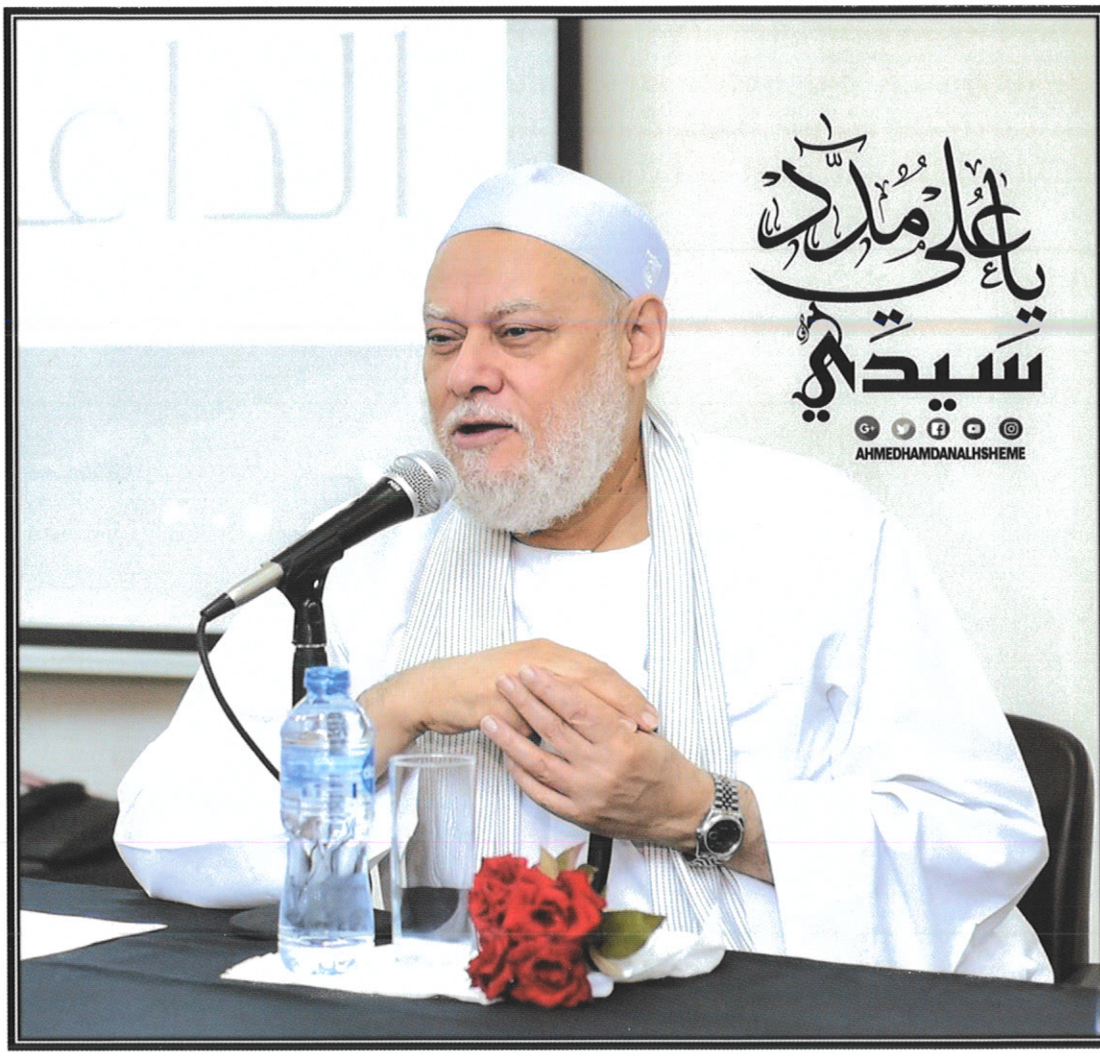


شاعر فاس – المغرب

يَا طَائِراً لِرِحَابِ الشَّرْقِ يَحْمِلُنِي   حُثَّ الخطَى فَسِمَاتُ الشَّيْخِ فِي الطَّلَبِ
هَذَا عَلِيٌّ وَنُورُ الدِّينِ حِلْيَتُهُ   وَجَامِعُ الجودِ فِي طِرْسٍ مِنَ الذَّهَبِ
الرَّاكِعُ الْفَذُّ إنْ هَزَّتْ مَنَابِرَهَا   تَبْتِيلَةُ الْفَجْرِ أَوْ تَرْتِيلَةُ الْكُتُبِ
وَالخَائِضُ الْغَمْرَ مِقْدَاماً وَمُحْتَسِباً   مَهْمَا ادْلَهَمَّ بِهِ مِنْ خُلَّبِ السُّحُبِ
كَأَنَّهُ صَفْحَةٌ بِالْيُمْنِ مُشْرِقَةٌ   تِلَادُهُ مَازَجَتْهَا صَوْلَةُ الأَدَبِ
مُضَمَّخٌ بِحَصِيفِ الذِّكْرِ دَانَ لَهُ   وَالجِدُّ بِالْفِكْرِ لَا بِالْهَزْلِ وَالصَّخَبِ
كَمِ الْتَمَسْتُ إِلَى أَجْوَائِهِ سَبَباً   وَمَا المُسَبِّبُ إِلَّا غَايَةُ السَّبَبِ
لِأَنَّ جَوْهَرَهُ فَرْدٌ بِمَعْدِنِهِ   وَجَوْهَرُ الصَّفْوِ فِيه محكَمُ النَّسَبِ لِنَسَبِ
فَكُلُّ مَنْ عَبَرُوا نَهْرَ الحَيَاةِ بِهِ   حَاكُوا المَسَرَّةَ فِي نَوْلٍ مِنَ الحَدَبِ
وَمَيَّزُوا الرَّمْزَ عَنْ مَرْمُوزِهِ وَرَأَوْا   لِلزَّانِ فَضْلاً عَنْ تَعْرِيشَةِ الْقَصَبِ
لِأَنَّهُ مِرْبَدُ الْفُصْحَى وَسَادِنُهَا   وَقَوْلُهُ خَلَّدَتْهُ دَوْرَةُ الحِقَبِ
وأَنَّهُ المَنْبَعُ الْأَسْنَى مُبَارَكَةً   يَمْتَاحُ عَنْهُ الحَوَارِيُّونَ فِي دَأَبِ
فَهَلْ رَأَيْتُمْ ضِيَّاءً غَابَ سَاطِعُهُ   عَنِ الْعُيُونِ، فَنُورُ اللهِ لَنْ يَغِبِ

يَا غَوْثَ مُـلْـتَـجِـئٍ إنْ ضاقَ مُـلْتَجئٌ فَاللهُ مُعْـتِــقُهُ مِـنْ ظُـلْمَةِ الحُـجُبِ
فَـقِــفْ مـلِيّاً عَـلَى أضْـوَاءِ طَـلْـعَـتِهِ فَـلَـيْسَ أصْـدَقُ أضْـوَاءً مِنَ الـشُّهُبِ

***


يا علي مدد
سيدي
AHMEDHAMDANALHSHEME

العالم العلامة الفريد والجامعة المتكاملة ورجل الدولة

بقلم د. عبد الهادي القصبي



شيخ مشايخ الطرق الصوفية في مصر ورئيس لجنة التضامن بمجلس النواب

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد إمام المجاهدين، نبي الأمة، وكاشف الغمة، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هداه إلى يوم الدين، أما بعد:

فبكل الحب والإعزاز أسطر هذه الكلمات عن شيخنا الجليل الأستاذ الدكتور علي جمعة شيخ الطريقة الصديقية الشاذلية، ومفتي جمهورية مصر العربية، العالم العلامة الفريد الذي أعاد لنا عصر أئمة التصوف الذهبي، وحاز ثقة جموع المسلمين في ربوع الأرض، في وقت حرج كاد التراث الإسلامي العظيم من القيم الروحية - والذي يُعد رأس مال أمتنا - أن يندثر، وهو المتمثل في التصوف الصحيح، تصوف أهل الحق أهل الوسطية والتسامح، العلماء الربانيين العاملين، والذي يتربع على قمتهم عالمنا الجليل.

فهو الولي التقي والعالم الجامع بين علوم الشريعة وعلوم الحقيقة، والذي يمثل وبحق جامعة متكاملة للعلوم النقلية والعقلية جنبا إلى جنب مع علوم التصوف، حيث قدر الله له أن يجمع بين هذه العلوم في دراساته منذ بداياته، وحتى امتطى جواد الدراسات العليا، فكان دائما بفضل من الله من السابقين، وصولا إلى المنزلة التي اختارها الله تعالى له في قلوب ليس العالم الإسلامي فحسب؛ بل وسائر الناس من كافة الديانات والدول والبلدان، فمولانا الإمام العلامة صاحب فكر، وله رأي في قضايا الدين والدنيا، وتشهد دار الإفتاء المصرية له بذلك، حيث

أحدث بها طفرة نوعية وكمية غير مسبوقة في تاريخها، وتاريخ المؤسسات المماثلة حتى شهد لها العالم بأسره، ووضعها في المستوى اللائق بها كمرجعية عالمية نموذجية، تأخذ بكافة وسائل العلم والاتصالات الحديثة في غير انفكاك عن الشرع الحنيف.

وعلى الجانب الإنساني والخدمي لم ينقطع فضيلته عن الشارع المصري وما يعتريه من أحوال دعت فضيلته إلى إعمال الفكر الإنساني والإسلامي الممتزج بالقيم الصوفية في خدمة الناس والمجتمع والدولة، فأثمرت جهوده عن ميلاد واحدة من أكبر المؤسسات الخيرية التي تعمل في كافة مجالات خدمة المجتمع، وهي مؤسسة مصر الخير، التي ذاع صيتها في بقاع الأرض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، وصارت مثالا يُحتذى لكل من أراد أن يقوم بالخدمة المجتمعية والأهلية في نسق منضبط يعرف كيف يضع أولوياته ويرتبها، وأين ومتى يقوم على تنفيذها، وما هي احتياجاته، وموارده، وأوجه الإنفاق، وأمور كثيرة يصعب حصرها قام على تأسيسها وتقنينها ورعايتها وإدخالها حيز التنفيذ لتصير واقعا ملموسا على يد شيخنا وعالمنا رجل العلم والإدارة المُحَلَّى بالقيم والأخلاق والمبادئ.

ومن دقائق علوم الإمام العلامة كونه باحثا ومؤرخا، والأولى معروفة عنه، ولا يمارِيه فيها أحد، والكل يشهد بقَدْرِه في ذلك. أما الثانية فهي من فيوضات الله تعالى الخاصة عليه حيث إنه يقص العديد من المواقف التي عاصرها بنفسه ولا يدركها كثير من الناس، أو سمعها من أحد الثقات فيقصها وكأنه حضرها وشاهدها بذاكرة واعية ذكية لا تخطئ، مع إقامة الدليل على كل ما يصدر عنه، ثم يقوم بتحليل هذه المواقف برؤية ثاقبة خبيرة لا تملك إلا أن تصدق على ما يقوله، وهي من كرامات فضيلته التي لمستها من خلال لقاءاتي العديدة العامة والشخصية معه.

وتشهد له مصر الحبيبة أنه من أبنائها المخلصين المحبين، يزود عنها بكل ما يملك، مدافعا عنها، ساعيا إلى رقيها ورفعتها، محبا لوطنه، دائما تجده في الأزمات عالما مخلصا مربيا وموجها إلى الحق وإلى الحفاظ على وحدة الوطن، ومبينا ذلك بالأدلة الشرعية، والتاريخية.

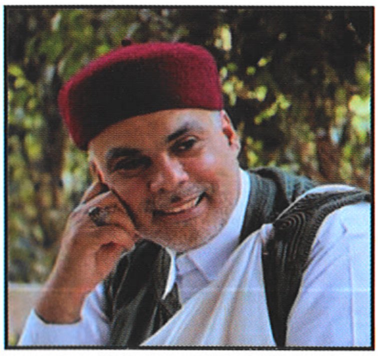
وعن تصوفه، فمما لا شك فيه أن فضيلة مولانا عالم صوفي صاحب نشأة صوفية عميقة أثرت في حياته ومسيرته الحياتية، تميز فيها بخلق الرحمة واللين والتيسير والحب، سار على نهج الصدر الأول، حتى إذا رأيته واستمعت إليه وأصغيت حسبته منهم في زمن معاصر، فهو إمام على نهج السلف الصالح مجددا لعصره، فأعاد لنا عصر أئمة التصوف وأعلامه، حتى أشهر طريقته الصديقية الشاذلية، والتي أجمع على قبولها المجلس الأعلى للطرق الصوفية المصري، ورحب بها وبوجودها وبشيخها كإضافة قوية للصوفية في مصر، نظرا لأن شيخها هو الدكتور علي جمعة، أحد كبار علماء العالم الإسلامي، وله باع كبير في التصوف يساهم به في النهوض والمشاركة باللجنة العلمية للطرق الصوفية، خاصة وأن فضيلته عضو بهيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، والمفتي السابق للديار المصرية، مما يساعد على استثمار التصوف وترشيده.

لقد حاول الكثيرون تتبع سيرة هذا العالم المربي، عالم الدين، ورجل الدولة، الباحث والمؤرخ، فوجدوه أنموذجا فريدا يحتاج إلى مجموعة ضخمة من الباحثين تقوم على مئات الأبحاث لتكتشف عظيم خصاله، وتطلع على مكنون قلبه، ومجالات فكره، وعبقرية عقله، وأشك أنهم يكشفوا عن كل شيء، فشيخنا بحر لا ساحل له، فهو من الورثة المحمديين، لين سهل محب، قوي في الحق.

***

الجبل الراسخ في العلوم فاتح باب الاجتهاد

بقلم د. عز الدين بالعيد الشيخي الفيتوري الإدريسي الحسني



نقيب السادة الأشراف في ليبيا
ورئيس المجلس الأعلى لمشيخة الطرق الصوفية - ليبيا

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فإنَّ الله سبحانه وتعالى قد منَّ علينا معاشر المسلمين بنعمة دين الإسلام الخالد، وأرسل لنا أعظم رسله سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولاتزال نعم الله تعالى تتوالى على هذه الأمة الخيرية جيلًا بعد جيل، ونعمه عز وجل لا تنفد وعطاؤه ليس له حدود، وإن من أعظم المنن الإلهية هي منَّة إرساء قواعد الدين بواسطة العلماء الأجلاء والمشايخ العظام عبر الزمن، وإن المؤرخين الأوائل الذين أرَّخوا للإسلام- سواء مِن داخل دائرة الإسلام أو من خارجه مستشرقين وغيرهم- لابدَّ وأن يذكروا علماء الإسلام وأعلامهم الذين ذاع صيتهم وانتشر علمهم وخبرهم، وفي زمننا هذا الذي نعيش فيه، شعشع نور كوكبة من السادة العلماء الكبار، فأناروا سبيل المسلمين بعلمهم، وكانوا أسوة حسنة بسمتهم وخُلقهم وتقواهم، ومن بين هؤلاء السادة الكبار؛ بل إنه من أجلهم رتبةً شيخ الإسلام مولانا علي جمعة- حفظه الله - الذي منَّ الله عليه بمننٍ عظام لا تُعدُّ ولا تحصى.

وقد انعكست أثارُ بركات هذه المنن إيجابًا على أمة سيد الأنام نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أجمعين، وإنَّ يوم إنارة مولانا لشمعته السبعين نعدُّه يوم بركة وسرور، فكل عام وحضرته طيِّب بخير، وأطال الله عمره في صحة وعافية وصالح الأعمال، اللهم رب الناس آمين.

لقد كانت السبعون سنة الماضية في عمر مولانا الشيخ أيام كفاحٍ وجهادٍ وفكرٍ وعلمٍ وتنويرٍ وجدٍّ واجتهادٍ، بدأت بعد نيله شهادة الإجازة العالية من جامعة الأزهر الشريف عام ١٩٧٩، حيث شدَّ العزم وأصرَّ على مواصلة البحث والتحصيل العلمي حتى نال من العلوم أشرفها وأصفاها، ومن الشهادات أكبرها وأعلاها، وإنَّ العقول تعجَز أن تصفَ قوة عزمه، والفهوم تتضاءَل أن تعي مقدارَه بكلِّ تفاصيله، وإنَّها لمسة وفاءٍ وإجلالٍ وإكبارٍ وروحٍ للمودة والصفاء حين نكتب هذه الأسطر عن هذه القيمة والقامة، فنحن أمام جبلٍ راسخٍ في العلوم، نعم وإن كنت أرى هذا الوصف قليلًا في جنابه، فإن كان للجبل قمَّة فهو للعزم همَّة، وإن كان للراسيات شموخ فهو نبراس الشيوخ، ويصدق في شيخنا الوقور قول الشاعر إبراهيم بن نجم، إذ يقول:

مديحك خير مدح المادحينا ... وشكرك واجب دينًا ودينًا

كأنا والقوافي زاهرات ... نفوق بها نظام الأولينا

وصغنا في مديحك من نجوم ... سوائر مثلها عقدًا ثمينا

ولكنَّا وإن فقنا الأوالي ... ووصفك فاق وصف الواصفينا

فلم نبلغ مدى لك في الأعالي ... فإنا عن مداك مقصرونا

ملأت جوانب الدنيا وقارًا ... وكم علمتنا الحق المبينا

فلولا نور علمك ما اهتدينا ... ولولا غيث فضلك ما روينا

نزلت بمنزل الأرواح منا ... وحلَّ الرفق يوم حلَلت فينا

إنَّ الشيخ علي جمعة – حفظه الله تعالى– قد أثرى المكتبة العلمية؛ سواء المقروءة أو المسموعة أو المرئية، بكمٍّ هائل من العلوم يَشهد به القاصي والداني، وقد أحرز

قصب السبق في برامج عديدة هادفة، يستمع إليها المستمع فلا يملُّ من تكرار استماعها، ولقد استمتعنا جدًّا كما استمتع غيرنا أيضًا ببرنامجه الإذاعي «مجالس الطيبين» الذي كان الشيخ يشرح فيه بعض القضايا التي تهمُّ المجتمع المسلم بدأ من الصغير حتى الشيخ الكبير، وفي كلِّ حلقة من حلقاته كنَّا نخرج بزبدة وفائدة، وأحيانًا يأتي إلينا بكتابٍ في علمٍ معيَّن ليشرحه لنا، وقد يكون في الكتاب جمل وعبارات عميقة المعنى، لها معاني ومدلولات قد تغيب عن كثير من الناس؛ فيقوم شيخنا بفكِّ غامض الكلمات والعبارات، ويغوصُ في معاني الجمل بطريقة سهلة ماتعة، حتى يفهم كلُّ أحدٍ مراد الكاتب من الجملة؛ لأنَّ المتلقِّين والمستمعين من مختلف الشرائح؛ ففيهم الصغير والكبير، والمتعلِّم والعامي، والفلاح في الأرض والكاسب، فيشرَح لهم مولانا في أسلوب فريد تفرَّد به عن غيره، فصار مثلًا يحتذي به المتصدِّرون للتعليم، ليس في بلاده المحروسة مصر فقط، بل في كثير من الأقطار العربية.

لقد تنقَّل مولانا الشيخ في حقول كثيرة من حقول المعرفة والتعليم، وكان يبدع في كلِّ حقل يعمل فيه، ففي حقل الإفتاء وهبه الله من النباهة والحكمة والعلم ما جعله يستنبط الأحكام الشرعية بسرعة تثير الانتباه، وقد شاهدناه عديد المرات عبر القنوات الفضائية في برامج مباشرة عبر الأثير وهو يجيب على أسئلة عميقة في علوم الفقه، وقضايا المرأة، والأحوال الاجتماعية، والزواج والطلاق، وعلم الميراث؛ ذلك العلم الذي يحتاج إلى وقت للتفكير وأحيانًا إلى آلة حاسبة لحساب التركات، ولكنك تراه يقسم التركة ويعطي كلَّ ذي حق حقَّه بالتمام والكمال.

وخلال تولي مولانا الشيخ علي جمعة منصب الإفتاء عام ٢٠٠٣ - ٢٠١٣، شهدت الساحة الفكرية نوعًا من الانفتاح وفتح باب الاجتهاد على مصراعيه في

استنباط الأمور الشرعية، فلم يكن الشيخ علي جمعة من أولئك المتعصبين للآراء الشاذة التي تضيق على الناس، بل على العكس تمامًا فقد كانت فتاويه ميسرة لمقتضى الشرع، لعلمه وفهمه مراد الله من كتابه وسنة نبيه سيدنا محمد ﷺ؛ كما في فتوى ترك المبيت بمِنى لأهل الأعذار، والتوكيل في رمي الجمار حيث أفتى- حفظه الله - أنه يجوز للضعفاء والمرضى والنساء تركُ المبيت بمنى، كما يجوز لهم أيضًا التوكيل في رمي الجمرات، وأنه لا حرج عليهم ولا يلزمهم بذلك جبران، وكذلك في فتوى الاحتفال بيوم الأم، فقد أفتى - جزاه الله خيرًا - بقوله: إن الاحتفال بيوم الأم أمر جائز شرعًا، لا مانع منه ولا حرج فيه، والفرح بمناسبات النصر وغيرها جائز. وكذلك نفى اللبس في حديث «كل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة» حيث بيَّن أنَّ البدعة المردودة إنما هي ما أُحدث على خلاف الشرع، أمَّا ما شهد الشرع لأصله فإنه لا يكون مردودًا ولا إثم على فاعله، وغيرها العشرات من الفتاوي الهامة، وقد ضمنها في كتاب مفيد عظيم سماه «البيان لما يشغل الأذهان».

إن مبدأ التيسير على الناس أسسه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم عندما قال: «يسروا ولا تعسروا» و «إن الدين يسر وليس عسر». ومن هذا المنطلق؛ فإن المتتبع لفتاوي الشيخ يجدها مطابقة للشرع الحنيف، متماشية مع العصر الحديث، والإسلام صالح لكل زمان ومكان، وقد تصدر الشيخ للأمور والقضايا المعاصرة فأفتى فيها بكل ثقة، وتخطَّى حاجز الخوف بشجاعة عزَّ نظيرها، ففتح باب الاجتهاد الذي أغلقه بعض العلماء السابقين وراءهم، وقد أيَّده الكثير من علماء الأزهر في فتاويه؛ كما في اعتماد الحساب الفلكي لمعرفة أوائل الشهور خاصَّة شهر رمضان المعظم، وإننا كنَّا نترقَّب آخر ليلة من شهر شعبان؛ حيث تقام جلسة تذاع عبر القنوات المرئية لإعلان ثبوت رؤية هلال شهر رمضان

أمام لجنة تحري الهلال، ومن بين أعضاء اللجنة الشيخ علي جمعة، وأيم الله إنَّنا نرى نور الشيخ علي جمعة يزهو مع نور هلال شهر رمضان المبارك في كل عام.

وأما في مقام الإحسان والتصوف، فإنَّ الشيخ علي جمعة من كبار رجال التصوف في العالم الإسلامي الذين فتح الله عليهم وفتح على أيديهم دروب الصالحين، وهو يترأس الطريقة الصديقية الصوفية، ويجلس في حلقات الدرس مربيًا لمريديه، ومعلِّمًا لهم، لابسًا عمامة أزهرية زاهرة، ووالذي فلق الحبة وبرأ النسمة إن تلك العمامة تحوي من البركة والسرِّ ما لا يعلمه أحدٌ إلا الله وحده سبحانه وتعالى.

هــب لي العمامــة سيِّدي هبْنيهــا ... مــستبركًا بــالخير في باديهــا

فيهــا المعــاني والــذخائر أودِعــت ... كنــز المعــارف كلهــا تحويهــا

هــي درة اليــاقوت تزهــو عنــدها ... قِمـم العلـوم وفـاز مـن يـشريه

وطلبتهـا يــا سـيدي كـي أسـتزد ... شرفًــا بهــا وأَتِيــه فيهــا تيهًــا

لازلــت معطــاءً وخــيرك ســابق ... ســيَّان عنــدك قاصــيها ودانيهــا

وقد شرح مولانا الشيخ العديد من كتب التصوف الكبرى منها على سبيل المثال لا الحصر كتاب «الحكم العطائية» لسيدي عطاء الله السكندري - رحمه الله- تلكمُ الحكمُ التي أشبعها الكثير من العلماء السابقين بالبحث والشرح، ولكن الشيخ علي جمعة وبطريقته الخاصة التي وهبها الله إياه قد أبلى بلاءً حسنًا، فقدمها على الوجه الأتم الأحسن وبالسياق المتبع المعهود قديمًا بصيغة حديثة، فسَحَر بوصفه الألباب، وأزال عن القلوب الشك والارتياب، وإنَّك كل مرَّة تستمع إلى شرحه المسجَّل لتلكم الحكم تجد نفسك قد ازدت فهمًا وعلمًا، وكأنك تسمع ذلك

لأول مرة، أو تقول هذه الجملة لم أسمعها من قبل وأنت قد سمعتها ربما مرات.

وكذلك شرح مولانا الشيخ كتاب «الرسالة القشيرية» لسيدي أبي القاسم القشيري - رحمه الله- بطريقة سهلة ميسرة، وأسلوب عذب يشد الانتباه لا يمل، فكان من أفضل الذين شرحوا هذه الرسالة التي تعدُّ من أوائل الكتب التي كتبت في مجال التصوف، وقد قام بتدريسها لطلبة جامعة الأزهر، وبيَّن بأنَّ التصوف علم وعمل بالشرع المصون من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وكان ذات مرة من بين طلبة مولانا الشيخ طالبٌ كان ينكر على التصوف وأهله؛ لقلَّة علمه ووعيه، فبعد تلقيه الدروس مع فضيلته أصبح بفضل الله من أهل التصوف، بل ومن الناشرين لعبيره الذابِّين عن حياضه المشرَّفة، فسبحان من أعطى شيخنا الجليل هذا العلم والفهم والحكمة واليقين والصبر؛ نعم الصبر! لأن تدريس العلوم ليس بالأمر الهين اللين، بل يعدُّ من الأعمال الشاقة، فالمعلم يتعامل مع شرائح مختلفة ومتفاوتة في الفهم والإدراك، والعالم الكيِّس الفطن الحريص على توصيل المعلومة يهتمُّ جدًّا بأن يكون كلُّ أحد من الحاضرين لدرسه قد تزوَّد من العلم بقدرٍ يكفيه بالصورة الصحيحة الواضحة الكاملة.

وفي حقل الوعظ والإرشاد والخطابة حاز فضيلته على قدر عظيم من العلم والقدرة على توصيل المعلومة للناس من خلال خطب الجمعة والأعياد والمناسبات الدينية، فرغَّب الناس في عمل الخير وبيَّن لهم طرقه وأساليبه وأنواعه، وحذَّرهم من طرق الشر وعواقبه، وبيَّن لهم ألاعيب الشياطين من الإنس والجن وحيلهم وخداعهم ومكرهم، ومولانا الشيخ ناقش القضايا الحيوية والمصيرية الحديثة.

وفي الأحداث الأخيرة التي تسمَّى بالربيع العربي، وهي حقيقة كانت مؤامرة

عالمية لتدمير الدول العربية بأيادي عربية وباسم الدين، فظهر ما يُعرف بـ «الدواعش» الذين أفسدوا في الأرض وما كانوا مصلحين، وجاءوا بفتن كقطع الليل المظلم جعلت الحليم حيران، عند ذاك تقلَّد الشيخ زمام المبادرة وظهر للناس وصعد المنبر وبيَّن للجميع بأن تلك فتنة قد أنبأنا رسول الله عنها منذ ١٤٤٠ سنة هجرية، فأفاق الناس من غفلتهم ونبَّههم لهذه المؤامرة الخبيثة، فكان له السَّبق والفضل المبين في تحريك بقيَّة العلماء للنهوض وتحمل المسؤولية؛ لإيقاظ النائمين وزجر المنجرِّين خلف الفتنة، ولكنَّ أهل الإغواء والفتن والضلال أغاظهم الشيخ وخطبه فدبَّروا له عدَّة محاولات لاغتياله، ولكنَّ الله سلمه منها كلها والحمد لله رب العالمين.

خلاصة القول؛ إن حياة شيخنا العامرة بالعلم والبحث والتدريس والإفتاء تعد أعجوبة العصر، وظاهرة تستحق الدراسة، فكم من كتب فقهية واجتماعية واقتصادية وسياسية قد ألَّفها في بعض سني حياته الماضية (تجاوزت ٨٣ مؤلفا)، وكم من دروس عامة وخاصة في شتى العلوم قد درَّسها، وكم من خطبٍ في الجمعات والاحتفالات الدينية خطبها، وكم من فتاوى مهمة قد أفتاها، فبذلك فإننا لا نعدُّ مبالغين إذا قلنا بأن شيخنا يعتبر مكتبةً علميةً شاملةً متنقِّلةً وبحر العلوم الزاخرة المفيدة، استطاع أن يسخِّر الوقت لخدمته؛ مستفيدًا من قول الصوفية: «الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك» فكان نتاجه فخرًا للإسلام والمسلمين.

وإن الجوائز والهدايا والتكريمات التي نالها الشيخ من زعماء العالم ومشايخ الإسلام والجامعات العلمية يعد قليلًا في حقِّه، بل هو أقلُّ القليل، وأيم الله لو أعطي شيخنا جزاء صنيعه ثقلَ الجبال ذهبًا لكان ذلك في حقِّه قليلًا، ولكن نعم

الجزاء الأوفى من الله سبحانه وتعالى في الدنيا والأخرة الذي لا يعادله جزاء، ونسأله جلَّ في علاه أن يجزيه عنَّا وعن الإسلام خير الجزاء.

وفي الختام أرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وُفِّقت في هذه الأسطر القليلة في تبيان ولو بعض فضل مولانا الإمام على أمَّة الإسلام، وندعو الله عز وجل أن يحفظه بما حفظ به الذكر، وينصره بما نصر به الرسل، وأن يديم نعمه عليه ظاهرةً وباطنةً، ويوفقه لما يحبُّه ويرضاه ويمنحه الصحة وطول العمر في طاعته، إنه نعم المولى ونعم المجيب، والحمد لله رب العالمين.

***

بلسان البقاء مشاهد من مقامات عارف

بقلم د. عصام أنس الزفتاوي



أمين الفتوى ومدير دار الإفتاء المصرية فرع أسيوط - مقدم الطريقة الصديقية الشاذلية - مصر

إذا كان من الصعب أن تتكلم عن أبيك دون أن تمتدحه وتثنى عليه الثناء كله، وهو مكلف بتربيتك والإحسان إليك والقيام بحقك، فكيف ستتكلم عن شيخك وأستاذك ومربيك، وقد وضعك قَدَرٌ إلهي حكيم بين يديه، فيحسن غاية الإحسان، ويربي إلى منتهى ما تكون التربية، ويصبر على مريده بكل ما فيه من عوج الصبر كله -دون أن تمتدح فتبالغ، أو تثنى فتطرى. ولا عتب إن فعلت، وهو الوالد المربى، والشيخ المعلم.

لكني لن أفعل، ولست فاعلًا، ولا أراني أحتاج إلى ذلك؛ فإن ذكر الواقع المجرد يُغْنِيكَ ويَكْفِيكَ عن أبواب الثناء والمدح والإطراء، بل هو - على خلاف المعتاد - أبلغ منها جميعًا، على أن من يبالغ في الثناء لعله يدارى بمبالغته قصورًا في المثنى عليه، ومن أطرى في المدح فتراه يعالج نقصًا من ممدوحه بإطرائه، وليس هاهنا نقص ولا قصور، وإنما كمال في كمال، ونور فوق نور.

ويكفي فقط أن تسوق الواقع كما وقع وشهده كل من شاركوه من أطرافه؛ ليتجاوز كل ثناء أو مدح.

فقط ومن دفتر الوقائع؛ نسوق واقعًا عشناه ونعايشه على مدى عقود منورة في ظل شجرة مباركة، أصلها ثابت وفرعها في السماء.

وحيث شهودك هو الله وحده فلا شهود لخلق، ولا مراءاة لعبد، ولا مجاراة لسفيه، ولا مماراة لفقيه.

فلنِعْم اللسان لسانُ البقاء بالله إن نطق ناطق عنه فأبان، أو قضى بشهادته «وأنتم شهداء الله في الأرض» فأبرأ أو أدان، وقد علم أنه موقوف ومسئول عما نطق يوم يسكت اللسان، وتنطق الجوارح واليدان.

مشهد من مقام الزهد:

في غاية التحرير أتى مذهب إمامنا العارف في مقام الزهد، فمجموع نصوص الأصلين تدل على أن الزهد عن وَجْد لا عن فَقْد، فالواجد غير المتعلق قلبه هو حقًا الزاهد، والفاقد المتعلق مهموم القلب بفقده غير زاهد، والزهد في الشيء فرع وجوده، والزهد في المفقود مفقود، وهكذا درج الإمام العارف في مراتب الزهد، لا تشغله دنيا ولا رتبة ولا منصب عن ربه، وليس في قلبه إلا الله، وعلامة ذلك: القيام برعاية حقوق الله في كل ما أقامه الله تعالى فيه، وليس السعي لتحصيل حظوظ النفس.

ولا تعارض - دون ريب - بين سعة دنيا العارف وزهده، فقد كان ذلك هو حال النبي ﷺ وكبار صحابته، وتبعهم في ذلك أئمة الزهد في الإسلام، فأئمة الصحابة كالصديق أبى بكر، والفاروق عمر، وذي النورين عثمان، والإمام على بن أبى طالب، رضوان الله عليهم، كانوا مع كونهم رأسًا في الزهد يفتحون الفتوح، ويباشرون شئون الدولة، ويؤسسون أنظمتها، ويقيمون الدواوين، ويُسَيِّرُون دوالايب الحكم، ويـمَصِّرُون الأمصار، ويراقبون الولاة، ويُـجَيِّشون الجيوش، وهم على ما هم عليه من الزهد.

وكذلك حال إمامنا العارف في زهده؛ بنى المؤسسات، وأسس المشاريع العلمية، وأصدر الموسوعات، وأشرف على أعمال علمية جليلة، وألقى الدروس والمحاضرات، وربى أجيالًا تلو أجيال، حتى نُعِتَ بأنه مصنع الرجال، وأنفق

ذات اليمين وذات اليسار، ولم يدخر مالًا ولا وسعًا في سبيل صلاح الحال، ونشر العلم والطريق.

مشهد من مقام الصبر:

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، فامتثل عارفُنا، وتحقق، وتذوق في هذه المراتب، فصبر وصابر، ورابط، واتقى، فترى ذلك ظاهرًا جليًا في كل ما نزل به من ضوائق، أو اعتراه مما قضى به رب الخلائق.

ومن أكثر تجليات هذا المقام عند إمامنا العارف: الصبر على خلق الله، والصبر على نصيحتهم، والصبر على تربيتهم، والصبر على فشلهم حتى ينجحوا، والصبر على عللهم حتى ينجوا.

وهو في هذا المقام فرد وقته، ومشاهد هذا المقام من مقامات مولانا الإمام تتزاحم على الذاكرة، وتتدافع إلى القلم تريد أن يبثها سَطْرًا، ويجليها فِكرًا.

مشهد من مقام الشكر:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقد رزق هذا الإمام العارف من هذا المقام بأرسخ الأقدام، ولا علامة أظهر على تمكنه منه؛ إلا ما تراه علاه من زيادة الخيرات في كل المجالات، علمًا وعملًا، حالًا ومآلًا، وقد أجرى الله تعالى على يديه النفع الجاري المتكاثر، ينفع الله به على يديه العباد فرادى وجماعات.

مشهد من مقام المحبة:

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، هكذا ينطلق القوم في محبتهم على أساس قرآني محض، فيأتي إمامنا

العارف فيجعل المحبة في الله أساس دعوة، وأسلوب حياة، وضميمة وجدان، فيكون ذلك قاعدة علاقته بالأكوان، وعلاقته بالأديان، وعلاقته بالمريدين، تبنى جميعها على حب الله، وحب رسول الله، وحب الشيخ، وحب بعضنا لبعض.

لا تجالسه إلا وتباشر محبته قلبك، وتسري إلى روحك، وتأخذ بأركانك؛ ذلك أنه متى امتلأ باطن العارف بأنوار المحبة فاضت على ظواهره، وسرت على كل من حوله، فتجلت على القلوب والأرواح من حوله، فلا تجد إلا المحبة وإلا الحب.

ومن علامة محبة الله تعالى عبدَه أن يحبه الخلق فيكثر محبوه، كما في الحديث الشريف الصحيح: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا قَالَ: يَا جِبْرِيلُ إِنِّي أُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَوَاتِ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ فَيُلْقَى حُبُّهُ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَيُحَبُّ». وهذا عارف عُقِدَت على محبته القلوب، وتراه وراثة على قدمِ سميِّه الإمام على - كرم الله وجهه - حيث قال له المصطفى المحبوب: «لَا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ»، كيف لا؟! وقد تولاه الله بالرعاية والعناية، وجعله وارثًا محمديًا كاملًا، وقد قال ﷺ لسميِّه فيما صح: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ»، فتولاه بالمحبة والاقتداء كل مؤمن محب مخلص لله ولرسوله، ناصح لنفسه، ولوطنه، فلا يدري سوى الله وحده كم من محب لمولانا الإمام العارف في بقاع الأرض شرقًا وغربًا، ولله الحمد والمنة ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

مشهد من مقام العلم:

وهذا المقام من أثبت مقامات مولانا الإمام العارف، كيف لا وقد ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ

دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، فرفع الله درجته وأعلى مرتبته بين العالمين.

ومن تجليات ذلك أن تولى الله تعالى بالموالاة والنصرة لدينه، فتولاه الله بالرعاية والنصرة في كل موقف، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠]، فإن هذا الولاية والنصرة إنما هي بشاهد العلم.

وغاية مقام العلم: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾ [محمد: ١٩]. ومن علم أنه لا إله إلا الله، قام لله وحده لا يبالي بسواه، وأشفق من ذنبه، وأشفق على المؤمنين والمؤمنات.

وما قامت شبهة أو فتنة إلا قام مقام الرسوخ في العلم، كيف لا ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]، فيكشف الشبهة، ويفضح المشككين، ويزيل شبهتهم بأحسن جواب وأتمه.

وتعجب لقدرته في إظهار الحق وإزهاق الباطل بحسن البيان والاستدلال بشاهد قوله تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

ورؤيته في كل ذلك رؤية أهل العلم الراسخين الذين لا يغادرون الحق في كبير ولا صغير ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦].

وفى كل ذلك موقنًا بقوله: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الحج: ٥٤]. فتراه قائمًا بالعلم، وقائمًا للعلم، مخبت القلب، خاشعًا متبتلًا خاشيًا ربه ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

وكم من موقف قام مذكرًا ومنبهًا، لسان قيله وحاله يقول: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ [القصص: ٨٠].

ومن مشاهد مقام العلم عند مولانا الإمام العارف أنه قد علمنا الموضوعية، والحياد العلمي، والخروج عن الذات عند النقد العلمي لمؤلفاته هو نفسه، بغية أن يصل بها إلى أكمل صورة، وأحكمها تشييدًا، وأتمها بناءًا، فدربنا طويلًا على ذلك، حتى صرنا نحكم فلا نأبه، بل وننفصل عن ذواتنا، فنحاكمها وننتصف منها، متمثلًا في ذلك قيمة عليا من قيم الإسلام السامية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [النساء: ١٣٥]، وما دريت إذ دريت يومًا إلا وهذه الموضوعية والخروج عن الذاتية ستوضع على المحك الأكثر صرامة حين أكتب عنه؛ فأريد أن أغرق في ذاتي الفانية في ذاته، وأكتب فلا أكف للقلم مدادًا عن جريانه، وأبحر في بحار محبته فلا توقفني سواحل شطآنه، وأود لو شطحت شطح الفاني في سكراته، كيف لا؟! والفناء في الشيخ إحدى درجاته، لكن الفناء في الشيخ دهليز الفناء في الله، والفناء في الله يتلوه البقاء بالله تعالى، حيث مشهدك هو الله وحده.

مشهد من مقام المعرفة:

وحقيقة المعرفة عند القوم: إحاطة العبد بعينه، وإدراك ماله وما عليه، والعارف هو: «من أشهده الله تعالى نفسه في بينونة جامعة بين الظاهر والباطن، فظهرت عليه الأحوال من آفاق الوجود، ودارت عليه أفلاكها، والمعرفة حاله»، والمعرفة عند القوم: «توجب غيبة العبد عن نفسه لاستيلاء ذكر الحق سبحانه عليه، فلا

يشهد غير الله عز وجل، ولا يرجع إلى غيره، فكما أنَّ العاقل يرجع إلى قلبه وتفكره وتذكره فيما يسنح له من أمر أو يستقبله من حال، فالعارف رجوعه إلى ربه، فإذا لم يكن مشتغلًا إلا بربه تعالى؛ لم يكن راجعًا إلى قلبه، وكيف يدخل المعنى قلب من لا قلب له، وفرق بين من عاش بقلبه وبين من عاش بربه عز وجل».

وقد تحقق مولانا الإمام العارف بكل ذلك، فأدرك ماله وما عليه، فقام بواجب وقته حق القيام، وظهرت عليه الأحوال من آفاق الوجود، وقام لله تعالى بحق الشهود، واستولى ذكر الحق عليه، فلا يرجع إلا لله، ولا يشهد سواه.

ومن عامل مولانا الإمام، وعاين مواقفه وتصرفاته شاهد ذلك جليًا في كل فعله وقوله، غالبًا على كل حاله.

مشهد من مقام الحرية:

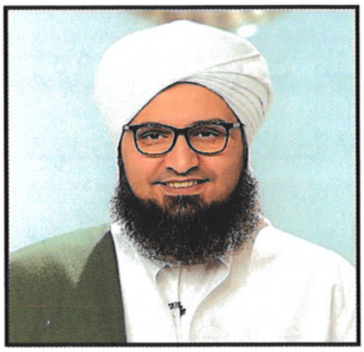
يقول سيد الطائفتين الإمام الجنيد- رضى الله عنه- (ت ٢٩٧ هـ): «آخر مقام العارف: الحرية». حيث يتحرر من جميع العلائق، ويفنى عن جميع الخلائق، ويبقى بالله الخالق، وهو مشهد جليل، قلما تجده في عارف، حيث لا يبقى في القلب سوى الله، فيقوم لله داعيًا خلقه، نافعًا عباده، ناصحًا لهم بقيله وفعله وحاله، قائمًا على مصالحهم لله وفى الله وبالله، أشفق عليهم من أنفسهم، وأعرف بها منهم، يعالج ويداوى ويصلح، لا ينتظر منهم مثوبة ولا أجرًا، ولا ثناءًا ولا ذكرًا، لأنه قد تحرر منهم أصلًا وفرعًا، وقام لله وحده عبدًا، وقد رزقه الله رزقًا حَسنًا فهو يُنفقُ منه سِرًّا وجهرًا، فأقامه الله في عباده إقامة مَن آتاهُ رحمةً مِن عنده وعلَّمه مِن لدنه علمًا.

وختامًا فهذا غيض من فيض، وثمرة من بَحْرَة، ونجوى للمحبين تنتجى، ورجوى عند الله ترتجى، والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل.



عَلَم من أعلام الزمان، وأحد تنفسات الأوان شيخ الطريق والوارث النبوي الذي نفع الله به البلاد والعباد

بقلم الحبيب علي الجفري



رئيس مؤسسة طابا
من علماء اليمن

الحمد لله رافع الذين أوتوا العلم درجات، وصلى الله على سيدنا محمد المبعوثِ معلِّمًا ومُورثِ العلماء، وعلى آله قرناء القرآن وأئمةِ العلماء، وصحبِهِ سامعي مقالة العلم وواعيها ومبلِّغيها، وتابعيهم الذين حملوا العلم وحمَّلوه، ومن تبعهم على الطريق إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن الكتابة عن عَلَمٍ من أعلام الزمان وأحد تنفُّسات الأوان ليس بالأمر اليسير، لاسيَّما إذا كان بسعة شيخنا الإمام العلَّامة وتنوعِ أوجهِ عطائه، بيد أنَّ ما لا يُدرك كله لا يُترك جله كما يقال، وفي هذا المقام يحسن أن يقال ما لا يدرك جلُّه لا يترك بعضه.

وما سيأتي ذكره في هذه الأسطر يتعلق بثلاثة جوانب من هذا البحر الخضم أولها: التحصيل، وثانيها: التحميل، وثالثها: التفعيل.

التحصيل:

أما التحصيل فالمقصود به تشكُّل العقلية الواسعة الجامعة لدى فضيلته، فقد نشأ في أسرة متسعة الأفق في مرحلة سريعة التحولات على المستويات الثقافية وفي الأوضاع السياسية.

فقد كانت مصر تشهد معتركًا تحوليًّا ثقافيًّا متأثِّرًا بما يجري في العالم من معترك الرؤى الفكرية في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وانقسام العالم إلى المعسكرين

الرأسمالي الليبرالي والاشتراكي الشيوعي، ومؤثّرًا في العالم العربي والإسلامي بما يجري فيها من مخاض.

كان مولده- حفظه الله- في العام الذي قامت فيه ثورة الضباط الأحرار ١٩٥٢م، وشهدت طفولته أحداث العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦م، كما شهدت مراهقته نكسة ١٩٦٧م، وشهد شبابه انتصار العاشر من رمضان السادس من أكتوبر ١٩٧٣م.

كان في ذلك الخضم مراقبًا لما يجري بعين الراصد الجاد، الذي لا يجد في عقله متسعًا لترهات الأمور ونزق الشباب، فنشأ متعشّقًا للمعرفة والاطلاع، متحمّلًا ثقل الشعور بالمسؤولية تجاه وطنه وأمته، مع روح تهيم بمحبة الله والتعلُّق بحبيبه ومصطفاه ﷺ، تُذكي فيه الأحداث الجسام هذا المزيج بين تنبُّه العقل ولهفة الروح ليتخلَّق في القلب نور معرفة تنظر إلى ما يجري في الأرض بعين متصلة بالسماء، وتقرأ الحسَّ متصلًا بالمعنى، وتخرِّج فروع الأحداث التي هي من تفاعلات البشر على أصول انفعالات نفوسهم، وتشهد من وراء ذلك حكمة الحكيم القدير.

وأخذ الشيخ يقرأ في كل الاتجاهات بِنَهمٍ متصلٍ بذلك المشهد فلم يدع مجالًا من مجالات الحياة إلا وقرأ في علومه من مصادره باحثًا عن جوهره ولُبابه، مع عكوفه على دراسة علوم الشرع بمنقوله ومعقوله عن أهله، باحثًا في كل فنٍ عن المحققين من علمائه، ناظرًا بتلك البصيرة إلى لُبِّ العلم وجوهره، متوصِّلًا من الأحكام إلى المقاصد، عائدًا بها إلى إعادة النظر في الأحكام مميزًا بين ثابتها ومتغيرها، متشوِّفًا إلى سبل بثِّ روح الحياة فيها من أجل تفعيلها في مسار الواقع، وهو مع ذلك محبٌّ للصالحين، متعلِّقٌ بمجالس الذكر، عاشقٌ للجناب النبوي الشريف ﷺ، متَّصلٌ بأهل الله من صوفيَّة وقته.

وهكذا صحب هذا المعنى في الاتساع مسار الشيخ إلى أن ابيضَّ عارضاه، وجذوة النَّهم في التحصيل تزداد توهجًا.

التحميل:

وأمَّا التحميل فالمقصود به نقل نتاج هذه المعرفة المتَّسعة الناضجة العميقة إلى أجيالٍ لاحقةٍ على نحوٍ يضمن استمرار هذا الإرث النبوي الشريف جيلًا بعد جيل.

وهنا يظهر معنى من التجديد، فقد جاء تصدُّر الشيخ في مرحلة حرجة كادت معالم منهجية التدريس الشرعي فيه أن تندثر في موطنه ومركزه ومنارته وهو الأزهر الشريف، وذلك حين تماهى التعليم الشرعي فيه مع النسق الأكاديمي حتى كنَّا نأتي إلى الجامع الأزهر الشريف قبل نحو من ثلاثين سنة فلا نكاد نجد فيه حلقة تعليم رصينة تدرِّس متنًا من المتون العالية على نحو محقَّق جادٍّ!

ومن المعلوم أنَّ النسق الأكاديمي هو وسيلة حديثة جيدة في البحث، والاستفادة منه نوع من التجديد في وسائل البحث، لكنه لا يرقى إلى صناعة العلماء الشرعيين، إذ إنَّ منهجية صناعة العلماء لها متطلبات لا يتسع لها النسق الأكاديمي ولا يرتقي إليها، وهو مفيد حينما يكون رديفًا لها لا بديلا عنها.

فجاء فضيلته إلى الجامع الأزهر جامعًا بين أعلى إجازات التحصيل الشرعي من مشايخ الأزهر، بل وكبار علماء الأمة من مختلف البلاد، وأعلى الدرجات الأكاديمية لجامعة الأزهر وهي الأستاذية بعد الدكتوراه من كلية الدراسات الإسلامية والعربية ليتربَّع على كرسي التعليم في رواق الأتراك بالجامع الأزهر الشريف، ويُحيي ما اندرس من معالم هذه المنهجية، وسرعان ما امتلأ هذا الرواق بطلبة العلم ينهلون من معين الشيخ الذي تولَّى إقراء متون علوم الكتاب والسنة وعلوم التوحيد وعلوم الفقه أصولًا وفروعًا والعلوم العقلية كلامًا ومنطقًا على

امتداد ما يقرب من عقدين حيث كان الشيخ يجلِس من ساعات الفجر إلى ما بعد الظهيرة يشرح ويعلِّم ويناقش ويؤسِّس عقلية نقدية أزهرية تُذكِّر بمن كنَّا نقرأ تراجمهم من كبار أئمَّة الأزهر الشريف.

ولم يقف الشيخ- حفظه الله- عند هذا الحدِّ، بل قصد البقية الباقية من أكابر علماء الأزهر الشريف الذين أُحيلوا إلى المعاش بمقتضى القانون العقيم الذي لا يراعي أن أمثالَ هؤلاء العلماء كنوز ينبغي تغانم وجودهم وهم في ذروة النضج العلمي، وأنَّ لديهم خلاصات العلم والتجربة، فكان الشيخ يزورهم في بيوتهم ويُلِحُّ عليهم في العودة إلى الجامع الأزهر لتدريس المتون التي أتقنوها، وأخذ يرسل إليهم الطلبة يستجدون عودتهم، فأعقب ذلك أن شهد الجامع الأزهر الشريف ما يسلُب الألباب من مشاهد حضور بعض الأشياخ وقد جاوز الثمانين، وهو يُهادى بين اثنين يسندانه حتى يجلس على كرسي التعليم، فيحيي في القلوب قبل العقول سيرة الأكابر من الأئمة، ويعطي الدرس العملي قبل العلمي في خدمة الدين.

وتخرَّج من هذه الحوزة العلمية الأزهرية الصف الأول من أعلام العلماء الشباب الذين تنعقد عليهم الآمال في تلك المرحلة، وأصبح خريجو هذه الدروس هم النجوم المضيئة في شؤون التعليم والدعوة والإفتاء.

التفعيل:

وأما التفعيل فالمقصود به تحويل نتاج العلم والمعرفة إلى فائدةٍ تُسهم في نفع البلاد والعباد، فإنَّ مقصود العلمِ العملُ.

والشيخ- حفظه الله- وأمتع بعمره وعافيته عظيم الهمَّة في هذا الباب، فقد نفع الله به البلاد والعباد في شؤون معاشهم ومعادهم.

عقد فضيلته الدروس العامة التي تيسِّر فهم الدين للبسطاء، وأقام الحلقات المتلفزة التي تتفاعل مع الناس في شؤون حياتهم وما يطرأ عليها من استشكالات، وألَّف الكتب النافعة في شتى المجالات من الكتيبات الميسرة إلى الموسوعات الضخمة مرورًا بالأبحاث التجديدية المعمقة.

مفتي الديار:

كما تولَّى منصب مفتي الديار المصرية فتحوَّلت دار الإفتاء على يده من دارٍ تتمحور على عمل المفتي إلى مؤسسةٍ تحمل المقوِّمات المؤسسيَّة المستقلَّة الناجحة من حيث عمق المحتوى، وتجدد الرؤية، واستخدام الوسائل التفاعلية الحديثة، وصناعة الأجيال المستوعِبة للعمل التي امتدَّت خلال السنوات العشر التي ولي فيها الشيخ الإفتاء إلى أربعة صفوفٍ من المؤهلين، وهو أمرٌ يدرِك أهميته وصعوبة إنجازه مَن له خبرة في صناعة المؤسسات.

شيخ الطريق:

ولما لاحظ الشيخ أن لُبَّ إشكالات العصر ترجع إلى نفوس أعيَت أصحابها في تزكيتها أعلن عن قريب تأسيس مدرسته في التصوف للتزكية، وعقد مجالس الذكر الممتزجة بالمحبة والعلم، فكانت الطريقة الشاذِليَّة الصدِّيقية العلية التي تنتشر الآن في أرجاء البلاد مجددةً مجالس الذكر والمحبة ممتزجةً بِسَمْتِ العلم والتزكية.

خوارج العصر:

كما تصدى الشيخ – حفظه الله- لانتحال المبطلين وتحريف الغالين فواجه موجات الغلو وفلول خوارج العصر بلسانه وقلمه وطلبته، موضِّحًا الحُجج الشرعية ومبيِّنًا بطلان مسلكهم وانحراف عقولهم، غير مبالٍ بتهديداتهم وفتاوى إهدار الدم، حتَّى تحوَّل التحريض إلى اعتداءٍ في محاولة الاغتيال التي تعرَّض لها

عند خروجه إلى صلاة الجمعة، فلم يُثنه ذلك ولم يثبِّط عزيمته بل خطَب الجمعة بعد زخَّات الرصاص التي توجَّهت له، ولم يكَد ينتهي من الصَّلاة حتى صرَّح على الملأ في وسائل الإعلام بأنَّه على وشك إصدار موسوعةٍ في الرَّد عليهم، معلناً مضيَّه في طريق مواجهة باطلهم.

مصر الخير:

ولم يقف الشيخ عند هذا الحد من التفعيل، بل إنه ولج إلى ساحة مدِّ يد العون إلى المحتاجين، فأشرف على تأسيس مؤسسة «مصر الخير» التي تعد إحدى أكبر المؤسسات المصرية اليوم والتي تطعم الجائع، وتكسي العاري، وتؤوي المشرد، وتفكُّ الغارم، وتقوم على ترتيب المشاريع الصغيرة التي تُخرج الأسر من حالة العيلة إلى الاكتفاء، وتقوم أيضًا بابتعاث الطلبة لتأهيلهم علميًّا في التخصصات التي تحتاج إليها البلاد، وتجاوز عدد المنتفعين من هذه المؤسسة الملايين في كل عام.

كلمة سواء:

ثم إنَّه شارك- حفظه الله- في العديد من المبادرات والمشاريع العالمية ذات النفع الإنساني مثل مبادرة «كلمة سواء» للحوار بين المسلمين والمسيحيين التي ترتَّب عليها تغيير جذري في نظرة كبرى الكنائس العالمية إلى التعامل مع الإسلام، وتم تدريسها في الجامعات الكبرى مثل جامعتي ييل وكمبردج وجورج تاون، وكان الشيخ مع رئيس الكنيسة الإنغليكانية في بريطانيا يفتتحان مؤتمر الحوار القائم على أساس هذه المبادرة في جامعة كمبردج.

موقف مع الإمام العلامة:

مكنونات الرجال تفصح عنها المواقف، ومن ذلك هذا الموقف الذي جرى بين شيخنا والفقير.

فقد جمعنا مجلسٌ عند أحد الحكام العرب؛ إذ سأل عن مسألة اجتهادية معاصرة، فكان العلماء الحضور على رأيين مختلفين، ولما سأل صاحب المجلس الفقير إلى الله عنها كان الجوابُ موافقًا لرأي أشياخنا المخالفين لاجتهاد شيخنا ومن معه من العلماء، فناقش شيخُنا التلميذَ مناقشة جادَّةً في المجلس واشتدَّ الخلاف العلمي، وبعد أن انتهى المجلس وعدنا إلى الفندق تحرَّج الفقير من أن يكون قد تجاوز الأدب أثناء النقاش وأن يكون شيخنا قد وجد في خاطره على الفقير، فاتجهتُ إلى حجرته وما أن قرعتُ الباب حتى أجاب: «ادخل يا حبيب علي» ولما قبَّلت يده قال: «أنت جاي تعتذر؟! يا بني لو لم تُجِب وفقَ ما تدين الله به وتدافع عن قناعتك بما تراه صوابًا لتبرَّأت منك».

وختامًا...

يصعب تلخيص دور فضيلته في هذه الأسطر القليلة؛ لكن ما يحسن الختم به هو درس عملي يتعلَّق بمبدأ الثبات وعدم الالتفات إلى مَن يثبِّط أو يكيد أو يتهجَّم، فإنَّ حجم المكر والكذب والتشويه والاغتيال المعنوي؛ بل ومحاولة الاغتيال الحسي الذي تعرَّض له الشيخ كفيلٌ بهدم جبالٍ من الثبات؛ غير أنه يسير بنور الهدي النبوي «امض ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك».

حفظ الله شيخنا وأمدَّ في عمره وكمال عافيته، وأقرَّ عينه في نفسه وأسرته وطلبته وأحبته وفينا وفي الزمان وأهله... والحمد لله رب العالمين.

***

أزال بفكره الظلام، وكان قدوة للأنام

بقلم الشيخ علي صالح علي الحنفي الأزهري



من كبار علماء الأزهر الشريف

الحمد لله عطر سبحانه الكون بشذا عَرف أريج المخلصين مسكًا وعنبرًا وعبيرًا، وجعل ذكر المخلصين على ألسنة الناس وردًا وآسًا وبنفسجًا وياسمينًا وكافورًا.

فـالورد قـام الليـل مبتهجـا　　　خـاف يومـا عبوسـا قمطريـرا

والنـرجس بكـى مـن خـشية الله　　　لمـا يجـد في الكتـاب مـسطورا

سبحانه جعل في سماء الكون بروجا، وجعل في سماء قلوب أوليائه بروجا، فبروج السماء معدودة، وبروج القلب مشهودة، شمس السماء تشرق وتغيب وشمس القلوب أبدا لا تغيب.

إن شـمس النهـار تغـرب بالليـل　　　وشـمس القلـوب ليـست تغيـب

ومَنَّ علينا بأسعد نبي وأكرم رسول وأرسله مبشرا ونذيرا.

يـا نبيًّـا سـمت بـك العليـاء　　　وأضـاءت بنـورك الظلـماء

كيـف ترقـى رقيـك الأنبيـاء　　　يـا سـماء مـا طاولتهـا سـماء

فصلوات الله وسلامه على سيد ولد آدم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأكارم.

وبعد فقد اختار الله سبحانه لنا من أتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجالا ملئوا الدنيا هدى ونورا، وسعادة وسرورا، منهم شيخنا الإمام علي جمعة، الذي

أزال بفكره الظلام، وكان قدوة للأنام؛ وقد كنت أسمع من عدد من مشايخ السادة النقشبندية الثناء على الشيخ كثيرا، من هؤلاء الشيخ أحمد حمادة النقشبندي ورفيقه في العبادة الشيخ الشافعي جوهر رحمهما الله تعالى، فقد كانا يشيدان بأخلاق الشيخ وحسن أدبه، وكنت كثيرا ما أراه يشتري الكتب من عند الشيخ علي خربوش الكتبي المشهور؛ مما يدل على أنه كان مولعا بالكتب، وهي سمة من سمات العلماء الكبار، وقد كان الشيخ كذلك من أهل المروءة والكرم؛ حيث اعتاد إكرام العلماء وطلاب العلم؛ فجزاه الله عن دينه وعن العلم وأهله خير الجزاء، وأسأل الله أن يوفقه على الدوام، وأن يحرسه بلطفه الذي لا يرام.

وقد وضعت قصيدة في الشيخ من بحر الوافر وهي:

ببسم الله أبدأ بالكلام ... وحمد الله ذكرٌ للأنام
صلاة الله على طه النبي ... محمد المظلل بالغمام
ورضي الله عن كل الصحابة ... رجال مخلصون على الدوام
كلامي بعد ذاك على الإمام ... عليٍّ مخلص عذب الكلام
يحب الخير قد فتح المجال ... لطلاب فعملوا في وئام
لقد شرح الكثير من العلوم ... سواء في الأصول وفي الكلام
كتاب لشيخنا الشيخ البجوري ... إمامٌ زيَّنَ شرحَ الإمام
هي الحكم العطائية كذلك ... فجاء الشيخ ببديع الكلام
رأيتهُ عند خَربوشٍ كثيرا ... يحب الكُتْبَ يسعى للسلام
سلوا الضعفاء عنه يا رفاقي ... فإحسانه مزيلٌ للملام
فمفتي بلادنا بهر القلوب ... كنور البدر في وقت التمام

أشـــبهه بأشـــياخ قـــدامى أضـــاءوا للعبـــاد في الظـــلام
إمـــام إخـــوتي يهـــوى المعـــالي يحـــب الخـــير يـــسعي للوئـــام
كتبـــت قـــصيدة الـــشيخ الأبيـــة فقـــالوا أعـــاد حـــسان التحيـــة
فقلـــت بـــل جـــواهر لؤلؤيـــة فقـــام المفتـــي حيـــا بالـــسلام
رأيـــت الـــشيخ في الحـــرم الأمـــين يـــصافح يـــا رفـــاقي بـــاليمين
ويبتهـــل لـــرب العـــالمين وكيـــف المنـــع وهـــو مـــن الكـــرام
ونحـــن نـــدعو في كـــل الـــصلاة فأيـــده إلـــه الكائنـــات
محـــب للنبـــي يـــا ثقـــاتي بحـــق شـــفيعنا يـــوم الزحـــام
لقـــد قـــرأ البخـــاري كـــذا النـــسائي كبـــير مـــن كبـــار العلـــماء
موطـــأ والخريـــدة هـــي البهيـــة كـــذا الإقنـــاع وهـــو للخطيـــب
هـــو الـــشربيني رب كـــن مجيبـــي كـــذا الكـــشاف للـــشيخ الإمـــام
فـــزده يـــا إلهـــي مـــن النعـــيم وأيـــده يـــا رب عـــلى الـــدوام
صـــلاة الله هـــي خـــير الكـــلام عـــلى طـــه المظلـــل بـــالغمام

***

عبادة عالِم

فكر الإمام العلامة ميثاق شرف للعالِم المعاصر

بقلم د. عمرو الورداني



أمين الفتوى ومدير إدارة التدريب بدار الإفتاء المصرية – مقدم الطريقة الصديقية الشاذلية – مصر

أعظم عبادة لعالم هي الوراثة المحمدية التي يرث فيها حضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ميراثه الدائم الجاري بالنور إلى العالمين وهو العلم؛ فقد كان سيدي نور الدين الأستاذ الدكتور علي جمعة وارثًا محمديًّا بحقٍّ؛ لأنه حافظ على هذا الميراث نَضِرًا منيرًا بسند متصل عن العدول؛ بل نمَّى هذا الميراث واستثمره كأكابر الوُرَّاث المحمديين من أمثال الأئمة: أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والغزالي والنووي؛ حيث أنشأ مدرسة علمية كاملة الأركان، يشهد لجودة ثمارها كل من له دراية بذلك الميراث المحمدي.

أشعر دائمًا بالمدد المحمدي لسيدي نور الدين الإمام العلامة كلما وجدته يتكلم عن العلم والحياة، وكان أصدق تعبير وجدته لبيان الحالة النورانية المعرفية التي تغمر مَن يستمع إليه عندما يتكلم عن نظرته لتنمية الحياة بالعلم؛ أنه في كل كلمة يعطر بها أسماع من يريد خيري الدنيا والآخرة يضع خارطة طريق لغزل العلم بالحياة والاجتماعي بالديني، ومن ثم كان من الجدير بالجماعة العلمية أن تجعل السمات التي وضعها الإمام العلامة لمدرسته العلمية الحياتية بمثابة ميثاق الشرف للعالِم المعاصر.

وباعتباري أحد ثمار هذه المدرسة، فسأقوم بصياغة ما وضعه الإمام العلامة ليكون ميثاق شرف لكل عالم يريد أن يكون:

١- خادمًا لمجتمعه؛ فيؤسس وعي شعبه، ويحافظ على المنهج الرشيد في تدين أبنائه، ويولد العلوم التي تنهض به، ويحرس منظومة قيمه.

٢- داعمًا لتنمية أمته الخاصة في وطنه، والعامة في كل مكان في العالَم؛ فيدعو إلى حب الحياة في ظل تعايش للعالم كله مع إدراكٍ دقيق للحالة العولمية -أسبابًا وآثارًا- بمنظومة قيم فعَّالة جاهزة لدعم التنمية فهي قيم للحياة، مع حث دءوب للأمة على أن تكون قيمة مضافة بنشرها للرحمة والخير والجمال لكل الإنسانية.

وهذا ميثاق الشرف الذي نستفيده من المدرسة العلمية للإمام العلامة، التي تعمل على القيام بما أقامها الله فيه من خدمة للعلم الشريف والمجتمع والإنسانية؛ ويمكن أن نلخص بنوده فيما يلي:

١- نريد أن ندرك الواقع وأن ندرك النص سواء كان مقدسًا أو من اجتهاد البشر، وأن نعرف كيف نعيش عصرنا وكيف تخدم مصرنا.

نريد في هذه المدرسة الفكرية أن ندرك الواقع بتركيبته المتشابكة المختلفة، وأن ندرك كيف نحلل هذا الواقع وكيف نفهم بعمق واقعنا الذي نعيش فيه بعوالمه الخمسة.

٣- نستعمل كل المتاح من أدوات في تحقيق مهمة عمارة الأرض التي كلفنا الله بها في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾.

٤- تقف من التراث موقفًا متزنًا؛ فليس هو الرافض له، وليس هو الذي يعيش في مسائل التراث وفي زمانه، وليس هو الذي يسحب هذا الزمان على زماننا قهرًا، وإنما نأخذ مناهج التراث ولا نقف عند مسائله، وهذه جملة كالقاعدة يجب علينا أن نلتفت إليها وأن نعيش فيها وأن نعيش بها، ومن أهم مظاهر هذا الاهتمام بالتراث وضع مداخل للتعامل معه والاستفادة منه مثل:

- الاختيار الفقهي. - والفقه الوسيع.

- وتغيير المسلك. - واللحظة اللطيفة.

٥- نحن نحترم ما قدمه سلفنا الصالح من مجهود يجازيهم عنه الله سبحانه وتعالى بما بنوا وعمروا ونقلوا وحافظوا؛ فقد كانوا قواما لليل صواما بالنهار وعبادا لله، فالحمد لله رب العالمين أن كنا من ذريتهم وممن جاؤوا بعدهم.

القرآن كتاب هداية للعالمين؛ لأمة الدعوة وأمة الإجابة، منه المنطلق وإليه المرجع؛ ولذلك نقول بـ:

- نظرية النسخ ومفهوم المحكم والمتشابه، والتي تبقي القرآن الجليل كله بعيدًا عن النسخ بمعنى الإزالة والرفع لا في أحكامه ولا في آياته المتلوة، فجميع آيات القرآن الكريم محكمة وليست فيها آية واحدة نُسخت فالكل مُحكم.

- ونقول أيضًا بالدلالة المستقلة لآيات القرآن الكريم، فكل آية يمكن أن تستقل وحدها للدلالة على معنى تام أو حكم من الأحكام.

- إبراز المبادئ القرآنية التي تظهر كون القرآن نسقًا مفتوحًا لهداية العالمين مثل قول الله تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم:٣٨]. وقوله: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨].

٧- نرتب المقاصد الشرعية بترتيب نراه الأوفق لفهم الأحكام الشرعية ثم تنزيلها على الواقع؛ على النحو التالي:

- ففي المرتبة الأولى: مقصد حفظ النفس؛ فبدونه لا تكون حياة.

- وفي الثانية: مقصد حفظ العقل؛ فبدونه لا يكون تكليف.

- وفي الثالثة: مقصد حفظ الدين؛ فالتكليف بالأحكام مرتبته بعد حفظ النفس والعقل.

- وفي الرابعة: مقصد حفظ العرض.

- وفي المرتبة الخامسة: مقصد حفظ المال.

٨- ندعو إلى الفهم العميق للنموذج المعرفي الإسلامي؛ باعتباره مدخلًا فعالًا في بيان حقيقة هذا الدين للعالمين؛ لما فيه من تحديد دقيق لمعالم ومكونات العقل المسلم وذلك من خلال الإجابة على الأسئلة الكبرى الثلاثة وهي:

- من أين أتيت؟

- وكيف أسير في هذه الحياة؟

- وإلى أين سيكون مصيري؟

فتكون محاور الإجابات تدور حول:

- أن هناك خالقًا لكل شيء.

- والإنسان مخلوق مكرم.

- والكون مخلوق مسخر.

- والإنسان مكلف والتكليف له شروط وغايات.

وسنعود إلى الله في اليوم الآخر ليسألنا عما فعلنا.

٩- ندعو لمراعاة نظرية الشروط واعتمادها لأهميتها البالغة في فهم النصوص الشرعية، وكذلك في تنزيل الأحكام الشرعية.

١٠- النص المقدس من الكتاب والسنة له طرق في التعامل معه، وقد صغنا هذا المنهج في النظريات السبع لأصول الفقه وهي على الترتيب:

- **نظرية الحجية:**

- نظرية التوثيق.

- نظرية الفهم.

- نظرية القطعي والظني.

- نظرية الإلحاق.

- نظرية الاستدلال.

- نظرية الإفتاء.

وهذا هو المنهج العلمي، اعتمدت عليه مدرسة الرازي والبيضاوي وغيرهم، ثم أخذه عنهم روجرز بيكون وغيره ممن بنوا منهج البحث العلمي الحديث في الغرب.

١١- لا نقف عند الظواهر فقط وإنما نتجاوزها إلى حقائق العلم، والعلم واسع فهو ليس محصورًا في العلم الشرعي وحده أو التجريبي وحده؛ فهناك مسائل عندما نعالجها فإننا لن نعتمد فقط على الحقائق الطبيعية ولا على قواعد الإعلام ولا العلوم الاجتماعية والإنسانية فقط، وإنما الأمر يحتاج إلى رؤية أوسع من هذا، فالدين له رؤية وله مقاصد تحتاج منا إلى مزيد من التعمق، أما الوقوف عند ظواهر الأمور حتى لو كانت حقائق كونية والاكتفاء بذلك دون الأخذ بالمنظومة المتكاملة يعد من العلم الزائف، فنحن نعلم ونتيقن ثم بعد ذلك نحيط، وبدون الإحاطة فإننا لن نستطيع البناء بقوة.

١٢- واجب الوقت الآن: هو البيان وليس الرد ولا الهجوم، وفي كل مرة نضع نصب أعيننا أنه ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ ولذلك لا نسعى لإزاحة جنس أو عرق أو

دين أحد من البشر، فالكل عباد الله ما دام لم يعتد علينا، بل علينا أن نستفيد من الآخرين، فنحن نؤمن بأن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها، فنحن نتعامل مع هذا العالم بقلب مفتوح نأخذ من كل ما فيه من خير من أجل ثلاثة أشياء: «عبادة الله، وعمارة الأرض، وتزكية النفس».

١٣- نبرز علاقة الإفتاء بالواقع بعوالمه الخمسة: عالم الأشياء، وعالم الأشخاص، وعالم الأفكار، وعالم الأحداث، وعالم النظم الذي أضفناه؛ حيث مثلث الفتوى الواقع والنص والوصل بين الاثنين.

١٤- نفرق بشكل واضح بين النص، وتفسير النص، وتطبيق النص؛ ولذلك كان من ثمرة ذلك بشكل واضح إيماننا بصلاحية هذا الدين بقواعده ومناهجه لكل زمان ومكان.

١٥- نؤكد على أن أركان المنهج الأزهري: العقيدة الأشعرية، والمذهبية الفقهية، والتصوف الرشيد.

١٦- ندعو لتطبيق لفهم نماذج أربعة باعتبارها أساسًا للتعايش وتفاعل المسلم مع العالمين، وهي:

- نموذج مكة.
- نموذج الحبشة.
- نموذج المدينة الأول.
- نموذج المدينة الثاني.

ونرى أن هذه النماذج تصلح للتطبيق في أي مجتمع إنساني، وتصل به إلى حالة من التعايش والسلم المجتمعي.

١٧- ندعو إلى حب الحياة والإنسانية، ونؤمن بأن هذا أحد أهم أعمدة الفكر الديني المعتدل.

١٨- ندرك ما قرره علماء الأصول بعد جهد طويل من قواعد الفكر المستقيم والإدراك اللغوي الدقيق، والسعي لمعرفة المآلات والمقاصد والمصالح والإجماع، وقواعد اللغة وقوانينها، يجب علينا أن نتفهم أن الأمر ليس بالسهل اليسير، لكنه أيضا ليس بالمستحيل العسر، وعلينا أن نبذل المجهود كما بذلوه، وأن نتقي الله تعالى كما اتقوا، وأن نحب من قلوبنا عمارة الكون وتزكية النفس كما أحببنا عبادة الله سبحانه تعالى.

١٩- نرى ضرورة إعادة الاعتبار للسيرة باعتبارها مدخلًا مهمًّا لفهم الدين ونموذج أصيل لتطبيق الأحكام الشرعية.

٢٠- نقدر أهمية القيم في حياة الإنسان وقاية له من المادية المدمرة، ولذلك ندعو ونعمل لبناء منظومة القيم من خلال أسماء الله الحسنى للتخلق والتعلق بها.

٢١- نرى أهمية الدعوة لتوليد العلوم واستثمار التراث سواء في أفكاره أو في بناء نماذج يستفاد منها في الواقع.

٢٢- نسير بعد أن وعينا ما لنا وما علينا- والوعي قبل السعي- نسير في طريق العلم الحقيقي الذي لا يتأثر باليمين ولا باليسار، ولا بالشرق ولا بالغرب، وإنما هو لوجه الله سبحانه وتعالى، فنريد أن نحيا حياة طيبة وأن نحصل سعادة الدارين.

٢١- نعتقد أن مواجهة أفكار الجماعات المتطرفة واجب شرعي، ويتم ذلك من خلال كشف عوارها وتفكيك أفكارها، بمثل الكلام عن فكر الهرم المقلوب والدين الموازي.

٢٤- نحقق مقاصد ديننا في حياتنا، فالدين يحب الحياة، ويحثنا على المحافظة عليها والسعي في تحسين العيش فيها، والحمد لله رب العالمين.

٢٥- نؤسس لمنهج تربوي يعتمد العلم الشرعي عمودًا وأساسًا للتزكية باعتباره التفسير الصحيح لمعاني الكتاب والسنة، التي يبنى عليها كل عمل تزكوي، ونعتمد أيضًا التجربة السلوكية التي قام بها المربون والصالحون في إرشاد الناس، ودلالتهم على الله بأقوم الطرق؛ ولذلك نقوم بتحويل كرامات الأولياء لإجراءات وسلوكيات منضبطة يمكن الاستفادة منها، مثل ما فعله سيدي عبد الوهاب الشعراني في كتابه «الأخلاق المتبولية».

٢٦- نبتعد عن الحزبية السياسية، ونرى أن العالم لا يشارك فيها، وإذا أراد المشاركة فيها لا يشارك فيها باعتباره عالمًا ولكن باعتباره مواطنًا.

٢٧- نؤمن بضرورة استثمار قيمة الوطنية في التحفيز لإبراز محاسن الدولة المسلمة، مثل ما قامت به الدولة المصرية.

٢٨- نرى أهمية إظهار وبيان السنن الإلهية كمصدر للفهم وأساس من أسس التربية.

٢٩- نؤمن بأن التجديد في الفكر الإسلامي سنة ماضية، يحمل العمل بها على عاتقه ثلة من خلاصة علماء الأمة، يقومون بواجبات كثيرة من أهمها: واجب توليد العلوم الذي من شأنه أن يحافظ على اتصال سند النبوة بالحياة؛ بعلوم تصنع جسرًا ممتدًا بين النصوص الشرعية والحياة المتغيرة والمتجددة، ومنها أيضًا نفي الزيف والشبهات عن صورة الدين المشرقة حتى تصل أنواره للعالمين بعيدًا عن الأكاذيب التي تروج عن الإسلام في ظل ظاهرة الإسلاموفوبيا، وهم كذلك يجدِّدون في الأمة الوعي الفعال لعمران المجتمعات، ويعتمد هذا التجديد على

أصول خمسة هي: النموذج المعرفي، والمنهجية، والأسس المعرفية، والموقف من التراث، وإدراك الواقع.

٣٠- ولابد من العمل على الاتزان الفقهي، فنتوازن بين ضرورة تأهيل الفقهاء عبر المذاهب الفقهية المعتبرة؛ لأن المذهبية هي النموذج الأمثل للتكوين العلمي الفقهي، ولكن في نفس الوقت لابد من تفعيل أن الاختلاف بين الفقهاء ولَّد سعة فقهية كبيرة، ومن ثم علينا أن نستفيد بالمذاهب الفقهية المعتبرة التي وصلت إلى أكثر من ثمانين مذهبًا.

ويحكمنا في ذلك ثلاث قواعد لإدارة الاختلاف الفقهي وصولًا للائتلاف وهي:

الأولى: الخروج من الخلاف مستحب.

والثانية: إنما ينكر المتفق عليه لا المختلف فيه.

والثالثة: من ابتلي بشيء من ذلك فليقلد من أجاز.

وهذا الميثاق العلمي الرصين الذي أسسه الإمام العلامة هو بمثابة منهج للتجديد، صاغه بقيام ليل في تحرير وتنوير وتقرير لمعان يصعب على أجيال من الباحثين الوصول إليها، ولكنه توفيق الله الذي لا يخطئ من يطلع على هذا المنهج أنه كان حليف الإمام العلامة، وكأنه كان يفكر وروح القدس تؤيده.

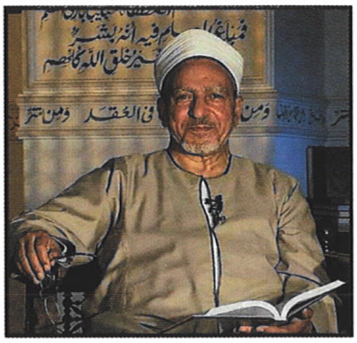
***



العالم الفقيه الداعية حامل هموم المسلمين

بقلم د. فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي

مع فضيلة الشيخ علي جمعة



أستاذ البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

الحمد لله حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سُلْطانه، والصلاة والسلام والبركات على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وتابعه إلى يوم الدين، واجعلنا منهم - بفضلك وجودك - يا كريم. آمين.

بتوفيق الله وإرادته قابلتُ الأخ الكريم الشيخ: «علي جمعة» أكرمه الله في مرحلة إعداده الرسالة (العالمية) الدكتوراه في أصول الفقه، وتمت هذه المقابلة- بتقدير الله- في بيت الشيخ: عبد الفتاح أبو سنة الأجهوري- القارئ المقرئ- وكان يحضِّر الدراسات العليا أيضًا في نفس الكلية التي ضمَّت الشيخين في مرحلة الإجازة العالية وما بعدها.

وكان الشيخ: «أبو سنة» مصاحبًا لشيخنا وشيخ علماء عصره الشيخ: «نجم الدين الكردي» شيخ الطريقة النقشبندية ﷺ، وإمام أهل زمانه في جميع العلوم العربية الشرعية، وبيته مفتوح للعلم والكَرَم على مدى الزمان لجميع العالمين، وعرف الشيخ «علي» هذا البيت، وصاحب الشيخ «أبو سنة» وانتفع كل منهما، كما انتفعت بهذه اللقاءات أدبًا وعِلْمًا وحالًا ومقالًا، وجميع العلماء في كل ميدان يردون هذا المكان إلى يومنا هذا.

وفي بيت الشيخ «عبد الفتاح» حينما طرقت الباب وفتحه لي رأيت الشيخ «علي» يقوم واقفًا مُسَلِّمًا بكلِّ أدب واحترام وإجلال فعرفت صفته قبل أن أسمع اسمه،

ثم قال لي الشيخ «أبو سنة»: هذا الشيخ «علي جمعة» يُحضِّر لنيل درجه العالمية «الدكتوراة» في أصول الفقه بتحقيق كتاب من كُتب التراث، حتى صنَّف عليه حاشية «بهذا النص». فتعرَّفت فيه الجد والاجتهاد والإقبال على العلم بكل ما فيه من سَعَة وأدب.

ومن هذا المنطلق عرفت الشيخ وبدأت رحلة الحياة العلمية حتى حصل كلٌّ منَّا على درجة «العالمية- الدكتوراة» أنا في كلية اللغة العربية، بالقاهرة، جامعة الأزهر، والشيخ «علي» في كلية الدراسات الإسلامية والعربية، بالقاهرة، وبدأت اللقاءات العلمية بتقدير المولى الكريم في مصر والبلاد الإسلامية.

ثم مضت الأيام والسنون والشيخ الدكتور «علي» يُواصِلُ جده واجتهاده في الدرس العلمي واللقاءات المتنوعة في الإذاعات المسموعة والمرئية، ورأيناه في لباس الأزهريين بعد أن كان في زي غيرهم من العالمين، وتحوَّل بهذا نشاطه المتواصل لخدمة الشريعة من خلال الكتاب والسُّنَّة النبوية واللغة العربية بألوانها وفنونها العلمية، ويظهر هذا الأثر في كتاباته المتنوعة، ولقاءاته المتواصلة، حتي صار أستاذًا بكلية الدراسات العربية والإسلامية، ومنها صار إلى الفتوى، وعُيِّن مفتيًا للديار المصرية سنوات، عاد بعدها إلى كليته العلمية، ودراساته المتنوعة في مواضع متعددة، وصار معلومًا مشهورًا عند الجميع المخالفين له برأيهم، والمحبين المناصرين من طلاب الأزهر وغيرهم حتى هذا الحين.

ومن لقاءاتي معه مما زادني معرفة به وبأخلاقه وآدابه، أننا دُعينا إلى حضور مؤتمر في تركيا بمدينة «إستانبول ومكان المؤتمر في مدينة «غازي عينتاب» فالتقينا في يوم الجمعة، وقد قمت بإلقاء درس قبل الجمعة حسب عاداتهم في بلادهم، ثم تكون الخطبة والصلاة: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ

ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]. وحضر الشيخ الأستاذ الدكتور «علي» وكان في منصب الإفتاء، ولكنه دخل المسجد في «إستانبول» كواحد من الناس، حتى إنني ما شعرت به إلا بعد الصلاة يقال: حضر المفتي الدكتور «علي» وسار مع الناس إلى مكان فيه الغداء، فقال لي ولدي محمود- وكان معي في رحلتي- جلوسك مع الشيخ الدكتور «علي» فقلت يا بني أنا أجلس في أي مكان مع جميع الحاضرين، فقال: يا والدي هذا نظام مُتَّبع، والأتراك أهل نظام في كل أحوالهم وعاداتهم، وهذا أمر يُحمدون عليه، وليت الجميع يفعلون، والدين الحنيف كله نظام لحياة المسلمين.

فلما جالسته حيَّاني بكل أدب الإسلام، مما يدل على تأثره بلقاءاته مع العلماء الصالحين، ومرانه على اللقاء لكل العالمين بحيث يستطيع أن يُخاطب كلًّا على قَدْرِه، ويُحادثه بما يُوافقه، ويُمازحه بطيب الكلام، وجميل العبارات، فللكبار كلام، وللشباب ما يُوافقهم من المقال، والبلاغة في الكلام مُطابقته لمقتضى الحال، وقد كان الشيخ «علي» على هذا المنوال.

وسمعت منه في هذه الجلسة دفاعًا عن آداب الإسلام، يناقش بعقلية العالِم المستنير بكلام مولاه، وبيان رسول الله ﷺ ولا يفور ولا يثور، ولكن مع الهدوء وتأمين كلامه بذكر الله، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، فعرفت من هذا المقام أن الشيخ عليًّا يُحافظ على علمه بهدوئه وبتأني في كلامه ومناقشاته، وهذا واجب العالم الفقيه الداعية الذي يريد الفهم والإفهام والإفحام.

ولقد تعددت لقاءاتي مع الشيخ الجليل، فما رأيته تحوَّل عن مساراته في الحياة ونمط عيشه في كل اتجاه، وهذا دليل على صدقه في حركاته وسكناته في ليله ونهاره، وعلى هذا تعددت خدماته للإسلام، فقد عرفت عنه أول أمره بعد تخرجه بدرجة

«العالمية- الدكتوراة» أنه أشرف على إخراج «الجامع الكبير للإمام السيوطي» وغيره، وعقد لذلك مجلسًا لعدة سنوات، ومعه مجموعة من الشباب النابه، أرشدهم إرشادًا علميًّا وفنيًّا وحضاريًّا في ميدان التحقيق، ودرَّبهم على استعمال الأدوات الحديثة في الإخراج والبيان؛ لإلف هذه الأدوات «كالكومبيوتر» ونحوه من نِعَم الله- سبحانه- التي أخرجها لعباده، وواجب المسلم أن يكون مُراعيًا لنِعَم الله في كل ميدان، شاكرًا مولاه الذي خلقه فسوَّاه، وأنعم عليه بجميل النعم وتولاه، ويكون من الله سبحانه الزيادة والإكرام، وهو- جلَّت حِكْمَته- الكريم الوهاب، ومنه الحكمة والصواب، وإليه وحده المرجع والمآب.

ولقد تواصلت أعمال الشيخ: «علي» في كثير من السُّبل؛ لخدمة الإسلام وأهله، ولذا سافر إلى كثير من بلدان العالم الإسلامي وغيره في المؤتمرات واللقاءات العلمية والمحاورات الفكرية، وذلك كله- كما أرى- لخدمة الدين، ورعاية الإسلام والمسلمين، وذلك فضل الله يُؤتيه مَنْ يشاء والله واسع عليم.

حضرت معه - بتوفيق الله وعونه وفضله - هذا المؤتمر الذي عُقِدَ في تركيا، فرأيته ودودًا عاقِلًا مُتحدِّثا بهدوء، وهذا شأن العلماء الراسخين، ينظر إلى مقاله في نفسه ليخرج على لسانه بمنطق مبين، وعلم مستنير، سواء رضي السامعون أو خالفوه، فإذا رأى أن الأمر على غير ما يريدون سكت، وربما حوَّل الكلام إلى طريق آخر به يَشْعُر براحة المستمعين والجالسين.

جلست معه، وحوله مجموعة من إخواننا الأتراك الذين ربَّاهم وأدَّبهم الأستاذ: فتح الله كولن- أكرمه الله- فقال أحدهم: ما هذا الكلام المثار عن رحلتك إلى بيت المقدس؟

فقال: الأمر في حقيقته سهل ميسور، ولكن الناس يتزيَّدون في الكلام،

ويحذفون ويضيفون، وأصل الحكاية أن ملك الأردن دعاني لزيارته، فلما جمعنا الله سبحانه لهذا اللقاء أشار عليَّ- إذا أردت- بأن أُصَلِّي الظهر ببيت المقدس، ولنا طريق خاص بنا من الأردن حتى المسجد، فقلتُ- والكلام للدكتور علي: سنُقابل اليهود ويضعون خاتمهم على الجواز؟ فقال الملك: لا، هذا طريقنا خاص بنا، فذهبتُ ومعي ثُلَّة من المحبين، فصلينا وألقيتُ درسًا، وزرتُ بعض الناس هناك، ثم صلينا العصر، ثم عدنا إلى الأردن ومنها إلى مصر، وقد انهالت عليَّ الهواتف في هذا الموضوع، فوضحت ما كان، ولكن أكثر الناس لا يعلمون. وهذا باختصار.

وفي المؤتمر المُنعقد حول سيرة المصطفى ﷺ كان للدكتور «علي» الكلمة في الجلسة الأولى فتحدث بكل فهم وأدب، وناقش الموضوع بعلم ثابت، ودقة العالم، فكانت كلمته لها أثرها في نفوس المستمعين من الحاضرين والناظرين في مشارق الأرض ومغاربها، فكان له أكثر من كلمة، لِمَا له من أثر في نفوس العالمين.

فإذا ما خلا بالناس في غير المؤتمر تراه يتحدث في هموم المسلمين، وما يجب أن يكون عليه المسلم في كل بقاع الأرض، على ما تعلمناه من ربنا - جلَّت حكمته - وبيَّنه لنا رسول الله ﷺ وآله في سيرته ومسيرته، وهو الأسوة الحسنة والقدوة لجميع المسلمين إلى يوم يبعثون، وهذا ما نفهمه من قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]. وأنا أقول هذا من واقع ما شاهدته من خلال جلساتي معه في هذه الرحلة المباركة.

ولا أنسى أنه حينما جلسنا للعشاء وكانت معه زوجته الفاضلة التي ما سمعنا منها شيئًا من الكلام أدبًا وتكريمًا، فأخذتُ مكاني بعيدًا عنه ليتكلم معها فيما يريد، لكنه فهم الإشارة فقال: يا فلان، لماذا جلست هناك؟ أنا أريد أن تجالسني لنتحدث في العلم، وننتفع بالقول، فقلت: أردتُ راحتك، فقال: راحتي في

جلوسك أمامي لنتبادل الكلام والحديث في هذا المقام، فذهبتُ على استحياء، وسمعت منه ما أفاد وأجاد.

والكلام حول الشخصيات العلمية الجادة يطول، ولا ينتهي على مدى الأيام، فالسيرة والمسيرة حافلة بالتاريخ المفيد، والقول السديد، والعمل النافع المفيد، والإِشارة تُغنى اللبيب عن العبارة، ورُبَّ كلمة نفعت في الأولى والآخرة، وكم من كلام يطول ولا فائدة منه جميعه، بل هو سبيل إلى الخسران في الحياة، ويوم يقوم الأشهاد، وعلى من يتبع السير- خصوصا سير العلماء - أن يكتفى باللمحة عن العبارة، ويفتح بها باب الحياة المستقيمة، ويمضي بها على درب النجاة في الحياة الأولى بكل ألوانها؛ لتكون سبيلًا إلى الجنة وما فيها من نعيم وخلود، مع سيد الأنبياء وزين الأصفياء - مولانا وحبيبنا سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، في الأولى والآخرة، ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩].

ولقد عرفت أن الشيخ يقوم بخطبة الجمعة على الدوام، وله في كل لقاء على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلام جيد، ينتفع به السامعون، ويتلقفه المحبون، وينافس فيه طلاب العلم في كل ميدان، ولو أن معترضًا قال بخلاف ما سمع أو فهم غير المراد، فهذا سبيل العلم على الدوام، من قديم الزمان، ومع العلماء الأعلام، وأئمة الفقه على وجه الخصوص على مدار الأيام، والله يُعطي فضله لمن يشاء بغير حساب.

ومع المنبر له جلساته العلمية، ومناقشاته الفقهية، ومدارساته في كثير من الفنون، في جلسات مختلفة، وفى ذلك من الفضل الجزيل ما يكون نفعه راجعًا على مختلف الأعمار لجميع عباد الله المؤمنين، والله لا يضيع أجر المحسنين، ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ...﴾ [النحل: ٥٣].

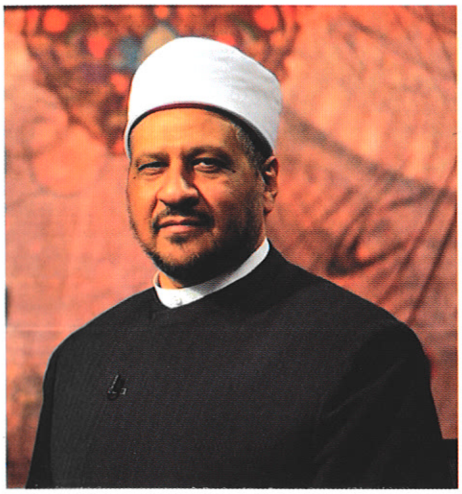
وفي آخر هذه الأعمال الصالحات رأيت له تفسيرًا للقرآن الكريم، ولعل هذا العمل الكبير، لا يكون إلا بعد استواء العالم في نُضْجه، وتحصيله للكثير من علوم عصره، وتمرس بشئون الحياة، خصوصا الفتوى في زمانٍ من عمره، بعد ذلك يستطيع أن يدخل على عتبة باب كتاب مولاه؛ ليفهم عن الله بقدر صلته بمولاه المُعلم جلَّ في علاه - وهذا ما صنعه كثير من المفسرين واللاحقين، والفضل كله لله رب العالمين.

ولقد عرفت عن الشيخ الدكتور: «علي جمعة» أنه يقوم بخدمات اجتماعية متعددة في جهات شتَّى إما بماله أو بجاهه أو بأحبابه وأصدقائه، وعلى هذا النحو من المسيرة الحسنة ربَّى شبابًا صالحًا للحياة الناجحة، يدلهم على المبرات، ويُفيدهم في مسائل العلم بانفتاح، ويدعوهم إلى التفكر والتعقل في أمور الحياة بما شرع الله ورسوله بقدر المستطاع؛ ولذا التف حوله كثير من الشباب، وأحبه لفيف من الشيوخ، وهذا دليل على ما له من درجات عند مولاه، والله يتولانا وإيَّاه بفضله وجوده، ورحمته وغفرانه وعفوه يوم الدين.

***

الفارس النبيل

بقلم د. مجدي عاشور



المستشار العلمي الأكاديمي لمفتي الديار المصرية وأمين الفتوى بدار الإفتاء المصرية نائب شيخ الطريقة الصديقية الشاذلية

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،

إن القلم يتريث كثيرا عندما يكتب عن أحد المبدعين في مجال من المجالات، حتى لا يغمط من يتحدث عنه حقه أو يغفل عن شيء من جوانب إبداعه، فما الظن إذا كان موضوع حديثنا عن عَلَمٍ موسوعي كثير الفنون، له من كل عِلْمٍ عقلي ونقلي نصيب وافر؟! أظن القلم في هذا الوقت سيحرص كل الحرص على عباراته بل على كلماته لأنه قد غاص في خِضَمٍّ بحر محيط، مليءٍ باللآلئ المتناثرة في جوفه العميق.

ولكني ما إن أمسكت يراعي لكتابة شيء عن أستاذي وشيخي مولانا الشيخ علي جمعة إلا وجدت القلم سيَّالا وانتقل ألف مداده من وسطه إلى آخره ليصبح مَدَدًا يضيء لي الطريق وينتقي الكلمات التي تليق بمن ارتقوا في المراتب وحلوا منازل السُّعَدا، ونالوا شرف الفضائل بالأمس واليوم وبإذن الله غدا.

لقد كان أول عهدي بشيخي رضي الله عنه في بداية الثمانينات من القرن العشرين، وبدأ اللقاء بالدرس والقراءة على يديه المباركتين بادئًا بالكتاب المبارك "حاشية الشيخ الباجوري على شرح ابن قاسم على متن أبي شجاع" في فقه السادة الشافعية، وكان فاتحة خير، إذ قد فتح الباب لتلقي العلوم على فضيلته مرورا بشرح الورقات في

أصول الشافعية إلى البحر المحيط للإمام الزركشي، وشرح كتاب المنهاج في فقه الشافعية للإمام النووي- وقد خصني الله تعالى بأن قرأت على فضيلته شيئا من شرح المنهاج في مسجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - والموافقات للإمام الشاطبي رضي الله عنهم أجمعين.

وفي هذه الرحلة الطويلة لم يكن الشيخ يعلمنا فحسب على ما في ذلك من كفاية، إذ له قصب السبق والباع الأسَدُّ في تلك العلوم، ولكنه كان أيضا يربينا: بلفظه ولحظه، وعبارته وإشارته، ومقاله وحاله، حتى سرى فينا منه كيف يحافظ على أركان الإسلام؟ وإلى أي مدى يراعي قلبه الذي هو محل الإيمان، ثم كيف يأخذ بأرواحنا إلى مراتب ومراقي درجات الإحسان؟

واختلجت فينا هذه المعاني الثلاثة وتشربت بها جوارحنا وقلوبنا وأرواحنا، وظل الأمر على ذلك حتى بيَّن لنا الغاية من كل ذلك، وهي (الوصول إلى الله) لعلنا نتحقق بأسباب السعادة لنا ولغيرنا من الخلق، من خلال "الحياة في سبيل الله" فيتحقق مراده سبحانه وتعالى فينا: بعبادته وحده، وبعمارة كونه، وتزكية أنفسنا.

كل ذلك في بيته العامر وضيافته الكريمة قبل أن يعم الدرس في رحاب الأزهر الشريف.

ووقفت في صحبتي لشيخي على سمات الفروسية والنبل في حياته، ليس معي فقط ولكن مع كل من يلتقي به أو يعامله أو يجالسه، وكان من أبرز تلك السمات:

١ - تحليه بسمت العلماء السابقين، حتى إنك إذا جالسته ظننته من أهل عصر السلف ذوي النجابة والديانة والشرف، ونلحظ ذلك في كلامه وشرحه للعلوم وكذلك في تصرفاته.

٢- التزامه في خصوص نفسه بالأحوط في دينه، مع أخذه الناس بالسعة والتيسير في ظل الفقه الإسلامي الفسيح، بما لا يخالف شرعا، أو يناقض ذوقا أو عُرْفا.

٣- إتقانه العجيب للعلوم، والأعجب ما حباه الله تعالى إياه من توصيل تلك العلوم لكل الفهوم، حتى إنه يتدرج بتلاميذه على مختلف قرائحهم إلى أن يصلوا الذروة في تحصيل ما شرحه لهم. ولا يقدر على هذا المسلك إلا من اتصف بالعلم والحلم والحكمة.

٤- يَدْخُل إلى قلوب تلاميذه وجلسائه، من خلال تنوُّع تواصله معهم، فيمازح واحدا ويبتسم للثاني، ويشير إلى الثالث، ويلحظ الرابع، ويُسرِّي عن قلب الخامس، ... وهكذا، حتى لا يريد مُجَالِسُه أن يفارقه، بل إنه ليدعو الله عز وجل أن يظل معه، لأنه يُحصِّل العلم والعمل، ويمتلئ بالتفاؤل والأمل.

٥- ظهور صفة الكرم والعطاء في فضيلته، وهي من أخص خصائصه، حتى سمعت من يقول عنه: "إنها بابه إلى الله تعالى"، وعندما بحثت عن سبب ذلك الكرم حتى مع من تضيق صدورهم بظهور شيخنا عليهم فستجد أن السبب الأصل هو زهده في الدنيا، وسَوْقه لها وامتلاكه لزمامها، حيث يجعلها وراء ظهره ليكون قائدها وممسكا بتلابيبها، حتى إنه يوصينا دائما: "من نازعك في أمر دنيا فاتركه له وسيخلف الله عليك خيرا منه"، وهذا ما يجعلنا نتعجب منه فيه، حيث إنه قد يمتلك شيئا من الدنيا، ولكن في يده وليس في قلبه، يعرف ذلك عنه من جالسه وخالطه واختلطت أنفاسه بأنفاسه.

٦- يسعى في نفع الناس وقضاء حوائجهم كلما استطاع ذلك، ويستوي في ذلك من يعرفه ومن كان أول مرة يقابله، وهذا ما يسمى عند أهل السلوك والتزكية بمقام "الخدمة" أي خدمة الخلق لوجه الله تعالى. ومن ذلك فتحه لمكتبته العامرة

بالكتب العتيقة والحديثة في شتى المجالات لطلاب الدراسات العليا والباحثين.

٧- لا يتخذ عدوًّا له، ولذلك يشهد له مخالفوه بنبل أخلاقه وإنصافه، بل إذا احتاج من يشتد في خلافه معه إلى ما يمكن أن يبذله له شيخنا، فإنه يبادر بمساعدته بسلامة صدر وبشاشة وجه.

هذا بعض ما أسعفني الوقت والحال في وصف شيخنا مقتديا ومتبعا بسيدنا سيد ولد عدنان صلى الله عليه وآله وسلم، وإلا لو أطلقتُ للقلم العنان لَكَلَّتِ اليدُ ولم ينته مني الكلام.

إن شيخنا لم أجده يوما ردَّ سائلا، أو حقَّر جاهلا، أو أهان غافلا، أو تجاهل أحدا للحق طالبا، أو ترك واحدا يقوم من مجلس هو فيه منكسرا، أو خَيَّبَ ظن طالب علم جاءه متعلما.. وإنما يقابل الكل بأبوَّة حانية، وكلمة بمجامع القلوب آخذة، لأنه يصدر في ذلك من مقولة "جبر الخواطر في جبر الخواطر".

وسأختم كلمتي بتلك الواقعة التي تُنبئ عن نُبْلِه وشَرَفِه، وتشير إلى مروءته وعفافه، فقد حكى لي الأستاذ "إبراهيم خربوش" ابن الشيخ "علي خربوش" صاحب المكتبة الشهيرة بشارع بورسعيد أمام مستشفى أحمد ماهر التعليمي بالقاهرة بأن الشيخ علي جمعة كان يتردد كل يوم جمعة على مكتبتهم التي يبيعون فيها الكتب الخاصة بالعلوم الشرعية والعلوم المساعدة لها، وذلك ليقف على كل ما هو جديد في عالم الكتب، وأنه وقع لهم ذات مرة كتاب نفيس وعزيز في ذلك الوقت، وهو كتاب "مرهم العلل المُعْضِلة في الرد على أئمة المعتزلة" للإمام اليافعي، المتوفى سنة ٧٦٨هـ رضي الله عنه، وأن أباه الشيخ علي خربوش طلب من ابنه المذكور أن يخفي الكتاب في مكان وحده حتى يتسنى لهم بيعه لمن يملك ثمنه الغالي في ذلك الوقت، وكان في سبعينيات القرن العشرين، ورسموا له ثمنا كبيرا

وقتها، وهو "خمسون جنيها"، فلما حَلَّ يوم الجمعة بعد مجيء ذلك الكتاب، وعلى عادة مولانا الشيخ علي جمعة وحبه للكتب أخذ يتفقد المكتبة كلها وهي ليست بالصغيرة، فإذا به يجد ذلك الكتاب النادر، فحمله إلى الشيخ علي خربوش، وقال له: أراكم تخفون هذا الكتاب عن الأعين. فرد عليه: اترك الكتاب يا شيخ علي جمعة، فهو غالي الثمن وسنسترزق منه لقمة طيبة وكبيرة، فقال لهم شيخنا: يعني كم ثمنه؟ فقالوا: خمسون جنيها، بفم عريض، وهم يظنون أنه فوق طاقة مولانا المادية، فقال لهم: أنا اشتريته بالخمسين جنيها، وأعطاهم ثمنه، فتعجبوا... ولكن زادت دهشتهم عندما فاجأهم شيخنا بعد فحصه للكتاب وتقديره له، وقال: إن ثمن هذا الكتاب لا يقل عن مائتين وخمسين جنيها، لأهميته وندرته، يقول لي الأستاذ إبراهيم خربوش: ولم يخرج الشيخ علي جمعة من مكتبتنا إلا بعد أن أعطانا المائتين وخمسين جنيها بأكملهم.. وأردف قائلا: لم يقابلنا أحد متحقق بمثل هذا النبل والإنصاف والأمانة.

لو لم يكن إلا هذا التصرف من شيخنا لكفاه نبلا وشَرَفًا، ودينا وعفافا.

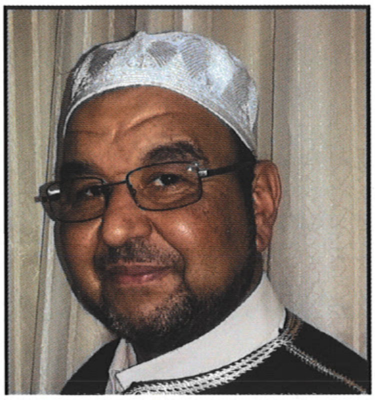
ذلك مثال من عشرات الأمثلة التي عايشناها مع مولانا الإمام العلامة الأستاذ الدكتور علي جمعة الذي استحق أن يكون عَلَامَة فارقة في عصرنا الحاضر، وأن يكون عَلَّامَة بين علماء عصره، وكما أخبر عنه الأخيار، بأنه صار عَلَمًا لا يُشَقُّ له غُبَار.

حفظ الله تعالى شيخنا وبارك في عمره وعلمه وفهمه وعطائه، ونفعنا بعلومه في الدارين — آمين.

***

فخر مصر والعالم الإسلامي

بقلم فضيلة الشيخ محمد الأمين فركاش الشريف الإدريسي الحسني



الفقيه المالكي الليبي
شيخ الطريقة السنوسية
بدرنة ليبيا

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإنَّ العلماءَ الرَّبانيينَ هم (النُّجوم المضيئةُ) في سماء هذا العالمِ فبهم يهتدي النَّاسُ في مساربِ هذه الحياةِ فإذا غابوا أو غُيِّبوا سادَ الظلامُ الدَّامسُ أرجاء الأرض، وتخبَّطَ الخلقُ في دياجيرِ الظلمةِ؛ فلا يعرفونَ طريقًا، ولا يهتدونَ سبيلًا؛ كما قال أحدُ السلفِ رحمه الله: «مَثَل العلماء مثل النجوم التي يُهتدى بها، والأعلام التي يُقتدى بها، إذا تغيَّبَتْ عنهم تحيَّروا، وإذا تركوها ضَلُّوا» أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه.

وكُلَّما عصفتْ بالأُمَّةِ رياحُ الفتنِ العاتيةِ، وضَربتْ بها أعاصيرُ المحنِ القاسيةِ؛ عَظُمتْ الضَّرورةُ إلى هذا الطراز الفريدِ من أهل العلمِ، وصارتْ الأُمَّةُ في مسيس الحاجة إليهِ.

ومن هؤلاء العلماء الربانيين في وقتنا المعاصر فضيلة مولانا الأستاذ الدكتور شيخ الإسلام نور الدين علي جمعة حفظه الله تعالى، المفتي السابق للديار المصرية، وعضو هيئة كبار العلماء، وشيخ الطريقة الصديقية الشاذلية.

يتَّسِمُ فضيلة مولانا الدكتور علي جمعة بصفاتٍ ساميةٍ جليلةٍ لعلَّ أبرزها ما يلي:

١ - الرُّسوخُ في ميراثِ الأنبياءِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ، وهو العلمُ القائمُ على الوحي المنزَّلِ من عند الله عَزَّ وجلَّ، فَعَنْ أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«... وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأَنبياءِ، وإنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثوا دينارًا ولا دِرهمًا، ورَّثوا العلمَ فمَن أخذَه أخذَ بحَظٍّ وافرٍ» أخرجه أبوداود في سننه وإسناده صحيح.

يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله في شأن العلماء الرَّبانيين هم: «ورثة الرُّسل وخلفاؤهم في أممهم، وهم القائمون بما بعثوا به علمًا وعملًا ودعوة للخلق إلى الله على طرقهم ومنهاجهم، وهذه أفضل مراتب الخلق بعد الرسالة والنبوة... وهؤلاء هم الربانيون وهم الراسخون في العلم، وهم الوسائط بين الرسول وأمَّته فهم خلفاؤه وأولياؤه وحزبه وخاصَّته وحملة دينه...».

٢- التَّمسُّكُ بمنهاج النبوَّةِ القائمِ على هدي الرَّسولِ صلَّى الله عليه وآله وسلَّمَ وهدي الخلفاءِ الراشدين وأهل بيته الطيبين الطاهرين، ومن سار على نهجهم من أئمة الأمة.

٣- خشية الله عز وجلَّ؛ كما قال تعالى في شأن أهل العلم: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧].

٤- الصبرُ واليقينُ؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]. قال بعض العلماء: «بالصبر واليقين تُنال الإمامةُ في الدِّين».

٥- العملُ بمقتضى العلم.

٦- الدِّراسةُ الذَّاتية والقراءةُ الواعيةُ للفهمِ والإدراكِ.

٧- تعليم العلمِ وتربية الناسِ على صغارهِ قبل كبارهِ.

٨- الحكمة.

٩- الحلم.

١٠ – الفقه.

١١ – ثباته في الفتن المضلَّة المظلمة، ورسوخ قدمه في مواطن الشبهات، حين تضِلُّ الأفهام وتزِلُّ الأقدام.

قال ابن القيم رحمه الله: «الراسخ في العلم لو وردت عليه من الشبه بعدد أمواج البحر ما أزالَت يقينَه، ولا قدَحت فيه شكًّا؛ لأنه قد رسخ في العلم، فلا تستفزُّه الشبهات؛ بل إذا وردَت عليه ردَّها حرَسُ العلم وجيشُه مغلولةً مغلوبةً» (مفتاح دار السعادة [١/ ١٤٠]).

١٢ – من أبصر الخلق بالفتن ومضارها وعواقبها، وما يصلح فيها من الكلام والفعل، قال الحسن البصري: «الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم؛ وإذا أدبرت عرفها كل جاهل» (الطبقات الكبرى لابن سعد [٧/ ١٦٦]).

وإن المتبصر في حال أمتنا اليوم يجد أنها أحوج ما تكون إلى علماء ربانيين من أمثال مولانا فضيلة الدكتور علي جمعة، يرشدونها إلى طريق الحق والهدى والنجاة، خاصَّةً في ظلِّ هذه الفتن المتراكمة والمحن المتلاطمة التي تعصف بالأمة الإسلامية من كل جانب. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩]، وقال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة:٦٣]. وقد قال النبيُّ ﷺ عنهم: «وإنَّ العلماء ورثةُ الأنبياء، وإنَّ الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا وإنَّما ورَّثوا العلم، فمَن أخذَه أخذ بحظٍّ وافرٍ» (أخرجه أبو داود في سننه رقم [٣٦٤١]، والترمذي في سننه [٢٦٨٢]).

وقال العلامة المناوي رحمه الله: «لأنَّ الميراث ينتقل إلى الأقرب، وأقرب الأمة في نسبة الدين العلماء الذين أعرضوا عن الدنيا وأقبلوا على الآخرة، وكانوا للأمة بدلًا من الأنبياء الذين فازوا بالحسنيين العلم والعمل، وحازوا الفضيلتين الكمال والتكميل». اهـ (فيض القدير [٤/ ٣٧٤]).

وفي الختام أقول:

فضيلة مولانا الدكتور علي جمعة عالِمٍ كبير، وهو فخر لمصر والعالم الإسلامي، ولقد بلغ هذه المكانة نتيجة جهوده الملحوظة في تطوير دار الإفتاء المصرية خلال توليه المسؤولية، وعلمه الغزير الذى يتمتَّع به وسعة اطلاعه وثقافته، هذه كلُّها عوامل ساعدته للوصول إلى هذا المستوى اللَّائق، الذى نتمنَّى أن يبلغه كل عالمٍ «أعانه الله ونفعنا به، هو بمثابة الشيخ الوالد لنا جميعًا» وهو أوَّل من تصدَّى للفكر المتطرِّف في مصر منذ أكثر من ٢٠ عامًا، وكان يتميَّز قبل أن يكون مفتيًا بعلمه الواسع، فهو بمثابة «أكاديمية تمشى على الأرض» يتميَّز بأسلوبه البسيط والعذب، فمِن خلاله جذَبَ قلوب الجميع؛ لأنَّه شيخ للمتخصصين والعامة سويًّا، وهو ركيزة علمية ويتكلم من أرض صلبة، وله مدرسة منتشرة في مصر وخارجها وله تلاميذ كثر، كنت أعرف ناسًا يأتون من بلاد عدة للجلوس تحت أقدام مولانا على جمعة حتى يتعلموا منه، ورزقه الله عزَّ وجل القبول في الأرض، نفعنا الله بعلمه وشيوخه ومحبِّيه ومريديه في الدارين آمين يا رب العالمين.

***



نموذج متفرد في زمن التقليد

بقلم د. محمد البشاري


أمين عام المجلس العلمي للمجتمعات المسلمة - فرنسا

تميَّز فضيلة الشيخ الدكتور علي جمعة، عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، كنموذج «مُلح» في عصر التحولات والتغيرات المتسارعة، ولم يتأخر ليثبت ذلك من خلال جهوده العملية، ومبادراته المتنوعة؛ سواء أكان ذلك بما قدمه من الأنشطة الاجتماعية؛ التي هدفت لتقوية أزر الفقراء والمساكين، أو زياراته المختلفة للعديد من البلدان، عزمًا جادًّا على تصحيح صورة الإسلام المشوَّهة لدى الآخر، كما يضيف لذلك كله عرض خبرته العلمية وخلفيته الثرية من خلال ما ينشر من المقابلات، والتسجيلات، والكتب والمؤلفات، والمقالات المترجمة بلغات متنوعة، إضافةً لما ترك من بصمة فارقة؛ بإنجازاته المختلفة في رحاب دار الإفتاء المصرية؛ خلال فترة توليه منصب الإفتاء، ومشهود له بدوره الفاعل في دعم القضايا العادلة، كالقضية الفلسطينية، أو زيارته للقدس الشريف.

مفتي الديار المصرية السابق برز بنموذجه المتفرد بين كوكبة العلماء الجادين، في سعيهم لإظهار الحق، وتغليب قوى الخير، في الوقت الذي تجنح ألسنة الجماعات الإسلامية المتطرفة على اختطاف التراث الفقهي ونصوصه الشرعية، وتحويرها فيما يصب بمصالحهم الحزبية والشخصية؛ ليسطع الشيخ علي جمعة، بعلمه الوافر العامل بكل ما أوتي من إخلاص وإيمان برسالة الإسلام السمحة؛ لنشر أريج الشريعة الإسلامية من الكتاب والسيرة النبوية العطرة؛ في نشر تعاليم الدين

السليمة، بالسياق الذي خلق ليكون له؛ سياق الرحمة والتسامح والحوار.

وانطلاقًا من دور رجال علماء الدين ومسؤوليتهم العالية أمام الخالق وخلقه؛ فقد قدَّم فضيلة الشيخ جمعة حرزًا ثريًّا عظيم المباني، يبهر كلَّ من اطلع عليه بفيض العلوم، وروعة الأسلوب، الذي يوصل من خلاله المفهوم إلى العوام قبل الخواص؛ ليُشيِّد خرسانة منيعة من الوعي المبني على المعرفة النقية، في معالم الطريق إلى رسالة الإسلام القيِّمة، والكيفية التي تمكن المسلم من تخطي العقبات التي قد تقابله، وتحقيقًا لذلك، فقد أطلق ثمرة رحلة بحثه العلمية ليصدر أكثر من ٨٠ كتاب وموسوعة، إضافةً لخمسة مشاريع، مثل «مصر الخير»، و «قوافل الخير والأمل»، و «الداعية المعاصر»، وغيرها من المشاريع.

ولا بدَّ وأنَّ ما يدعو له الشيخ جمعة يعتبر انعكاسًا صريحًا لإدراكه العالي لحال المجتمعات وما تؤول إليه؛ إذ ترتكز خطاباته على الدعوة لفهم جوهر الإسلام، ومعرفة أسرار رسالته، والوقوف على المقاصد والغايات السامية، واستثمار ذلك من خلال تطبيقه وفق مستجدات العصر ومتطلباته، سعيًا لمواجهة التحديات المعاصرة، ويثني على ما يوفره من بقاء حلقة التواصل المفتوح بينه وبين فكر المجتمعات، وتساؤلاتهم من خلال مبادراته المتميزة، الموسومة بـ «عبادة الله، عمارة الأرض، تزكية النفس». لينادي برسالة صريحة للتجديد الفقهي، والإصلاح الديني.

وقد أولى فضيلته ركائز القضايا المعوَّل عليها بإنجاح مشروع التجديد الفقهي والإصلاح الديني من أجل النهوض بالمجتمعات المسلمة، مثل تشديده على ضرورة وحدة صفِّ المسلمين فيما بينهم، إضافةً لتأكيده المستمر على وجوب صون الوحدة الوطنية، وانسجامًا مع ذلك؛ فقد لفت في أكثر من موقف لمكانة

التسامح ومهمتها في صون ثوابت الديانات السماوية؛ باعتبارها عاملًا مشتركًا وناصعًا؛ ليمثل تقديم الواجب لعالم الدين في أبهى صوره؛ إذ التسامح في الدين الإسلامي أساس رسالته السمحة، فلا مكان للإكراه في الدين، ولا تنازل عن ضرورة حماية أماكن العبادات الخاصة بأهل الأديان السماوية الأخرى؛ من كنائس ومعابد الديانات الإلهية.

كما عُرِفَ عنه إبراز مشاهد الحياة النبوية الشريفة في التشريع الإسلامي؛ من خلال استناده على ما جاء به الإمام القرافي في الفروق بين تصنيفه لتصرفات النبي الكريم ﷺ كنبي يُوحَى إليه فيتَّبع، أو كرئيس دولة يدير شئون المسلمين بالشورى، أو كقاضٍ يحكم بين الناس شؤونًا بين الناس وفق الوقائع، أو مفتٍ مع مراعاته وموائمته لـ «الزمنية» في التطرق للمواضيع العامة والخاصة وتنزيل الأحكام عليها؛ إذ يرى أنه من باب الأولى والأصح وضع الأمور في سياقاتها؛ حتى تأخذ ما يحقُّ لها من أحكام وتفاسير.

وقد تميَّز الدكتور علي جمعة بمنهجه المجدِّد في مواجهة متطلبات العصر والقيم في هذه الجزئية، انطلاقه الشجاع المشبع بالعلم والمعرفة والتكوين الذي يؤهله لأداء هذه المهمة على أحسن وجوهها. وشهدنا ذلك بقوله معترفًا بوجود «الفوضى الخلاقة»، حين قال: «إننا في عالم يدعو إلى ما يسمى بالفوضى الخلاقة، وهذا مشروع يراد تنفيذه وليس هناك من يستطيع أن يقف ضده، فهم يريدون تنفيذه يريدون تنفيذه، مفيش فايدة. وما الفوضى الخلاقة؟؟ يجب علينا أن نناقش كل شيء!! وماذا تعني بكل شيء؟!! كل شيء؛ المسلمات، والبديهيات، والفتاوى، والأقضية، وأحكام القضاء... كل شيء، ليس هناك مقدَّس، بل إن كل شيء مدنس!».

وفي مقابل ذلك، وانطلاقًا من مواجهة العقبة الفكرية المتشابكة، فإنَّ له من

الركائز ما إن تنوء بالتطرف أولي القوة «المزيفة»؛ إذ ينادي بضرورة الحفاظ على مقومات الوحدة الوطنية؛ باعتبارها الأساس المستهدف لمرات متتالية، مما يعظم من ضرورة التشبث بها بالنواجذ. وعاكسًا لكم التسامح والتعايش بين أفراد المجتمعات الذي يثبته مرةً تلو الأخرى؛ فيقول خلال مبادرته في لمِّ شمل أبناء وطنه المصريين: «هذه مصر؛ التي نجتمع فيها برجالها ونسائها بمسلميها ومسيحيها بعلمائها وأدبائها وشعرائها ومفكريها، هذه مصر؛ ونحن في وسط اللُّجَّة في وسط البحر، ولكن في سفينة واحدة اختلفنا أو اتفقنا، كنا على أنواع أو كنا على قلب واحد؛ ولكن القضية هي قضية الحياة، قضية المصلحة، قضية من أنت وأين أنت؟»، مستمرًا في قواعده الرصينة ليضع المرأة من الركائز الهامة، مشيرًا لكونها نصف المجتمع، ووالدة للنصف الآخر، فهي مصنع الحياة وبذرته الأولى.

ويستمر في نهجه الواعي، داعيًا منابر الإعلام للالتزام بمواثيق الشرف التي توسم على صدر كل من يُدعى «صحافيًا حرًا» لضرورة هذه القوة الناعمة في ركز عماد النهضة المنشودة، وفي المقابل التخلف ونشوب النزاعات إن سارت خلف الجهات الممولة، وتناست ما عليها من مسؤولية.

وللدكتور الشيخ علي جمعة، منهجية ساطعة بين المناهج التي تتسارع في البروز؛ إذ يعتبر منهجه مبنيًا على ركيزة علمية، وفهمًا مدركًا ورؤية ثاقبة للمستقبل المنشود للمجتمعات كافةً، ذلك أن الاستناد إلى قيم وركائز الدين التي لن تنال منها تشوُّهات جماعات التطرف؛ يؤول بلا شك إلى مستقبل جديد واعٍ ناضج الفكر، ومتزن الأداء؛ يجعل من الفهم النقي أولًا، ثم قيم التسامح والتعايش بين مختلف المكونات المجتمعية، والوئام الوطني -قاعدة راسخة للحاضر والغد ليعيش على

خيراتها البشرية، وينهل من فضلها العقول، ويحسن استثمارها فيما سيأتي.

وأخيرًا وليس آخرًا فإن لفضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة مكانة رفيعة بين العقول النيرة، العاملة على الدفع بمستوى الأداء والرقي بالمستوى الفكري، ورغم أنه وجِّه باجتهاداته بكم لاذع من الافتراءات والأقاويل المركبة؛ إلا أنه لا يزال مستمرًّا في إيصال رسالة سماحة الإسلام، وتوحُّد الأديان في استقائها من معين واحد موسوم بالمحبة والأخوة؛ بلا أدنى تفاضل أو تمايز. وإنَّ علينا جميعًا واجب احترام وإجلال من يحترم الآخر ويقدِّر إنسانيته، ويجعل من الحوار والتفاهم والتسامح قاعدة في معاملاته كفضيلته الموقرة.

***

رائد النهضة العلمية في الأزهر الشريف

بقلم د/ محمد توفيق رمضان البوطي



رئيس الفقه الإسلامي ومذاهبه
كلية الشريعة - دمشق

عرفت صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور علي جمعة في لقاءات متعددة بمؤتمرات علمية وغيرها، تميزت شخصيته فيها بأمور:

- سعة العلم في ميدان الفقه والأصول.

- غيرته على منهج أهل السنة والجماعة من أن يخترقه أو أن ينال منه المتطرفون والغلاة.

- توجهه نحو التزكية سواء في تسميتها تصوفًا، أم بمطلق منهج التزكية، فهو يهتم بتزكية النفوس وفي منهج أهل الحق.

- محاولته في التوجه نحو التيسير المنضبط في بيان الحكم الشرعي.

ولعل توليه لمنصب الفتوى في جمهورية مصر العربية لمدة عشر سنوات أدى إلى تعرضه لأسئلة كثيرة لا يتعرض إليها العالم في دروسه المنهجية، فجعلت ساحة البحث والحلول لما يعرض من مشكلات في حياة الناس لديه أوسع. أضف إلى ذلك أن عمله التدريسي كان أوسع من مجرد عمل وظيفي تقليدي، فقد طور في مجال العملية التعليمية في الأزهر، وسعى للعودة إلى غابر عهده؛ يوم كان أقوى في مناهجه وأرفع في مستواه التعليمي. وأعاد حلقات العلم إلى جانب المحاضرات التي سارت عليها الجامعة الأزهرية. مما يسر تكوين جيل جديد أصلب عودًا وأرسخ جذورًا وأقدر علميًا، بالإضافة إلى وضوح الرؤية لمنهج أهل السنة والجماعة وفق ما قام به الإمام أبو الحسن الأشعري والإمام أبو منصور الماتريدي من حماية لمنهج أهل السنة والجماعة.

تميزت شخصية فضيلة الشيخ الدكتور علي جمعة بالطرفة المصرية الرقيقة، فأعطت شخصيته مزيداً من القبول، مع ما حباه الله من الهيبة والوقار.

كما تميز- حفظه الله- مع دقة عمله العلمي بقبول الاختلاف معه، في وجهة النظر العلمية. فالاجتهاد من أهله ميدان لتعدد الرؤى والاجتهادات.

ولعل أهم ما يمكن أن يذكر في شأن صاحب الفضيلة أنه كان جريئاً في الحق في وقت صار فيه للباطل ظهور في الساحة، ونوع سطوة، أرادوا خلال ذلك قهر الحق وأهله. وبدلاً من أن يحاوروا أو يشاركوا في ساحة الفكر؛ سنحت لهم فرصة فمارسوا أسلوب القمع والتشويه والقهر والإقصاء. بل تجاوزوا كل ذلك وحاولوا القتل. إلا أن ذلك كله إن دل على شيء فهو إنما يدل على الفشل والهزيمة وضعف الحجة، بل عدم وجود أي مستند علمي لمذهبهم المتطرف الذي أعيته الحجة فلجأ إلى الإرهاب. فكان ذلك الإرهاب الذي تسلَّحوا به القبر الذي دفنوا أنفسهم فيه.

قدم فضيلته مجموعة غنية من المؤلفات النافعة في الفقه والأصول والفتاوى والقضايا الاجتماعية؛ وسائر العلوم الشرعية، وله النبراس في تفسير القرآن. والرحلة في حديقة كتبه ومؤلفاته تطول بنا، وأكتفي منها بهذه الإشارة إلى غناها وأهميتها. فضلاً عن تلك الرسائل التي أشرف عليها أو شارك في هيئة الحكم عليها.

إلا أن أعظم إنتاج علمي له ولا يزال مستمراً في التدفق: هذا الجيل المتميز من الأزهريين الذين درجوا بين يديه وصار لهم دورهم الفاعل في مصر وخارجها.

عُرف فضيلته في الميدان العالمي بوسطيته واعتداله، لأنه سلك طريق الحق في حياته، وطريق الحق إنما يمتاز بالوسطية، فلا إفراط ولا تفريط، فكان موضع احترام وثقة.

وقد كانت الثقة به سبباً لدور كبير له وتأثير لا يستهان به في المجال الاجتماعي، فمساعدة الطبقة الفقيرة كانت موضع اهتمامه ودوره مؤثر في هذا المجال ولله الحمد.

حفظ الله فضيلة الشيخ الدكتور علي جمعة وأمدَّ في عمره وبارك في عطائه العلمي والإرشادي ودوره في حماية الثوابت ونصرة الحق وأهله.

***

العارف بالله والوارث المحمدي صاحب الأسانيد

بقلم د/ محمد جمال أبو الهنود



عضو المجلس الصوفي الأعلى ومستشار وزارة الأوقاف – فلسطين

إن مواقف الرجال يسجِّلها التاريخ وتتناقلها الأجيال جيلًا بعد جيل، ولذلك فإن الاعتراف بالجميل لأهله فضيلة، ولا يعرِف الفضل لذوي الفضل إلا ذوو الفضل، وشكر النعمة واجب، ورد الجميل لأهله فريضة، حيث يقول رسولنا ﷺ: «لا يَشْكُرُ الله مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ».

والإنسان في هذه الحياة ما أقامه الله عليه من إدراك وعلم ونفع ومنفعة وعمل وتربية وسلوك، فهو كما أخبر عنهم ﷺ بهذا الوصف «المؤمن كالغيث كلّما حلَّ نفع».

فهو الذي تُنقش في النفوس صورته، ويكون فخرًا، وعزًّا، ونصرًا، ومجدًا لدينه ووطنه وأمَّته. فيضعه الناس العقلاء الأوفياء في منزلته التي يعلم القلب أنها له، وبذلك يكون اسمه مطابقًا لمسمَّاه ومبناه في معناه، ومعناه في مبناه.

أجل إنَّه العالم الرباني العارف بالله والوارث المحمَّدي سيدي وشيخي وأستاذي الأستاذ الدكتور نور الدين علي جمعة مفتي الديار المصرية السابق، وعضو هيئة كبار العلماء في الأزهر الشريف.

ولا يعرف عليًّا إلا عليٌّ، حيث أقامه الله في فترة من الزمن عزَّ فيها الرجال، وكانت الحاجة الدينية والاجتماعية والوطنية في مسيس الحاجة لأمثاله، فلا يخفى على مطلع ودارس للأوضاع الدينية والسياسية والاجتماعية في هذه الحقبة من الزمن في تاريخ أمَّتنا وما يُراد بها من أعدائها من مؤامراتٍ متلاحقةٍ؛ تتقاذَف على

أمَّتنا عامَّةً ومصرنا خاصَّةً من كل حدب وصوب للنيل من ديننا ووطننا ووحدتنا الوطنية، ووجدوا لهم- ويا للأسف- أعوانًا على الإثم والعدوان؛ لا على البر والتقوى من داخل وطننا.

وهؤلاء انصاعوا لأيادي عابثة في الوطن خارجةٍ عنه؛ إمَّا لجهلٍ ألمَّ بهم، أو لغباءٍ أصابهم، أو لخديعةٍ وقعوا في شراكها، أو لأنهم باعوا أنفسهم بثمنٍ بخسٍ ودراهمَ معدودةٍ للشيطان الرجيم وجنده من شياطين الإنس، فرفعوا شعاراتهم باسم الإسلام؛ ليخادعوا الناس بها فجعلوا في ظاهرها الرحمة وفي باطنها أشد العذاب.

وهؤلاء للأسف في غفلة من الزمن نفذوا إلى مؤسساتنا الدينية والاجتماعية حتى يعيثوا فيها فسادًا، فيحوِّلوها عن مسارها الذي أراده الله لها، من خير شامل وعلم نافع للدين والوطن والمجتمع.

ولكن هيهات هيهات، فإنَّ مصر المحروسة برجالها وأولياء الله فيها، والصالحين من العلماء العالمين أن يغفلوا عن هؤلاء، ويقفوا لهم بالمرصاد ويُظهروا حقيقة هؤلاء الناس لأبناء الوطن المخلصين؛ حتى لا ينخدعوا بهم فكانوا حصنًا للدين والوطن من عبث العابثين، ومن بهتان المارقين، ومن جهل الجاهلين.

وقد كان في مقدمة هؤلاء العلماء الأولياء شيخنا وأستاذنا العالم المربي سيدي الشيخ نور الدين علي جمعة حفظه الله تعالى، حيث أقامه الله منذ نعومة أظفاره مقبلًا على الله، مقبلًا عليه بصدق العبودية له، وبطلب العلم بشغفٍ وحبٍّ وإخلاصٍ لله، فالتحق بالأزهر الشريف؛ لينهلَ من منابعه الصافية علمًا ومعرفةً وتربيةً وسلوكًا فتلقى العلوم الشرعية من خيرة علماء عصره؛ علماء أولياء ربانيون صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ويُشهد لهم بالخير والعلم والصلاح، ومنهم الشيخ

أحمد مرسي النقشبندي العالم الأصولي، والشيخ عبدالله بن الصديق الحسني المغربي العالم الموسوعي، والشيخ الكردي، والشيخ محمد زكي ابراهيم، والشيخ الحافظ التيجاني، والشيخ عبد الحليم محمود، والشيخ الأصولي محمد أبو النور زهير، وآخرين من العارفين بالله دلَّه الله عليهم، فلازمهم وانتفع بصحبتهم.

وكذلك أقامه الله بحبٍّ وشغفٍ وإقبالٍ على الكتب والمكتبات فاقتنى دُررًا زاهيةً بهيَّة من كتب العلم والمعرفة والثقافة والتربية، ومن كتب زاخرة بالتراث الاسلامي والحضاري فحوت مكتبته تصانيف قلَّ أن تجدها في مكتبةٍ سِواها، وجعلها مُشرَعة الأبواب لطلاب العلم والمعرفة من مصر وخارجها؛ لينتفع بها وينفع.

وقد أقامه الله بالأزهر مدرسًا عالمًا يجمع طلاب العلم؛ ليُعيد للأزهر مجدَه التليد على مدى العصور ورسالته الإنسانية في رونقها؛ بعدما أصابها ما أصابها من تشوهاتٍ واضمحلالٍ، فآثر التعليم في الأزهر عن مغريات الوظائف في بلاد الخليج وغيرها.

فأعاد الى أذهان طلابه بالأزهر تدريس الكتب التي انكبَّ عليها طلاب الأزهر الأوائل وعلماء الأزهر الأولياء، فأفادوا فنفعوا وانتفعوا، وأعاد لطلابه في الأزهر ما كاد أن يندثر من الاتصال بالأسانيد العلميَّة في الفقه والعقيدة والتفسير والحديث، حيث إنَّ الإسناد من خصائص هذه الأمة.

وكثيرًا ما تعهَّد طلابًا ليأخذ بأيديهم فيقدِّم لهم ما يحتاجونه من متطلَّبات الحياة؛ ليتفرَّغوا لطلب العلم حتَّى يصلوا الى غايتهم المرجوَّة؛ ليكونوا خيرَ خلفٍ لخير سلفٍ، فكان لهم طيلة أيام دراستهم العلمَ في الأزهر اليد الحامية والأب العطوف، وما كان من طالب علم يقبل عليه شيئًا من متاع الدنيا إنما كان شعاره

﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان:٩] فأقامه الله ليعطي لا ليأخذ.

ولمَّا شغل منصب الإفتاء فما أثناه هذا المنصب وهذه المهام الجسام في تأسيس دار الإفتاء فيما يتلاءم من متطلبات هذا العصر، من تقنياتٍ حديثةٍ وفنٍّ في الإدارة وجمعٍ لفتاوى العلماء ممَّن سبَقوه على رأس دار الإفتاء المصرية -مِن أن يتوانى للحظةٍ واحدةٍ في خدمة طلابه؛ حيث أقامه اللهُ في همَّة عالية منذ الصباح الباكر قبل موعد عمله في دار الإفتاء؛ ليلتقي في طلابه بالجامع الأزهر لتدريس وإحياء أروقة العلم وحِلَق التدريس، والأخذ بأيديهم إلى الله بكلِّ علمٍ نافعٍ من علوم الازهر، ثم يذهب الى دار الافتاء لأداء ما أُوكل إليه من عملٍ وإفتاءٍ وإدارةٍ؛ ليرقى بدار الإفتاء المصرية على المستوى اللَّائق والمطلوب، ولينشئ جيلًا أزهريًّا في دار الإفتاء؛ ليكونوا نماذجَ مشرقةً يحملون الراية على مدى الأيام، وليكونوا خير خلفٍ لخير سلف في العلم والمعرفة والأدب والسلوك، حتى قال فيه بعض علماء العصر ممَّن لهم اطلاعٌ على إنجازاته: لقد أتعبت من سيأتي بعدك؛ لأنه ليس بإمكان أحد أن يأتي بالإبداع الذي أتيت به، وإنشاء هذا الصرح الشامخ العظيم ليكون منارة إسلامية لمصر وغيرها من بلدان العالم الإسلامي، حيث يفِد إليها أعداد من بلدان العرب المسلمين ليستفيدوا من هذه التجربة وهذه الإدارة، وتقام فيها مؤتمرات محليَّة وعالمية فيما يواكب العصر من مستجدات ومن فتاوى معاصرة تواكب الأشخاص والزمان والمكان فيما يخدم مصلحة الدين والمجتمعات الإسلامية، هذه بعض جوانب مقتضبة في مجاله العلمي الذي أقامه الله عليه وخصَّه به.

وأمَّا من الناحية الوطنية والاجتماعية فحدِّث ولا حرج، فلا يخفى على أحدٍ الفتنة التي أصابت مصر والمحنة التي ألَّمت بها ووقفته كالأسد الجسور، وقد حمل

روحه على راحتيه يزأر بكلمة الحق في مواجهة التطرف والإرهاب لا يُبالي الموت في سبيل أمن وطنه واستقراره في كل ميدان، وهذا لا يخفى على أحد.

ولا يبالي بمن حاولوا النيل من حياته، وأن يشوهوا صورته بها روجوا من اتهامات باطلة وادعاءات مزورة، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، وأولياء الله لا خوف عليهم ولا يحزنون.

وحيث إن التصوف هو المرتبة الثالثة من مراتب الدين وقد أدرك بعلمه وتصوفه أن الساحة إذا خلت من التصوف ملئت بالتطرف، فقام بإحياء هذا الجانب بدعوة إلى التصوف العلمي والعملي؛ ليجلو عنه الغبار الذي لحق به من تصوف العامة أو الدخلاء؛ فأقبل عليه الآلاف ليتتلمذوا على يديه في هذا الميدان، ويلقنهم الأذكار بسنده المتَّصل عن شيخه عبدالله بن الصديق الغماري الحسني الدرقاوي الشاذلي طريقة العلماء والمحدثين وأهل الله في التربية والسلوك، فكانت هذه الطريقة تأخذ مسارها مع شيوخ الطرق الصوفية في مجلس الصوفي الأعلى بمصر ليكون شيخًا للطريقة الدرقاوية الشاذلية.

وأما عن دوره في العمل الاجتماعي والانساني فهو يتمثل بعلاقته الواسعة مع شتى شرائح أبناء المجتمع المصري، وما آلت إليه مؤسسة خير مصر وما تقوم به من مساعدات مادية وصحية وتعليمية في شتى مناطق مصر وأقاليمها.

وأما من الناحية الوطنية باهتمامه بالمسلمين وما آلت إليه أحوالهم في بلدانهم، وخاصة القضية الفلسطينية؛ فكانت في مقدمة اهتماماته قضية فلسطين وشعبها، مُشرِعًا أبوابه لكل الوفود الرسمية وغيرها من أبناء فلسطين، بحسن استقبال وكرم وفادتهم، ومساندًا لهم في ثباتهم على الحق وتجذُّرِهم في الأرض، وبما حوت من مقدَّسات إسلامية ومسيحية، شادًّا الرِّحال إلى المسجد الأقصى المبارك تعزيزًا

وتكريسًا وتثبيتًا للعمق العربي والإسلامي وحقِّه المقدس في القدس والمسجد الاقصى المبارك، متوِّجًا زيارته بطباعة ونشر كتاب يهتمُّ بالمقدَّسات الإسلامية في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس.

وكان لي شرف صحبة وفد فلسطيني رسمي من القدس الشريف- ومن بينهم رجل دين مسيحي- فأحسن استقبالهم وأكرم وفادتهم، وقدَّم لكل واحد منهم هدية من بعض كتبه ومؤلفاته في الجانب الروحي والأخلاقي، ومن بينهم رجل دين مسيحي من القدس، ولكنه لما قدم له الكتب قال له: «هذه كتبي لك من أجل العلم». وكانت من لطائفه واحترامه للآخر؛ فسُرَّ رجل الدين بالهدية وبكلام الشيخ معه؛ لما له من مغزى ومعنى فيه دلالة على قَبول الشيخ للآخر واحترام ثقافة الآخر.

أجل إنَّ هذه الخصال وهذه الصفات التي منحَه الله إيَّاها وأقامه عليها، فهي دلالة واضحة من محبة الله جلَّ شأنه لعباده العلماء الأتقياء الأوفياء العاملين أتباع الرسل وروَّاد الخير أن جعلهم ورثة الأنبياء في كلِّ خيرٍ يجلب للإنسانية، ويدفعون كل شرٍّ يُعادي شرع الله ونظامه، ورثة الأنبياء في الأعمال قبل الأقوال، ورثة الأنبياء في الفكر السليم والبحث الدقيق والمنهج السَّوي.

تراهم إن وجدوا في زماننا هذا يؤثرون على أنفسهم ملذات الدنيا بملذات الآخرة، لأنهم ورثة الأنبياء، وهذا صنيع الأنبياء يشقون من أجل إغاثة ملهوف، وتعليم جاهل، وإنقاذ أمة بوحي ربِّ السماء، لقد علموا وفكروا وتدبروا.

إن الله خلق الإنسان وخلق فيه العقل والفكر، وبهذا العقل يدرك العالم وظيفته الحقَّة وعمله؛ لأنه لا بد أن يكون للناس إمامًا في الفكر والعلم والثقافة والقوة، ينقاد الناس له رغبة ورهبة وعلى مستوى العالَم؛ لأن رسول الله ﷺ رسول للعالم

وعلى مستوى عقول العالَم، وأعظم من ثقافة العالم، ليفنِّد الخطأ ولا يقرَّ غير الصواب، ويثبت الصحيح ويصحِّح الغلط بفكرٍ نيِّرٍ لا يعرف الغلط؛ لأنه وريث من لا ينطق عن الهوى رسول الله ﷺ مُصحِّح الأفكار ومبيِّن للناس ما ينفع الناس.

فرسول الله أعظم شجاع في الدنيا؛ يجب على العالم الصادق أن يكون كذلك، رسول الله أكرم إنسان في حياته كلها؛ يجب أن يكون الوارث كذلك، رسول الله يحمل خلقًا عظيمًا بشهادة الله له، فإن غابت عنك ذاته الكريمة فلم تغب سيرته العظيمة، فكأنك تراه رأي العين، هذا وغيره مما يقوم الحياة حياة الإنسان، ميراث يرثه الصالحون عن رسول السلام، فيقذفونه في قلوب العاملين المشيدين للقيم والحياة بالمعارف الحقَّة التي تعزُّ المجتمع وتعلي من شأنه، وتحليه بالعلوم الصافية التي تدفع عن حياض المسلمين البلاء والفتن.

إن المسلمين لا يصابون بفكرهم ولا بثقافتهم ولا بقوتهم ولا بصلاتهم ولا بجهادهم ولا باقتصادهم ولا بطاعاتهم ولا بأعمالهم ولا بأخلاقهم ولا بتفرقهم ولا بنزاعاتهم؛ إلا حين يصبح علماؤهم مساوين لجهَّالهم في أخلاقهم وتدابيرهم، وغياب ميراث الرسول ﷺ عنهم عمليًّا.

إنَّ ورثة الأنبياء يتحسَّسون أحوال العالم ويوجدون لها حلولًا، لأنَّ المورِّث صلوات الله وسلامه عليه دعا لهم بالفهم لا بالحفظ «اللهم فقهه في الدين» لعلاقة الفهم بالعقل، وبهذا تصبح محبتهم والتعلُّق بهم دين يدان به.

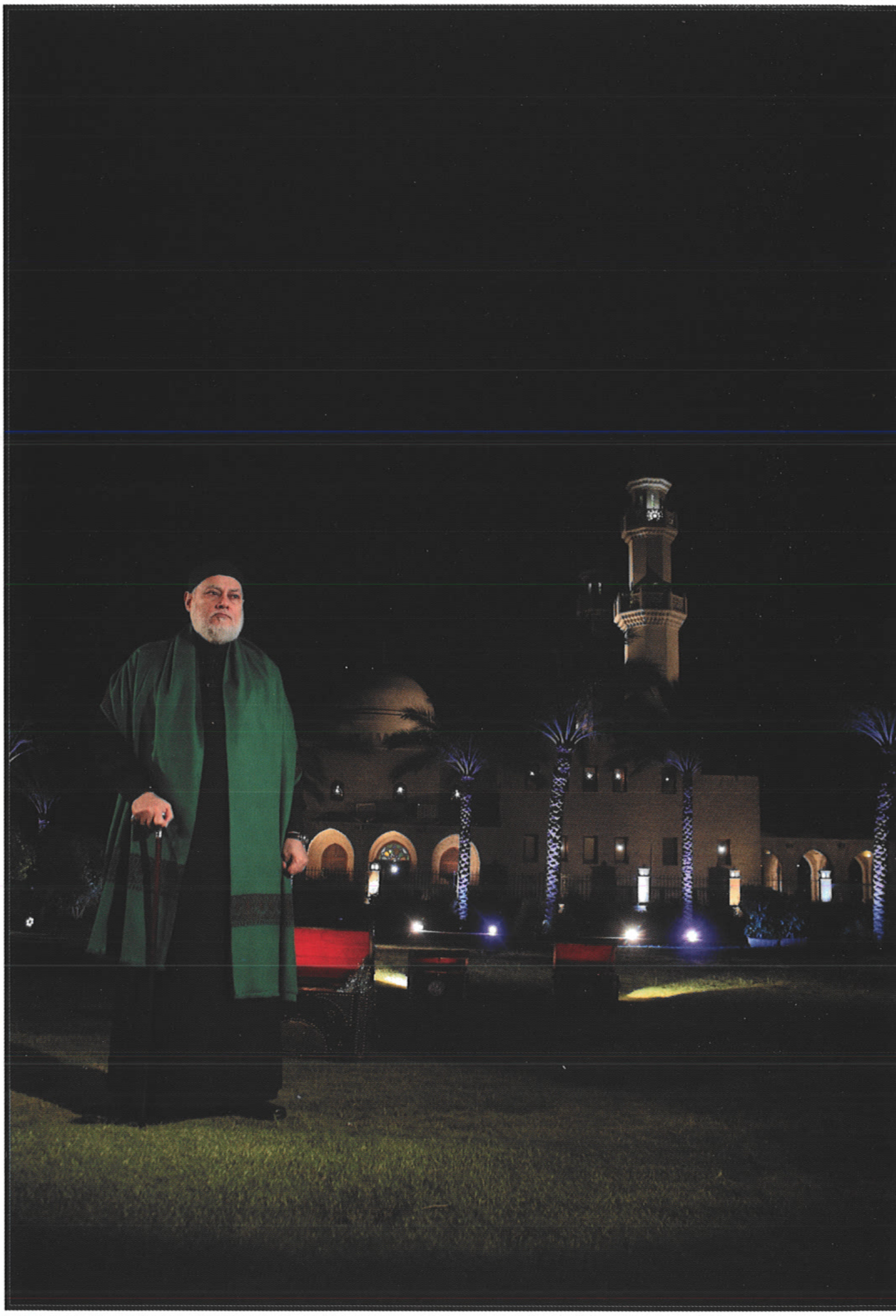
إن الكرة الأرضية تعذَّب وستُعذَّب حتى تعود أخلاق الرسل وميراثهم إلى الأرض ويغشاها ميراثهم فتشم رائحة السلام والسلامة والعافية.

وهذه المعاني والصفات والمُثل والتي ذكرناها عن وراثة الأنبياء الذين «لم يورِّثوا

درهمًا ولا دينارًا إنما ورَّثو العلم» ووَرَّثوا لنا القدوةَ والمثل والهدى فيمَن أقامهم الله على خُطى الأنبياء وورثتهم العلماء الأولياء من أمة سيدنا محمد ﷺ، حيث أمرنا الله عز وجل أن نكون في معيتهم، فقال عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾وقال أهل الله: إن تقوى الله وحدَها لا تنفع فلابد من صحبة العالم الولي الصالح، الذي ينهضُ بك حالُه ويدلُّك على الله مقالُه. إنَّه الوارث المحمدي سيدي ومولاي فضيلة الاستاذ الدكتور نور الدين علي جمعة الذي خَطى في حياته خُطى الأولياء الصالحين والعلماء العالمين العارفين، فكان مدرسةَ هدى، وساحة علمٍ نافع، وعمل بنَّاءٍ مثمرٍ للأَجيال المتوالية والمتلاحقة في خدمة البلاد والعباد ونصرة الحق والعدل والسلام ورفعة شأن وطنهم وأمتهم والذود عنه، ورجل ذو همَّة يُحيي به الله أمة.

زادَ الله في عدد ومدد شيخنا وأستاذنا العارف بالله سيدي الشيخ علي جمعة، أمدَّ الله في عمره وأجرَى الخير على يدَيه، ومنحَه الصحة والعافية، وجعله الله مفتاح خيرٍ ومغلاق شرٍّ، وخير خلفٍ لخير سلف في هذه الأمَّة، وأعزَّ الله به الإسلام والمسلمين.

***



الفتوحات الإلهية في الخصائص العلوية

بقلم د. محمد حسن



مدرس الدراسات الإسلامية
كلية التربية جامعة عين شمس

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ.

ليس في الإمكان صوغ خصائص العظماء التي تعكسها وقائع حياتهم وإنجازاتهم الكثيرة المتكاثرة في عباراتٍ مهما تطاولت ألفاظها لا تفي تعبيرًا بأقل القليل ولا أقل منه؛ فإن من مسلمات العقول أن الموسَّع لا يدخل في المضيق.

ولقد اجتمعت لصاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة من منح الرحمن- جل في علاه - خصائص فريدة وسمات عزيزة بوأته مراقي الفلاح وصعدت به قمة مدارج السالكين؛ ليكون باب المريدين المشتاقين إلى رب العالمين، وانضم إلى ذلك ما فتح الله به عليه من المعارف والمواهب حتى صار علامة الديار بلا مدافع ومقدم الشيوخ بلا منازع، وهذا إجمال يعقبه التفصيل.

في مستطاع الراصد لمسيرة الشيخ أن يطالع خصائص ثلاث، تعد من أبرز عوامل التميز والتقدم في هذه المسيرة المباركة:

الخاصية الأولى: قيام سبب التصدر وتحقق شروطه:

هذه الخاصية هي طريق العالِمية والعالَمية، وسبيل ما آل إلى الشيخ من أمر الإفتاء محليا وعالميا على المستويين الرسمي وغير الرسمي.

فلقد اجتمع لدى الشيخ تمكن تام من العلم الشرعي بجميع فروعه، مع خبرة تامة بالتراث الإسلامي، وقدرة على التعامل مع هذا التراث بعقل واعٍ ومنهجية

علمية منضبطة قَلَّ أن تجتمع في أقرانه، وقد حصل لكاتب هذه السطور وأقرانه من حضور دروس الشيخ في علوم الشرع والاستماع إليها وإلى أجوبته عما يرد عليه من أسئلة متعلقة بما في كتب التراث من مواضع تُمَثِّل إشكالات لدى السائل- الاعتقادُ الجازم بامتلاك الشيخ ناصية التراث فهما ووعيا، وما زلنا نَرِدُ إليه بما لدينا من إشكالات واضطراب، ثم لا نلبث إلا وقد صَدَرْنا عنه وقد زال الإشكال وقرت الأعين بالجواب، ولا زلت أذكر وأنا جالس بين يدي فضيلته أعرض عليه نتائج رسالتي في الدكتوراة بعد أعوام من البحث وقبل تقديمها للحكم - وكانت تجمع بين الأصول والفقه في موضوع العُرف، والشيخ يُصوب ويُعدِّل وكأنه درس ذلك الموضوع المخصوص بعينه دراسة واعية، وكأنَّ مسائله تقعيدًا وتطبيقًا حاضرة في ذهنه ماثلة أمام عينيه.

ولقد تولَّد عن هذا الوعي وتلكم الخبرة- مع ما فتح الله تعالى على الشيخ به من العقلية التقعيدية- مهارةٌ غير مسبوقة في استلهام النظريات من التراث؛ استكمالا لما قام به الأوائل من جهود تقعيدية لتذليل العمل الفقهي على أربابه، غير أن نظر الشيخ في ذلك كان إلى ما هو أبعد؛ إذ تَتَوَّجَ غرضُه باستنطاق التراث بما يواجه به مشكلات الواقع، ويرفع الحرج عن المكلفين.

ثم إنه قد اجتمع للشيخ- مع ذلك التمكنِ من التراث- معرفةٌ عجيبة بالواقع في أدقِّ تفاصيله، حتى إنه يغلب على ظني أن الشيخ يُخصص من وقته ما يطلع فيه على ما كتب في فروع المعرفة ومستجدات الواقع في شتى المناحي بما يؤهله إلى تلك المعرفة التي لم نرها في غيره مما تلقينا عنهم أو قابلناهم وسمعناهم من أهل العصر، ولقد حدث في إحدى الدروس أن اعترض أحد المختصين في الفَلَكِ على ما ذكره الشيخ في الدرس مما يتعلق بمواقيت الصلاة، فأخذ الشيخ يبين له الواقع

بيانا مدعوما بالشواهد المستمدة من الجغرافيا والفلك حتى ظهر للجالسين خطأ المعترض وصواب ما قرره الشيخ، ومما يؤكد ذلكم الظن أنه ما زالت تُعْرض أمامنا على الشيخ استفتاءات في قضايا لم نسمع عنها لحداثتها، أو ارتباطها بما لم نطلع عليه من العلوم، أو حتى من مستجدات الواقع الحياتية فيجيب عنها جواب الفاحص الدارس، وإذا عُرض عليه ما يتعلق بما لم يطلع عليه أرجأ الجواب لحين الاطلاع.

وبالإضافة إلى ذلك التمكنِ وتلك المعرفةِ؛ وهبه الله تعالى القدرةَ على ربط الواقع بالتراث، وتوظيف التراث توظيفًا واعيًا في حل مشكلات الواقع، بحيث إنه قد استطاع أن يوظف ذلك الموروث الفقهي والأصولي الناضج الذي خدمته أجيال من علمائنا المخلصين في التعامل مع قضايا الواقع ومسائله، وتنزيل كل حادثة على ما تندرج تحته من أحكام الشرع وواقعه إلحاقًا واعيًا للجزئيات بكلياتها ناتجًا من دقة الفهم وحسن التصور، حتى إنه قد استطاع بفهمه الواعي أن يُحوِّلَ الموروث التاريخي المتعلق بحياة النبي ﷺ إلى نماذج حية يعيشها الإنسان المعاصر، ويتمثل فيها حال النبي ﷺ في تعامله مع الخلق بما يرفع عنه الحرج من ناحية ويحفظ له دينه وعقيدته من ناحية أخرى.

وهذه الصفات الثلاثة المتقدمة هي شروط التصدر التي لا تطيب ثمارها إلا بأن ينضم إليها النظر السديد في إدراك المآلات والوعي التام بمقاصد الشريعة المطهرة، وهو ما كان للشيخ فيه الحظ الأوفر والنصيب الأكبر، حتى إنك لا تكاد تسمع له فتوى أو رأيًا في قضية مهما كانت خطورتها وشدة الاختلاف فيها إلا وتجد له مستندًا شرعيًّا وإن خفي على الفحول من غيره، ثم تجدها على قرب أو بعد بحسب ما يفتح الله تعالى به هي الأنسب لواقع الناس ومصالحهم والأكثر

التصاقًا بمقاصد الشريعة.

ومع اجتماع شروط التصدر السابقة وقيام سببه الذي هو الهيئة الاجتماعية للهمة العالية والنظر الثاقب والفهم الواعي والذكاء الوقاد والنظر البعيد، المتوج ذلك كله بالمدد الرباني والعطاء الرحماني، مع توفر ذلك كله حُقَّ للشيخ أن يكون علامة الديار بلا مدافع ومقدم شيوخها بلا منازع.

الخاصية الثانية: التشبع بالحب والتجرد من الحول:

حيث وهب الله تعالى للشيخ وظيفة التربية في مرحلة مبكرة من حياته بعد أن تلقى الطريق على شيخه مجتهد الدين والدنيا الحافظ أبي الفضل عبدالله بن الصديق الغماري في بدايات القرن الخامس عشر الهجري عن أبيه قطب الدنيا سيدي محمد بن الصديق الغماري، بالإضافة إلى ما مَنَّ الله تعالى به على الشيخ من تلقي الطريق عن سيدي الأستاذ الشيخ محمد زكي الدين إبراهيم بسنده، وعن سيدي الأستاذ الدكتور حسن عباس زكي عن فضيلة الشيخ عبدالفتاح القاضي بسنده، وكلهم تابعون متبعون سائرون على طريقة سيدي أبي الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى، فصبت كلها في مشرب واحد، وسارت في مسار واحد، وكانت نورًا على نور.

وقد اجتمع للشيخ في سلوكه ثم في تربيته لأبنائه من بعدُ: التشبعُ بالحب والتجرد من الحول، فلا زال ينبه على أن الحب ينبغي أن يكون هو الأساس في معاملة الخلق والخالق جل وعلا، وأن يكون الزمام الموجه للسلوك الإنساني في مواقف الحياة المختلفة، بحيث يكون- على حد تعبيره - النظارة التي يرتديها المسلم في تعامله مع الشرع وفي علاقته مع الله تعالى ورسوله وفي سيره وسلوكه.

ثم إن الشيخ لا يفتأ في درس أو موعظة أو محاضرة أو لقاء أن ينبه كذلك على

أن الأساس الثاني في العلاقة بالنفس والعلاقة بالخالق هي اعتقاد التجرد من الحول وقصر القوة والحول على مالك الملك الذي إليه يُرجع الأمر كله.

وهدف الشيخ من التربية- كما أخبرنا هو بنفسه- النصيحةُ والحمايةُ للسالك من أن يضل في طريقه إلى الله تعالى، وأساسُ طريقته في التربية -كما أخبرنا كذلك - الذكرُ والفكر مع التقيد بالكتاب والسنة.

ومما لاحظناه أن مبنى طريقة الشيخ على التيسير، فإنه يختار التيسير في كل شيء ما دام مشروعا ملائما، فإن كان المريد بين طريقين مأذون فيهما، قال له اختر ما ترتاح إليه نفسك، ولو كان ترجيح الشيخ لشيء آخر، ومن اختياره التيسير أنه كان في بداية اشتغاله بالتربية ينصح مريديه بالصلاة على النبي ﷺ - وهي من أسس الطريقة - بما ورد في كتاب (كنوز الأسرار) الذي حققه الشيخ القاضي، ولما كثر الأتباع ووجد فيه صعوبة عليهم مع ما يحويه من ألفاظ ومصطلحات لا يتيسر لهم فهمها صار ينصح بكتاب (دلائل الخيرات) واعتنى به وأمر بتصحيحه على النسخ المعتمدة وطبعه ووزعه على القاصي والداني.

الخاصية الثالثة: خدمة الخلق (تَمَثُّل وظيفة العمران):

وعى الشيخ منذ حداثة سنه ومهاد شبابه أن العمران مقصد من مقاصد الخلق، وأن خير العمل المحقق لمقصد العمران نفعُ الناس، فكان مما مَنَّ الله تعالى به عليه أن أقامه في خدمة الناس، وهذه الخدمة في نظري لها مظاهر ثلاث:

أحدهما: الخدمة الدينية المتمثلة في الإرشاد والنصح، ويدخل في ذلك اشتغاله بالتدريس والإفتاء، وقد كتب الله تعالى له في التدريس اجتماع طلاب العلم حوله منذ أن بدأ التدريس في منتصف النصف الثاني من القرن الماضي، وحتى فتح الله تعالى على يديه أروقة الجامع الأزهر في مطلع القرن الواحد والعشرين بعد أن

تعطلت حينا من الدهر عن القيام بوظيفتها العمرانية.

وقد كان من هذه الوظيفة ما تأهل له من خبرة بالتراث استطاع أن يوظفها في حل مشكلات الناس متمثلا مبدأ الشريعة الغراء في رفع الحرج عن المكلفين، وقد تكبد لهذين الأمرين من المشقة في طلب العلم والتحصيل والمذاكرة والحفظ والدرس ما الله به عليم.

الثاني: الخدمة الدنيوية المتمثلة في خدمة المجتمع المدني على كافة المستويات الصحية والتعليمية والاقتصادية والاجتماعية بما تَحَمَّله الشيخ من إدارة جمعية من أكبر جمعيات الخدمة المدنية، وهي مؤسسة مصر الخير، وجهوده فيها من أجل خدمة المجتمع أكثر من أن تعدها هذه الأسطر القليلة، ومن أراد التفصيل فليراجع المشروعات العظيمة التي أبرمها الشيخ مع الوزارات والمؤسسات لخدمة المجتمع وأفراده على المستويين المحلي والدولي.

الثالث: تقديم العون لكل من يلجأ إليه من الأفراد، عرفه أو لم يعرفه، مع اهتمامه بطلابه، وحرصه على تذليل أمورهم، ودعمهم الدعم المادي والمعنوي، حتى بلغ من ذلك أن يخصص لبعضهم رواتب شهرية للإعانة على طلب العلم ومواجهة الحياة، وهو في ذلك أب حنون ومعلم رفيق. وقد نالني من ذلك أني توسطت لديه في حاجة لزميل لي أرادها من جمعية مصر الخير، فلم أزل كلما واجهت هذا الزميل مشكلة أراجع الشيخ وهو لا يكل ولا يمل ولا يألو جهدا في تقديم العون بما يستطيع حتى قُضيت حاجة الرجل بأمر الله تعالى، ولما بلغ الشيخ عند ذهابي للحج لأول مرة أنني قد واجهتني مشكلة مادية لم يتردد في تقديم العون وقتها بما لا يفعله إلا أصحاب الهمم العالية.

فتحصل لدينا مما شاهدناه وعايَنَّاه مع فضيلته مما لا تفي في إجماله ولا تفصيله

السطور أنه العالم المربي، الذي أقيم في خدمة الناس، فنسأل الله تعالى أن يبارك في عمره وأن ينفع الأمة ببركته وأن يمن علينا بدوام صحبته مع الحبيب المصطفى والنبي المجتبى ﷺ.

والحمد لله رب العالمين.

***

واصل الرحم صاحب الوراثة المحمدية

بقلم د. محمد رجب ديب



نائب رئيس جامعة بلاد الشام سوريا - خليفة شيخ الطريقة النقشبندية في بلاد الشام

الحمد لله الذي جعل أولي العلم خير العباد بعد الأنبياء والمرسلين، فقال:

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]، ونصلي ونسلم على الحبيب المصطفى المعلم سيدنا محمد النبي الأمي، الذي جعل العلماء ورثة له يسيرون على نهجه ويتابعون سيرته لصناعة خير أمَّةٍ أُخرجت للناس، صلوات الله سبحانه وتعالى وسلاماته عليه وعلى آله نجوم العلم والهدى، وأصحابه بدور السعادة والندى، وعلى تابعيه بالإحسان والهداية إلى يوم الدين، وبعد:

فقد روى لنا أبو بَكرَةَ ﵁ أنَّ رجلًا قالَ: يا رسولَ الله أيُّ النَّاسِ خيرٌ؟ قالَ: «مَنْ طالَ عُمُرُه وحسُنَ عملُه»، قال فأيُّ النَّاسِ شرٌّ؟ قال: «مَن طالَ عُمُرُه وساءَ عملُه»(١).

وإنما يتجلَّى حسْنُ العمل بطيب الأثر الماثل في الحال والظاهر في العُقبى والمآل، وهذا ما يقف عليه الباحث والدارس في سِير وتراجم كثيرٍ من السلف الصالح ﵃، وما كان فضل الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة لينحصرَ في زمنٍ دونَ زمنٍ أو قرنٍ دونَ قرنٍ، وقد ورَد فيما صحَّ معناه دون لفظِه «الخير فيَّ وفي أمَّتي إلى يوم القيامة»(٢).

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٤٢:٣٤، رقم ٢٠٥٠٤)، والترمذي في سننه (١٤٤:٤، رقم ٢٣٣٠).

(2) قال الإمام السخاوي: قال شيخنا الحافظ ابن حجر: لا أعرفه ولكن معناه صحيح. يعني في حديث «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» خ م. المقاصد الحسنة، ٤٦٩:٣٣٧.

ومن هذا الخير وجود العلماء العاملين والمربين المرشدين والمزكِّين على مرِّ الزمن؛ يأخذون بأيدي الناس - كلِّ الناس، لا المسلمين فقط- إلى دروب الهداية والسعادة، ينقذونهم من براثن الجهل والشقاء والبعد عن الله سبحانه وتعالى؛ إمَّا بجهدٍ شخصي، أو من خلال مؤسسات علميَّة إيمانية وتربوية كالأزهر الشريف في مصر المعمورة، ومجمع الشيخ أحمد كفتارو في سوريا المبرورة.

ويأتي في طليعة علماء العصر في القرنين -الحاضر والمنصرم- عَلَمٌ من أبرز أعلام الأمة والدين، سماحةُ الشيخ علي جمعة حفظه الله سبحانه وتعالى ورعاه، مَن نذَر عمره وحياته لخدمة الدين الحنيف، ونفع البلاد والعباد في أمر الدين والدنيا والآخرة.

معرفتي بسماحته:

كان لي شرَف التعرف إليه لأول مرَّة عندما زارنا في دمشق يوم الأحد ١٩ أيلول سبتمبر ٢٠٠٤ ليقدِّم العزاء بوفاة سماحة المفتي العام الشيخ الدكتور أحمد كفتارو - رحمات الله عليه - وتبع ذلك لقاؤه للمرة الثانية في دولة الإمارات العربية في برنامج المحاضرات الرمضانية الذي تقيمه دولة الإمارات بضيافة أمير البلاد، كما التقينا لقاءات أخرى، كان أهمها وأبرزها وخاتمتها اللقاءُ الكبير والغني في مكتبه - حفظه الله سبحانه وتعالى- عندما كان مفتيًا للديار المصرية، وذلك عام ٢٠١٢، إذ كنت في خدمة سيدي وشيخي ووالدي فضيلة الشيخ الدكتور رجب ديب رحمات الله عليه.

لقاء متميز:

شاء الله سبحانه وتعالى لنا في شهر تشرين الأول أكتوبر عام ٢٠١٢ أن نزورَ مصر، وما كان هدف اللِّقاء من الزيارة إلَّا نوعين من صلة الرحم:

- صلة الرَّحم في الإيمان والعلم والأخوة في الله سبحانه وتعالى، وأهمها على الإطلاق اللقاء مع سماحة الشيخ علي جمعة مفتي الديار المصرية حفظه الله ورعاه.

- صلة الرحم في النسب وذلك لابنتي أي حفيدة شيخي (نور الهدى) وصهري السيد (أسامة النابلسي) وولديهما (محمد وسارة)، ونزلنا بضيافة صهري العزيز.

التقَينا سماحة المفتي في مكتبه وقد استقبلنا أطيب استقبال؛ استقبالًا لا يصدر إلا عن أهل الفضل لأهل الفضل، كما قال سيدنا ابن عباس: «إنَّما يعرف قدر أهل الفضل ذووه»(١).

دار الحديث بين العلمين العالمين الجليلين حول أمور الدعوة والعلم وأوضاع الأمة، وكان سماحة المفتي يشغله شؤون كثيرة داخلية وخارجية وعلمية؛ كالتأليف والمحاضرات والندوات التي تقام هنا وهناك للاستفادة من علمه الثرِّي، وكان هذا ربما يحدُّ بعض الشيء من نشاطه الدعوي، فقال له شيخنا يومئذ بشأن الدعوة وتعليم ذكر الله للمسلمين «أنتم أهل فضل وعلم يجب أن يعمَّ علمُكم وفضلكم البلاد والعباد» فقال سماحة الشيخ علي: «عندما تأذنون لنا يا سيدي». فقال شيخنا: «إنما جئت إليكم لآذن لكم بذلك، وقد أذنت لكم، وأنتم أهل لكل ذلك».

وبعدما انتهى اللقاء وودَّعَنا سماحتُه، صحبَنا الشيخُ الحبيبُ الدكتور أسامةُ السيد الأزهري إلى دار نشر في المقطم؛ تقوم على الاهتمام والاعتناء بتراث سماحة المفتي الشيخ د. علي جمعة، وتجوَّلنا فيها، وحظينا منها على بعض مكتوباته ومحاضراته حفظه الله ورعاه.

(١) تاريخ بغداد، ١٦:٢٢٤، رقم ٧٤١٩.

بين محبٍّ ومبغض:

قال ابن مفلح المقدسي عليه رحمة الله: «قال موسى صلوات الله عليه: يا رب إنَّ الناس يقولون فيَّ ما ليس فيَّ، فأوحى الله إليه: يا موسى: لم أجعل ذلك لنفسي، فكيف أجعلُه لك»(١).

وقال ابن عبد البر: [الطويل]

فلستُ بناجٍ من مقالةِ طاعِنٍ ... ولو كنتُ في غارٍ على جبلٍ وعِرِ
ومن ذا الذي ينجو منَ النَّاس سالمًا ... ولو غابَ عنهمْ بينَ خافيتي نسرِ

وقال بشَّار:

ومَن ذا الَّذي تُرضى سَجاياهُ كُلُّها ... كَفى المَرءَ نُبلًا أَن تُعَدَّ مَعايبُهْ

ولا يَعدُّ المعايب محبٌّ، والمحبُّ لا يرى في محبوبه إلا الكمال، وأما أهل العيب فيتتبعون العيوب، متناسين قول الإمام مالك: «كلُّ أحدٍ يؤخذُ مِن قولِه، ويُترَك إلا صاحبَ هذا القبرِ»(٢).

ويكفي المتتبِّعَ لعيوب أهل العلم قولُ النبي ﷺ: «يا معشر من آمنَ بلسانهِ، ولَم يدخُلِ الإيمانُ قلبَه: لا تغتابوا المسلمِين، ولا تتَّبِعوا عوراتِهم، فإنَّهُ مَن يتَّبع عوراتِهم يتَّبع الله عَورتَه، ومَن يتَّبع الله عورتَه يَفْضَحْه في بيته»(٣).

(1) الآداب الشرعية، ٧: ١-٨، ونحوه في (قوت القلوب لأبي طالب المكي، ٢: ٣٠٩)، و(سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي، ٢٢٩)..

(2) سير أعلام النبلاء، ٨:٩٣.

(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٢٣:٢٠، رقم ١٩٧٧٦، وأبو داود في سننه، ٤: ٢٧٠، رقم ٤٨٨٠، عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه.

والذي يتتبَّع أهلَ العلم والفضل ليكشِف هفواتهم إنَّما هم الحسَدَة والمبغضون، ورحم الله أبا الأسود الدؤلي إذ يقول: [الكامل]

حَسَدوا الفَتى إذ لَم يَنالوا سَعيهُ ... فالنَّاسُ أعداءٌ لَه وخُصومُ
كضرائِر الحَسناءِ قُلنَ لوجهِها ... حَسدًا وبغيًا إنَّه لذَميمُ

وبناء عليه فإنَّه ما من وارثٍ نبويٍّ منتجٍ خلا من الحُسَّاد والمبغضين والمعادين، ولا نعني المبغضين إن كانوا غير مسلمين؛ لا أبدًا فأولياء الله والعلماء العاملون لا يأبهون ولا يلتفتون إلى أولئك ولا إلى غيرهم؛ لأنهم يعلمون ما هم عليه، ولكننا نعني أولئك المسلمين الذين قد يكون بعضهم من العلماء، كيف يتجرؤون أن يقعوا في غيرهم من أهل العلم بالغيبة والتنقيص والاعتراض وربما بالتكفير، مبيحين لأنفسهم إصدار الأحكام على غيرهم رافضين مجالسة من يحاربون ويعادون ومناقشتهم بالحسنى إن كان لديهم دليل.

هذا الحال لا يخلو منه عالم عامل ولا ولي واصل، ولا داعٍ منتج ولا عارف بالله جعل كلَّ سعيه «إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي».

وهذا حال سماحة المفتي الشيخ الدكتور علي جمعة حفظه الله ورعاه، فكما له من المحبين والأتباع الذين يُفدُّونه بأرواحهم، فكذلك له من المعادين والحاسدين من أبناء الدين من يشنِّعون عليه كما شنَّعوا على غيره من أهل الفضل والعلم والدعوة، إنَّها سنة الله سبحانه وتعالى في أوليائه وأصفيائه، فما خلا عالم مصلح ولا ولي عارف من ذلك، فهذا الإمام أحمد بن حنبل، وهذا ابن الجوزي، وهذا سماحة شيخنا مفتي الديار السورية الشيخ أحمد كفتار، وشيخنا الشيخ رجب ديب، كم وكم عاداهم بعض المتدينين وكفَّروهم وحاربوهم؛ بل واستحلوا دماءهم، ولكن كيف سيرفع الله سبحانه وتعالى درجات أوليائه عنده؟ بصبرهم وحلمهم

وعفوهم، لا بل وإنهم ليَدْعون لَمن يُعاديهم بتمام الهداية والصلاح، ولا يدنِّسون ألسنتهم بالدعاء على أحد من أولئك.

وإني أقول على ما قد بلغني عن سماحة المفتي الشيخ الدكتور علي جمعة أنه لا يحب أن يخوض في أمر أغناه الله سبحانه وتعالى عنه، فشغله بالله وذكرِه وبالعلم والدعوة يشغله عن ذلك، ولا يرى وقتًا يضيعه في ذلك- إنَّها الوراثة، نعم إنها الوراثة، ألم يقُل الحبيب الأعظم ﷺ «اللَّهم اهْدِ قومي فإنَّهم لا يعلمون»(١)، إنها الوراثة، نعم ألم يقل الحبيب الأعظم ﷺ لمن أخرجوه وحاربوه وحاولوا قتله: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»(٢).

من ثمارهم تعرفونهم:

تلامذته، كتبه، محاضراته، مشاركاته في المؤتمرات وغير ذلك.

إذا أردت أن تعرف إنسانًا ما فانظر إلى أثره، وقد قيل: المخلِص لربِّه كالماشي على الرَّمل لا تسمَع خطواتِه ولكن ترى آثاره.

وقال الشاعر: [الخفيف]

تلك أثارنا تدلُّ علينا ... فانظروا بعدنا إلى الآثار(٣)

مَنْ مِنَ المسلمين اليوم لم يستمع إلى محاضرات هذا العلم العالم الجليل على شاشات التلفزة وعلى وسائل التواصل الاجتماعي؟ وانظروا إلى مشاركاته التي تكادُ لا تعدُّ ولا تحصى في المؤتمرات الإسلامية في أرجاء الدنيا، ثم انظروا إلى الذين

---

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ٣: ٤٥، رقم ١٣٧٥.

(2) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ٩: ١٩٩، رقم ١٨٢٧٥.

(3) حلية البشر في أعيان القرن الثالث عشر، ٥٠٨، عبد الرزاق بن حسن البيطار، ذكره في ترجمة الشيخ حسن بن الشيخ علي بن قويدر الأزهري الخليلي، من شعره..

امتنَّ الله سبحانه وتعالى عليهم بمجالسته وأخذ العلم والمعرفة والتربية عنه.

إنَّه العالم الرباني الذي جمع التربية والتزكية إلى جانب العلم والمعرفة، فسعى إليه طلاب العلم من هنا وهناك، ولاذوا بمجالسته ينهلون من معينه الصافي ما يُسعدهم في دنياهم وأخراهم.

سبعون عامًا مضَت من عمر هذا الوارث النبوي أمضاها في العلم والعمل والدعوة والتربية والتزكية، ولا يزال يتابع ويستمر؛ لأنَّه أراد الله سبحانه وتعالى أوَّلًا وآخرًا، ثمَّ إنَّه على نهج السلف الصالح الذين ما كان أحدهم يعرف ما يُسمَّى اليوم بالتقاعد -الإحالة إلى المعاش- فأولياء الله لا يعرفون التقاعد عن العمل؛ لأنَّه تقاعس عن متابعة المسير إلى الله سبحانه وتعالى.

سبعون عامًا مضت جُهدًا وجهادًا وعملًا دؤوبًا فأثمرت كُتبًا ومجلداتٍ؛ كما أثمرت دروسًا ومحاضراتٍ، كما أثمرت طلابًا وطالباتٍ ومريدين ومريداتٍ في كثيرٍ من دول العالم، ناهيك عن المؤتمرات التي كان فيها صاحبَ الكلمة المؤثِّرة والفكرة اللَّامعة.

سبعون عامًا كانت على خُطى الحبيب ﷺ اقتفاءً لأثره، وسيرًا على نهجه بالعلم والذكر والسلوك والتعليم والتربية؛ لأنَّ الغاية بعد إرضاء الله سبحانه وتعالى إدخالُ السرور على قلب الحبيب ﷺ ولقاؤه في مواقف القيامة وصحبتُه ومعيَّتُه في أعالي جنَّات النعيم.

بارك الله بعمرِكم يا سماحة المفتي المكرَّم، أمدَّكم الله سبحانه وتعالى بتمام الصِّحَّة والعافية ونفع بكم وبعلمِكم دائمًا وأبدًا أينما حللتُم وحيثما ارتحلتُم، وزادَكم قوَّةً على قوةٍ، ودمتم نبراسًا يُحتذى ونورًا بضيائه يُهتدى، فأنتم بإذن الله سبحانه وتعالى كنتم وستَبقون على نهج الحبيب المصطفى ﷺ، والأمل بالله

سبحانه وتعالى أن يجمعنا دائمًا على ما فيه مصلحةُ البلاد والعباد ولو كرِه الكارهون، ووقَف في الطريق المعاندون، فالثقة بالله سبحانه وتعالى أوَّلًا وآخرًا، والمبتغى رضاه ولو كره من كره.

***

الولي المهاب عالم العلماء وإمام النجباء

بقلم د. محمد عبد الرحيم بيومي

إهداء القصيدة



عميد كلية أصول الدين - الأزهر الشريف - الزقايق - مصر

إلى التقي النقي الولي المهاب، إلى الشيخ المربي الذي له فصل الخطاب، إلى من أتيناه من باب ففُتِح لنا به ألف باب، إلى سيدنا وشيخنا الأستاذ الدكتور علي جمعة عبد الوهاب، عالم العلماءِ وإمام النجباءِ، مفتي مصرَ، عالي الذكرِ، الواسع الفكرِ، صاحبُ المؤلفات الرائعةِ، والتصانيف البارعةِ، والأحاديث الجامعة، والأخلاق الكريمة الواسعةِ، والأعمال البيضاء الناصعةِ، الصوفي ذو النفس الزاهدةِ، والأفكار الراشدةِ، والخيرات المتعددة، والأحوال والمقامات الرائدة، صاحبُ الحياة الشريفة، والأفعال النظيفة، واليد العفيفة، والآداب الظريفة، العالمُ الفاضلُ صاحب اللحظة اللطيفة، وصاحب البيان لما يشغل الأذهان، ذو المنطق السويِّ في الطريق إلى التراث الإسلامي، إمامُ العصرِ، ومبدع الكلام الطيب، وسمات العصر، داحضُ المتشددين في كتابه المتشددون، وناقد الغلو، وناقض التشدد والسفه، وواضع كتابي: الأوامر والنواهي، وعلاقة أصول الفقه بالفلسفة، إلى جهبذ الفقهِ وأصوله، العليم بأبوابه وفُصُولِه، سيدي: لكم حبي وتوقيري، وشعري، وتقديري، وفي رحاب حبكم وفضلكم أقدم قصيدة ازدانت بنوركم، ففيكم أذيع مناقبكم وألتمس، ومن فيضكم أقول وأقتبس:

على قمةِ الإسلامِ أنتم وسيدُ جليلُ لكم كلُ الرقاب تواضعتْ
عليَّ عَلَوْتُم فوق كُلِّ شوامخِ بعلمِ وإيمانِ وذاتِ ترفعتْ

سَمَوْتُم بدينِ اللهِ واللهُ عالمُ ... بنفسٍ لعزِ الحقِ والدين قد دعتْ
سعيتم بِكُلِ الخيرِ للهِ دركم ... وأجمل بسعيِ والخطوبُ تكاثرت
وناديت بالتيسير والحبِ والتقى ... وبالعدلِ رؤياكُمْ بِعلم تسلحت
وباللحظةِ العليا اللطيفة سيدي ... فكلُ خلافاتِ بها قد توقفت
رسمتُم لنا بالفقه دربا مؤزرا ... يشعُ بأنوار عظام تلألأت
يمرُّ على الدنيا بكل حضارةٍ ... مرورًا كمرِّ الماءِ للرجس طهرت
فأفكارُكمُ نور يُضيء عقولَنا ... بعلم وتجديد وروح تسامحت
وفتواكُمُ بالحقِ تعْلُو وترتوي ... فتزهو بها الدنيا وبالله قد علت
فإن كان للدينِ رجالٌ تحوطُهُ ... فأنت أميرٌ في جنودٍ قاتلت
فبالله أتحفنا بنورِ مِدَادِكمُ ... فنفسي لأعمالِ العِظَام تشوقت
وأنتم مِدَادُ من إلهي مُوفَّقُ ... وأنتم بحَارُ بالعلومِ تفجرت
وأنتم سماءُ نستجيرُ بفضلها ... من الجهلِ والجهالِ مهما تهافتت
فأنتم على مر الزمان صلاحهُ ... وعزٌّ وخيراتٌ إلينا تدفقت
وفضلٌ وإقدامٌ ونصرٌ ورفعةٌ ... ونفسٌ من اللهِ المهيمنِ وفقت
يمينا لكم أيمان جود بحُنوهِا ... جبرتُم قلوبا في الحياة تكسرت
رفيقٌ رحيمٌ أنت في كل موطن ... كريمٌ على من قد عليك تتلمذت
على كلِّ ذي خَطْبٍ على كل معسر ... شديدٌ على قومٍ بجهلٍ تعصبت
رءوفٌ وأزهارُ الحياةِ بقلبكُم ... وأنوارُها مِنكُم علينا تنزلت
فأنتُم حياةٌ للحياةِ بعلمِكُم ... علت مصرُ والأوطان بالعلم قد رقت
سعيتمُ ونعم السعي سعي أئمة ... بجُهد لهم كلُ البلادِ تقدمت

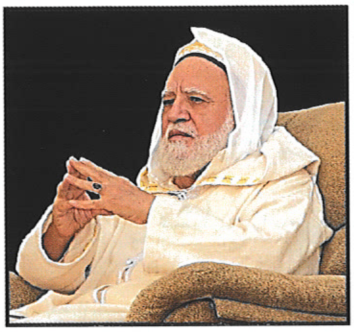
وقلـتُم ومـا زلـتُم وخـيرُ حـديثنا حروفٌ لدربِ الله والخيرِ قـد هـدت
هديتم وأكثـرتم مـن الـوعظِ سيدي دعوتم إلى الإسلام والـنفسُ أسـلمت
دعـوتم إلى الإحسانِ والـبر والنهـى ونـاديـت بالـسلم الكـريم فأينعـت
نجــوتُم وبــاللهِ العــليِّ نجــاتكم ولا خـيرَ في قـوم عليـك قـد اعتـدت
أرادوا بكُـم سـوءًا فكانـت نجـاتُكُم مــن الله نبراســا فهــلا تعلمــت
وهــلا أتــاك الجــاهلون ليـسمعُوا حـديثا بـه الأرواح هامـت وغـردت
وهــلا أتــاك المعتــدون وقَبَّلُــوا يـدا لكـم بـالطهر دومـا تعطـرت
فكــبر فــإن الله أكــبر ســيدي وكــبر عــلى قــومٍ عليـك تطاولـت
وفوضْ لرب النـاسِ همَّـك واحتـسِب أمـورًا قلـوبُ النـاسِ منهـا تفطـرت
فهــذا ســلوكُ الـصالحينَ وشـأنُهم وأنـتم بفـضل الله خـيرُ مـن اقتـدت
بخــيرِ الأنــامِ اللهُ أخــبر أنــه رءوف رحـيمٌ ذو أيـاد تفـضلت
وأنـتم قبـستم منـه كـل خـصاله فـصغتم قلوبًـا للحبيـب تعهـدت
فيــا شـمس أيـامي إلـيكم تحيتـي وحبـي وتقـديري لـنفس تأيـدت
علـيكم مـن الله الحميـد سـحائب غيـوث حـروف في سـمائك حومـت
فـوالله بـالإخلاص والحـب سـقتها إليـك ونفـسي مـن هـواك تزينـت

***



العالم الرباني العلامة المجتهد المجاهد والشيخ المربي

بقلم فضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف بلقايد



شيخ الزاوية البلقادية الهبرية
وهران - الجزائر

إلى فضيلة الشيخ الإمام الأستاذ الدكتورعلي جمعة حفظه الله تعالى.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته..

الحمد لله الذي جعل العلماء الربانيين ورثة الأنبياء والمرسلين، وأمناء الله في خلقه، بهم تستنير القلوب ويتقرَّب العبد إلى علام الغيوب، بهم يُعرف الحلال والحرام، وبعلومهم تحيا شريعة سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام.

فلهذا رفع ذكرهم وبيَّن فضلهم وأعلى منزلتهم فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾، وأخبر أنَّه لا يساويهم أحدٌ في الفضل، ولا يدانيهم أحدٌ في الأجر، فقال عزَّ من قائل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ثم أتحفهم سيِّد الوجود ﷺ بالفضل الباذخ والشرف الشامخ الذي تشرئبُّ له الأعناق، وتتشوَّف له الأنفس الزكيَّة فقال: (فَضْلُ الْعالِمِ عَلَى الْعابِدِ كَفَضْلي عَلَى أَدْناكُمْ).

بهذه العبارات أستفتح رسالتي هذه إلى الأخ الكريم، العالم العلامة، الشيخ المربي، الأستاذ الدكتور علي جمعة حفظه الله تعالى.

وأقول: إنه من كرم الله تعالى على هذه الأمَّة المحمديَّة أن جعل فيها أمثالكم من العلماء الربانيين والأئمة المجتهدين؛ إذ يشهد الجميع ما لسماحتكم من نفعٍ وخدمةٍ للأمة الإسلامية بعلمكم الوافر، ومؤلفاتكم الغرَّاء، وفتاويكم السمحاء، التي

أنرتم بها السبيل - ولا زلتم - وبيَّنْتُم بها المُشكِل وأوضحتم الخفيَّ، وصحَّحتم المفاهيم، ورفعتم راية الوسطيَّة في الدين، فأنتم بحقيقيَّة السلف الصالح وحملة الشريعة الغراء وحماتها ضد أهل الزيغ والأهواء.

جاهدتم بالكلمة والقلم، وقمتم بأعباء الدعوة إلى الله على بصيرةٍ، ورفعتم راية الدفاع عن مشايخ التربية والسلوك ساداتنا أهل الله.

توليتم الإفتاء بأرض الكنانة، أرض العلم والعلماء والأولياء، وأنتم أحقُّ بها وأهلها، وازدانت دار الإفتاء بكم وبفتاويكم ومؤلَّفاتكم، وصارت مرجعًا للعالم الإسلامي أجمع بفضل الله وكرمه، وبسبب الوسطيَّة والاعتدال التي جعلتموها منهجًا لكم ولأتباعكم ومن تدرَّب على أيديكم من العلماء والمفتين.

وإنَّنا نحمد الله تعالى أن جَمَعَنا بكم في مجالس نورانيَّة ونفحات ربانيَّة تشهد لنا يوم القيامة على صفاء المحبة في الله.

ولا ننسى أبدًا تلكم الزيارة النورانيَّة مع فضيلتكم إلى ضريح الولي الصالح الإمام المجتهد سيدي أحمد بن الصديق الغماري رحمه الله ورضي عنه، وما كان فيها من أنوارٍ وفيوضاتٍ وأسرارٍ.

حفظكم الله فضيلة الإمام ونفع بكم أمَّة الإسلام، وجعل علمَكم ذخرًا لكم بين يدي الكريم المنَّان، وجازاكم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وبارك في عمركم وأطال بقاءكم لنفع أمَّة الحبيب المصطفى صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

والحمد لله رب العالمين.

***

الجبل الشامخ محيي ما انطمس من معالم الدين

بقلم د. محمد عجان الحديد الرفاعي الحسيني



عميد رواق الإمام الرفاعي للعلوم الشرعية - تركيا

الحمد لله الذي اختصَّ من عباده ذواتًا أدلَّاء عليه، ينقلون العباد من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد، وسخَّرهم في خدمة البشرية، وجعلهم مظهرًا من مظاهر الرحمة المهداة لخلقه، والصلاة والسلام على سيِّد الأولين والآخرين مَن أمضى حياته تعليمًا وإرشادًا وتزكية للأمة، فبه نقل الله ذرية آدم من الظلمات إلى النور، ومن الوهن والجهل إلى العزيمة والهداية، سيدي وسندي وجدي محمَّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أما بعد:

فقد رغب إليّ أحباب سيدي وشيخي ومجيزي العلامة المتقن الشيخ المربي نور الدين علي جمعة الشافعي - حفظه الله ونفعني بعلومه وبركاته- أن أكتب ما تيسَّر لي عن شمائل فضيلته، وأنَّى لمثلي أن يكتب عن هذا الجبل الشامخ، والوتد الراسخ، الذي أنعَم الله على مَن التقاه وأخذ عنه، فهو دقيق العلم، عظيم الفضل، شريف النسب، إليه ينتهي الكرم، وعنده يتصاغر الأكابر، وعلى بابه تجتمع الطلبة من مختلف الأقطار وبعيد الأمصار؛ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله لفظًا ومعرفة.

مَن إذا تكلَّم أزال الإشكالات والاعتراضات عن أصحاب المتون والشروح والحواشي، ويدفع عن منهج السادة أرباب القوم، إذا رأيته توسَّمت فيه الصلاح والتقوى حيث يدخل شغاف القلب بشفافيته وتواضعه، وإذا جالسته أيقنت أنك تجلس مع نموذج من بقية السلف الصالح، وإذا حدثته في النحو كأنه ابن مالك،

وفي القراءات كأنه الشاطبي، وفي الفقه كأنه ابن حجر، والفقه أغلب عليه، استودَعَ الله فيه أسرار العلوم وألغازَها، ودقائق الفنون وفوائدها، وإليه شدَّ طلاب طريق الحق رحالهم، وأناخوا رواحلهم على بابه، فهو خاتمة محققيهم، وحامل لوائهم ومحيي علوم القوم الأكابر.

ولقد شرَّفني المولى بزيارة شيخنا الأجل، والتحمُّل والأخذ عنه، فكل ما كتبته عن سماحته من علوم وفيوضات وكرم محمدي رأيته بأم عيني ولم أكتبه سماعًا عن فضيلته، فليس الخبر كالمعاينة.

وعندما نتكلم عن شجاعة مواقف مولانا العلامة في أحلك المواقف- وبالذات مواقف الأزمات التي مرَّت بها جمهورية مصر الحبيبة- تراه حاسمًا منافحًا عن وحدة البلاد والعباد، ومنهج أهل السلوك والرشاد، وكل مواقفه هذه تندرج تحت عنوان السياسة الشرعية حتى قال البعض- أصلحهم الله- بأنَّ الشيخ رجل سياسةٍ لا رجل تصوف. وقد غفلوا عن معنى السياسة الشرعية، وجهلوا تاريخ رجال التصوف العظام في الجهاد في سبيل الله تعالى، أمثال: العز بن عبد السلام، وصلاح الدين الأيوبي، وعبد القادر الجزائري، وعمر المختار، والإمام شامل النقشبندي، والسلطان العثماني محمد الفاتح فاتح القسطنطينية، وغيرهم الكثير، وها نحن اليوم نرى أنَّ الله قد أيَّد بفضيلته منهج أوليائه وأصفيائه في تلك الديار وغيرها.

وممَّا لا شك فيه أن سيدي العلامة من مجددي هذا العصر الذين ذكرهم الحبيب الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله يبعث لهذه الأمَّة على رأس كلِّ مائة سنةٍ مَن يجدِّد لها دينَها»(١).

---

(١) قال البيروتي في أسنى المطالب: رواه أبو داود وغيره، وصححه الحاكم، وقال الزين العراقي: سنده صحيح. وقال السيوطي رحمه الله في مرقاة الصعود: اتفق الحفاظ على تصحيحه، منهم الحاكم في المستدرك والبيهقي في =

وممَّا لا يخفى على الجميع أنَّ سيدي العلامة قائمٌ بإحياء ما انطمَس من معالم الدِّين، ودرس من جوانب الحقِّ العلميَّة والعمليَّة، وقد أشار الإمام السيوطي إلى بعض أوصاف أمثال سيدي العلامة بقوله[1]:

وأن يكــون جامعًــا لكــل فَــنْ   وأن يَعُــمَّ علمُــهُ أهْــلَ الــزَّمَنْ

فهذا سيدي وهذه أوصافه، وممَّا يُشار إليه بالبنان من مؤلفاته الورقية والروحية طلابُه، فلا تجد محفلًا علميًّا إلا ويتلألأ أمامك نجمٌ من نجوم سيدي العلامة في ذلك المحفل، ولله الحمد.

وأختم قائلًا:

أنالــك اللهُ بعــد العُــسر ميــسرةً   والحــبُّ في الله يكفــي العبــدَ مفخــرةً

حسبي حكايةُ أهل الله تذكرةً

يــا لائمــي في الهــوى العــذري معــذرة   مِنِّــي اليــك ولَــو أنْــصَفْــتَ لَم تَلُــمِ

اللهَ أسألُ أن يطيل لنا بعمر مولانا الشيخ، ولا يحرمنا من علومه وأسراره آمين، والحمد لله رب العالمين.

***

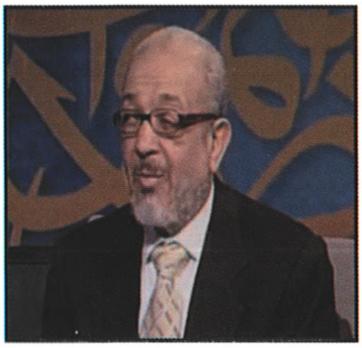
=

المدخل. وممن نص على صحته من المتأخرين الحافظ ابن حجر. انتهى.

(1) النظم موجود بكامله في آخر كتاب (التنبئة) للسيوطي، وانظر (عون المعبود) للعظيم آبادي (١١/ ٣٩١)

عالم موسوعي من الرعيل الأول

بقلم د. محمد عوض
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بالقاهرة مصر



أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم - كلية أصول الدين - الأزهر الشريف - مصر

من أعلام علماء العصر الحديث الأستاذ الدكتور علي جمعة مفتي الديار المصرية السابق، وقد تشرفت بمعرفته والجلوس معه فألفيته عالما موسوعيا، يشبه بغزارة علمه وسعة ثقافته واتساع أفقه ورؤيته المستقبلية الرعيل الأول من القمم الشوامخ من علماء الأزهر الشريف، فلا تكاد تتكلم معه في علم من العلوم إلا ذكر لك أول من ألف فيه وصنَّف ومن تابعه في التأليف في هذا الموضوع، وأفضل المؤلفات المستوعبة لجوانب هذا العلم.

وهو أول من فتح أبواب أروقة الأزهر أمام طلاب العلم والمعرفة بعد إغلاقها أزمنة طويلة، فاستطاع بثاقب رأيه ونفاذ بصيرته ورؤيته للمستقبل أن يقنع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر (جاد الحق علي جاد الحق) بإعادة فتح أروقة الأزهر.

وجلس العلامة علي جمعة للتدريس فيها، فشرح الكثير من كتب أصول الفقه والمؤلفات العديدة في الفقه الشافعي، وكوَّن مدرسة من الطلاب والدارسين والباحثين في العلوم والمعارف الأزهرية الحقة التي تمثل جوهر الإسلام وحقيقة هذا الدين، كما اعتنى فضيلة مولانا الشيخ علي جمعة بشرح وتدريس الخريدة البهية وجوهرة التوحيد، وهي كتب أساسية في تدريس عقيدة أهل السنة والجماعة التي يمثلها المذهب الأشعري.

وقام فضيلته ببيان وشرح أصول الطريق إلى الله، فبيَّن معالمه وحقائقه ومناهجه

وطرقه، وشرح بأروقة الأزهر الحكم العطائية، التي اعتنى العلماء في كل العصور والأزمان بشرحها، وبيان ما فيها من درر المعاني ولوامع أنوار الطريق، وبهذا المنهج تجد هذا العالم الموسوعي المستنير، أزهري أشعري من أهل الطريق والعرفان، وهكذا كان جيل القمم الشوامخ من نوابغ علماء الأزهر في مختلف العصور والأزمان.

علي جمعة وطلب العلم وتحصيله:

حينما تتصفح الصفحات المطوية في السيرة الذاتية لفضيلة مولانا الشيخ علي جمعة، تجده قد حصَّل المعارف والعلوم بمنهج الرعيل الأول من أهل العلم والمعرفة، وقديما قرروا أن أفضل طرق تحمل العلوم والمعارف القراءة على الشيخ المعلم، فقد قرأ عالمنا الجليل علم الأصول والفقه والتوحيد وسائر العلوم والمعارف على جيل القمم الشوامخ من نوابغ علماء الأزهر من أمثال العلامة محمد أبو النور زهير، والعلامة الشيخ جاد الرب رمضان الملقب بالشافعي الصغير، وأخذ علم الحديث عن أكابر الأكابر من علماء المغرب أمثال: مولانا الجليل قدس الله سِرَّه عبد الله بن الصديق الغماري، ومولانا العالم الجليل أحمد بن الصديق الغماري، وأخذ علوم الحقيقة عن الولي النقي محمد زكي إبراهيم قدس الله سره، ونور ضريحه ونفعنا بعلومه.

ولأن فضيلة مولانا الشيخ علي جمعة تلقى المعارف والعلوم الأزهرية بمنهج العلماء القدامى تجده يشرح أعقد المسائل العلمية بطريقة سهلة ميسرة، وهذا يدل على سعة أفقه وصفاء ذهنه وجودة قريحته؛ لأن المتمكن من المعارف والفنون والعلوم يمكنه تبسيطها وتوضيحها وتسهيل الصعب فيها.

علي جمعة والتربية:

اهتم جيل القمم الشوامخ من نوابغ علماء الأزهر بالتربية العلمية للطلاب والباحثين والدارسين، فتجد العالم الأزهري المستنير صاحب مدرسة يتربى على يديه أجيال وأجيال من الدارسين النابهين الحريصين على تلقي العلوم والمعارف على أيدي نوابغ العلم والمعرفة، وقد أنشأ مولانا العلامة أحمد السيد الكومي مدرسة علمية، تخرج منها أكابر الأكابر من نوابغ علماء الأزهر، وكان لي الشرف أن أكون آخر أبناء هذه المدرسة، وظننت أن بانتهاء عمر العلامة أحمد الكومي في الدنيا قد انتهى أمر المدارس العلمية، فإذا بي أفاجأ بمدرسة العالم الجليل مولانا الشيخ علي جمعة ويتخرج على يديه من هذه المدرسة النابهون المجدون في العلوم والمعارف من أمثال الدكتور مجدي عاشور، والدكتور أسامة السيد الأزهري، والدكتور محمد وسام، والدكتور عمرو الورداني، والدكتور أحمد ممدوح، وغيرهم كثير ممن تربى على يديه في دار الإفتاء وغيرها، وفي هذا المقام أسأل الله أن يبارك في عمر مولانا الشيخ علي جمعة، وأن يبارك في امتداد آثار مدرسته، كما أدعو المخلصين المتميزين في العلوم والمعارف أن يتخذوا هذا المنهج في التربية العلمية، حتى لا يضيع العلم الصحيح على أيدي الجهلة من أدعياء العلم والمعرفة.

علي جمعة وفن الإدارة وعبقرية التطوير والتجديد:

أعتقد أن من أهم أسباب النجاح بالنسبة للفرد والمجتمع والدولة، ولجميع المؤسسات أن تكون القيادة الحكيمة مبنية على فن الإدارة والرؤية المستقبلية للعمل والتخطيط الذي بلغ حد الإتقان، فالأشخاص القادرون على تحقيق النجاح والازدهار بمؤسساتهم هم من تتوفر لديهم رؤية مستقبلية من خلالها يتم تطوير العمل بل إنشاء كل جديد فيه، وأعتقد أن المناصب القيادية في كل شئون

الدولة لو تم اختيار القادة فيها على ما يقدمونه من رؤية جديدة لتطوير العمل بل ابتكار التجديد فيه لنجحت جميع المؤسسات داخل العالم الإسلامي كله، فالواجب المطلوب لنجاح المؤسسات في عالمنا الإسلامي أن يتقدم من يريد شغل المناصب القيادية برؤية جديدة لتطوير وتجديد العمل بالمؤسسة التي يريد قيادتها، والذي لا يتقدم بهذا المشروع لا يتم توليته المناصب القيادية.

وأعتقد أن من أهم أسباب ضعف المؤسسات هو عدم قيامها على فن الإدارة والتخطيط والتطوير والتجديد بل قيامها على أهل الثقة لا أهل الخبرة الحقيقية والقدرة على التطوير والتجديد.

ومن أهم مميزات عالمنا الجليل مولانا الشيخ علي جمعة إتقانه وإحسانه لفن الإدارة، وقدرته على التطوير والتجديد فيما يقوده من مؤسسات، ومن نماذج ذلك تطويره وتجديده لدار الإفتاء المصرية، فلم تكن دار الإفتاء قبل عهده بهذه الصورة.

ما أنشأه وابتكره من إدارات فيها:

١- إدارة التدريب حيث تقوم بتدريب الباحثين على فن الفتوى في المسائل الفقهية المتعددة.

٢- ابتكر إدارة الفتوى الإلكترونية.

٣- أنشأ خطا ساخنا لدار الإفتاء المصرية يجيب فيها العلماء المتخصصون على أجوبة الجمهور مباشرة.

٤- أنشأ موقعا لدار الإفتاء المصرية على الإنترنت بتسع لغات عالمية مختلفة.

٥- أنشأ وظيفة جديدة باسم أمناء الفتوى.

٦- أنشأ إدارة لتدريب المفتين عن بعد.

٧- هو أول من طالب باستقلال دار الإفتاء المصرية عن وزارة العدل بحيث تكون مستقلة ماليًّا وإداريًّا، وتم ذلك في سنة ٢٠٠٧م.

علي جمعة وتطوير العمل الخيري:

يقوم عالمنا الجليل برئاسة مؤسسة مصر الخير، حيث يطور عالمنا الجليل منظومة العمل الخيري، فأدخل العمل الخيري في البحث العلمي، وقام بإرسال بعثات للتعليم الفني، وأمر بإعداد المنح التعليمية للطلاب غير القادرين، وساهمت مؤسسته بدعم القرى الأكثر فقرا، كما ساهمت في مشروع نهضة المجتمع بدعم المشروعات الصغيرة، وساهمت مؤسسته برفع العناء عن الفقراء، فخصصت بندا من خلاله يتم تسديد ديون الغارمين والغارمات، وبخاصة الغارمات في احتياج القدر الضروري للحياة.

علي جمعة والعمل بمبدأ روح الفريق:

القارئ لسيرة النبي المصطفى ﷺ بتدبر يجد النبي عليه الصلاة والسلام يطبق مبدأ العمل بروح الفريق، وتجد مواقف كثيرة لا حصر لها في حياة النبي من العمل بهذا المبدأ، فانظر العمل بروح الفريق بعد الهجرة النبوية المشرفة، وتقعيد مبدأ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وكتابة النبي ﷺ صحيفة المدينة مع أهل الكتاب، حتى تكون الدولة كلها على قلب رجل واحد من المسلمين وغير المسلمين ممن يعيشون في دولة واحدة، وانظر العمل بمبدأ روح الفريق في غزوة بدر الكبرى، وعرض الأمر على الصحابة ومشورتهم فيها، والأخذ برأي الحباب بن المنذر في تحديد مكان المعركة التي يفصل الله فيها بين الحق والباطل، وانظر تطبيق هذا المبدأ في غزوة الأحزاب حيث تعمل الدولة كلها من أول القائد الأعلى للأمة سيدنا محمد ﷺ إلى أصغر جندي في الدولة؛ يقفون جميعا جنبا إلى جنب بروح الفريق الواحد في حفر الخندق، الذي ألجأهم العدو إلى حفره بحشده

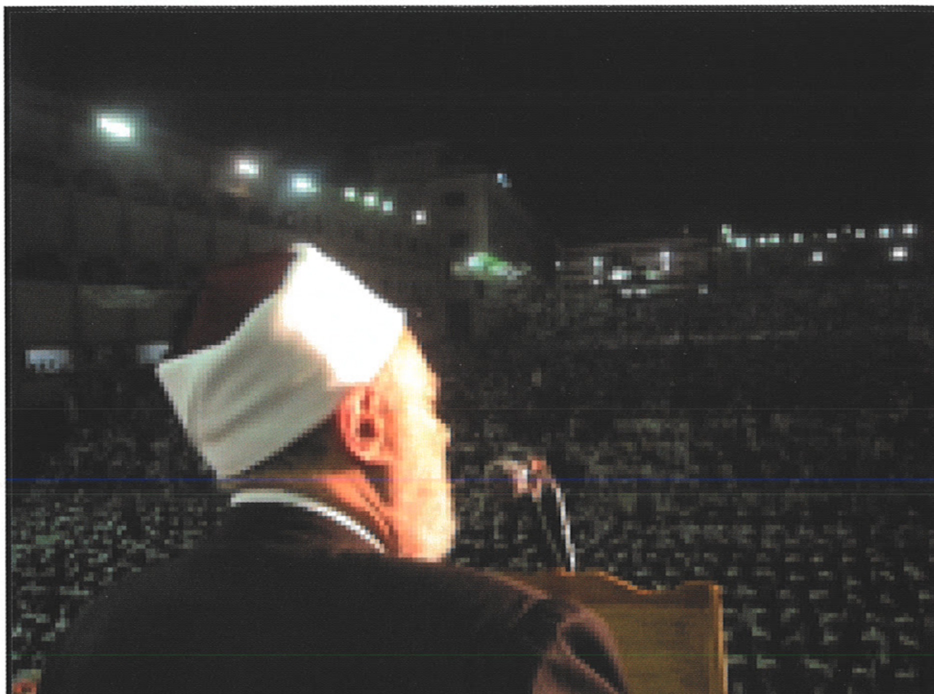
لحشود مشركي العرب من كل مكان للقضاء على دولة الإسلام لولا أن الله سَلَّم، ولو أن الأمة الإسلامية تأخذ بهذا المبدأ وتعمل به بجد ونشاط لحققت النهضة والحضارة الإسلامية في كل بلاد الإسلام، ولو أنَّ كل وزارة من أكبر رجل فيها إلى أقل عامل فيها وضعوا خطة لتحقيق النهضة في مجال عمل الوزارة، بعد استشارة الخبراء المتخصصين في المجال لحققت مؤسسات الدولة أكبر الإنجازات بأقل الإمكانيات.

وعالمنا الجليل مولانا الشيخ علي جمعة نجده يطبق مبدأ العمل بروح الفريق داخل دار الإفتاء المصرية، ومؤسسة مصر الخير، تجد جميع أبناء المؤسسة من أول المفتي إلى أصغر عامل فيها يقفون جنبا إلى جنب ويعملون بروح الفريق الواحد؛ لذلك تحقق النهوض بدار الإفتاء المصرية في عصره المبارك.

مواقف إنسانية في حياة الشيخ علي جمعة:

من المواقف الإنسانية للشيخ علي جمعة حينما توفي أحد كبار علماء كلية أصول الدين، وكانت أسرته كبيرة بسبب تعدد الزوجات، وكثرة العيال والدخل المحدود وصعوبة الحياة لغلاء المعيشة، فبمجرد أن عرضتُ الحالة وبينتُها لمولانا الشيخ علي جمعة، وعرضتُ عليه شراء مكتبة العالم الخاصة، وفضيلة مولانا الشيخ علي جمعة ليس في حاجة إلى مكتبة هذا العالم؛ لأنه يمتلك مكتبة خاصة بها قرابة ستين ألف كتاب تمتلأ بها رفوف الحوائط في ست شقق فإذا بمولانا الشيخ يأمر بصرف مبلغ ١٥ ألف جنيه لكل أسرة قائلا: (أنا لا أعطي قيمة الكتب، وإنما أساعد كل أسرة بهذا المبلغ) وغير ذلك من التصرفات الراقية.

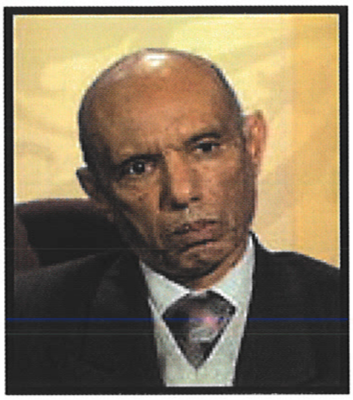
إن الحديث عن مثل هذا الإمام العلامة لا ينتهي، فكثرة خصاله وشمائله وصفاته وموسوعيته تجعل أمر الكلام عنه من الصعوبة بمكان، وأخلاقه تندر في مثل هذا الزمان، فالحمد لله أن قيض لنا هذا العالم الجليل الأستاذ الدكتور علي جمعة.





الإداري الموهوب، الجامع الأصيل
بين الثقافة المدنية الواعية، والثقافة الدينية الجامعة

بقلم د. محمد كمال الدين إمام



رئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة الإسكندرية سابقا – مصر

أربعة عقود مضت منذ تعارفنا، سمعت عنه من خلال أبناء مدرسته التي استوعبت باحثين من كافة جامعات مصر، كانوا يجلسون بين يديه رغم تنوع انتماءاتهم العلمية، منهم الأزهري، ومنهم طلاب الجامعات المدنية من الدارسين في كليات الآداب والعلوم السياسية والتجارة وغيرها، التقوا جميعًا في رحاب «الأستاذ» يثقون في علمه، وتشدهم براعته في علم الأصول، وتستوعبهم رحابة آفاقه، وتجذبهم في شخصيته قدرته على الانتقال من الجدية الصارمة إلى الترفيه الذي يخفف من وعثاء الطريق العلمي وعناء البحث العميق، هذا هو أ.د/علي جمعة الذي اقتربت منه فكرًا إلى أن التقيت به مفكرًا، كان أ.د/علي جمعة مبرزًا بين أقرانه بالجمع الأصيل بين ثقافة مدنية واعية، وثقافة دينية جامعة، وكانت دراسته للشريعة تتلمذًا في وقته على شيوخ عصره، وفي مقدمتهم المحدث عبد الله بن الصديق الغماري. ذرية علمية بعضها من بعض أعطته مراتب أسانيدها، وسلسلة ذهبية من سلاسل إسنادها، فأجاز الكثيرين كما أُجِيز، وجعل من داره بأبوابها المفتوحة؛ ومن مكتبته بعشرات الآلاف من مقتنياتها المخطوطة والمطبوعة، ومن دروسه اليومية، ونشأ عن ذلك كله دار حكمة وطأت أكنافها لكلِّ دارس واقتنص من شواردها كل قادر. إنَّ مداخل العاطفة والشعور إلى قلب علي جمعة سهل؛ لأنه يحب أهله وكل من يدخلون إليه هم أهله، فقلبه مثل مائدته يرحب بكل داخل،

ويبشُّ لكل طارق، فاجتمع عليه مسلمون عرب وأجانب من جنسيات شتى ومن دول متباعدة ومتقاربة، وأ.د/علي جمعة هو مع من يلتقي بهم. وقد حدث من مسئولين كبار ورؤساء حكومات وجامعات لا تتغير طرائفه وبذات البِشْر والبشاشة (والنكات) يلتقي بأهل الصفة ونظائرهم.

أما علي جمعة العالم فهو بعيد الغور قلَّما يبوح بأسراره، وما يريده يعرف بالإشارة دون العبارة، في بنيته العلمية جدية وجدة، وفي خرائطه العلمية شجاعة وإقدام، واستطاع بقدرة تكاد تشبه المعجزة أن يكون شخصيةً شديدة الانسجام مع عقل واثق وواقع متحرك.

هذا هو أ.د/علي جمعة كما عايشته في الدائرة العامة، أما أ.د/علي جمعة الأخ والصديق فلديه خاصية الإحساس بنا عن بعد، يتحدث معك فيما كنت تنوي الحديث فيه أو تتردد في التواصل فإذا به ينطق قبل أن تهمس بالكلام، ويعرف ما تعانيه قبل أن تلاقيه، وله في ذلك أيادٍ أعدُّ منها ولا أعددها كما يقول المتنبي.

بدأنا معا قراءة (البحر المحيط) للزركشي كل يوم جمعة بعد انتهائه من خطبته في جامع السلطان حسن، والإجابة على أسئلة من تحلقوا حوله من التلاميذ والمحبين- وهم كثر- وتمنيت أن نكمل معًا قراءة «البحر المحيط» قراءة مشتركة ولم تسعفنا مشاغل الحياة. ولم نلتقِ مرة دون أسأله عن كتاب أو يسألني عن موضوع أو العكس، ولنا في الجانب الفكري ائتلاف واختلاف، لا صلة لهما بعمق علاقتنا وصفاء صداقتنا. أريد له كلَّ خير وليس عندي شك بل عندي يقين كامل أنه يبادلني نفس الشعور، لم أهاتفه مرة إلا وأجاب، في الغالب يأتي الرد فوريًّا وقد يتراخى إذا شغله اجتماع، أو حال بيننا السفر، لكنه يجيب في كل الأحوال.

دخلت إلى الأستاذ الدكتور علي جمعة في مكتبه بدار الإفتاء، وهو مفتي الديار

المصرية، وسألته بلا سابق تمهيد: هل تريد أنت وأنا أن نأخذ ثوابًا بدعوة من رجل صالح في المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ؟ فقال بدعابته المعهودة، ماذا يريد شيخك؟ قلت: ليس من أشياخي، ولكنه رجل علمت من مريديه أحواله وطلب له العمرة وأطلبها منك له. فقال: أرجو أن يوفقني الله. كان ذلك قبل أربعة أشهر من عمرة رمضان، فإذا به يتصل بي- وقد نسيت الموضوع- أين الشيخ الذي يريد العمرة؟ أرسل لي جواز سفره. قلت: هل سيدفع الرجل أي مال؟ قال: لا كل شيء معد، وسافر الشيخ وعاد في قمة السعادة ولا أدري حتى الآن هل دعا لنا أم لا؟

أمر ثانٍ: منذ عام أو أكثر هاتفت أ.د/علي جمعة بشأن مسألة هامة يحتاج إليها طلاب إحدى المؤسسات العلمية قبيل هجوم الشتاء، وسأل عن التكلفة وكانت مبلغًا كبيرًا، ولكنه يدفع إلى مستحقيه، فأرسل إدارته الهندسية وتم التنفيذ؛ رغم أنَّ الواقع العملي فرض تكلفة مضاعفة.

وأ.د/علي جمعة إداري موهوب، ولعله أول من طبق «حوكمة الإدارة في مؤسسات مصر»، وأ.د/علي جمعة يسأل عن أولاد أصدقائه باعتبارهم من أسرته، ولا يكلفك عبئا نفسيا في أمورهم؛ بل يتقدم ويرى أنه مسئول معك عن مستقبلهم.

أ.د/علي جمعة في علاقته العامة والخاصة يكره تأجيج أي صراع، وهو الذي يبدأ بالسلام ويعلي من شأن الائتلاف ولا يحب الخلاف، ولا يسعى إليه ويبادر إلى الحل، فالوصل عنده أهم من الفصل، وعندما يريدك في مهمة تفاوضية لا يثقلك بالشروط التي تجعل الحوار عقيمًا، بل يحترم ما تقدمه من بدائل، ويوحي إليك ببعضها ليضعك على طريق النجاح، وهو مع ذلك حاسم بصيغة فيها طرافة تجذب سامعيه فلا يملكون له ردًّا.

طلب رئيس جامعة بيروت العربية أن أقنع أ.د علي جمعة ليحضر افتتاح المسجد الجديد الذي شيدته الجامعة ويلقي خطبة الجمعة في منسوبيها من أساتذة وطلاب وإدارة، ووافق الدكتور علي جمعة، وأعدت له لقاءات تشمل رئيس الوزراء اللبناني، ورئيس حزب المستقبل، والنائبة بهية الحريري في صيدا، إضافة إلى استقبال جامعي على رأسه أ.د/ عمرو العدوي رئيس جامعة بيروت العربية، كان اللقاء الأول مائدة العشاء بقصر الحريري رئيس حزب المستقبل، واللقاء الثاني مع رئيس الحكومة اللبنانية في ظهيرة اليوم الثاني، وعرض رئيس الوزراء على الدكتور علي جمعة أن تحظى صيدا بحضوره وإلقاء خطبة الجمعة في مسجدها، فقال له أ.د/ علي جمعة: لقد دُعِيت لجامعة بيروت العربية لأداء الصلاة مع الطلاب وإلقاء خطبة الجمعة، وذلك جزء من برنامج افتتاح مسجد الجامعة، فماذا أفعل؟ سكت رئيس الوزراء قليلًا ثم قال: صل عندهم صلاة الضحى وعندنا صلاة الجمعة. فابتسمنا ثم حسم الأمر الدكتور علي بقوله: إن خطاب الدعوة الذي وصلني من جامعة بيروت كان خاصًّا بصلاة الجمعة لا صلاة الضحى. وأردف: على بركة الله سوف نفي بدعوة جامعة بيروت العربية.

هذا هو أ.د/ علي جمعة كما عرفته وكما عرفني، بيننا حكايات لعل العمر يهيئ فسحة لكتابتها، وعندي ذكريات قد يجيء الوقت الذي تصبح فيه ملكًا للناس، والحمد لله رب العالمين.

***

محيي الإنسانية وناصرها

بقلم الشيخ محمد نصر الله رفاعي



نائب رئيس قسم التربية والتأديب مدرسة الجنيد الإسلامية –مقدم الطريقة الصديقية الشاذلية – سنغافورة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الحبيب المصطفى: «الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء». هذا أول حديث سمعت عنه من فضيلة الشيخ المربي عندما كنت في جامع الأزهر الشريف.

في ذلك الوقت، عندما روى فضيلته وأجازنا به تحرك قلبي بتحرك غريب، فكأنني أدركت مقصود الرحمة كليًّا ما لا أفهمه من قبل، من ثَمَّ أتاني مباشرة معنى الرحمة في تلك اللحظة، يجب علينا أن نجعلها مبدأ أساسيًا ومواصفة ثابتة وشخصية جذرية لنا كطلاب العلم مهما نكن. خاصة بعد الانتهاء من الدراسة في الأزهر الشريف، ونحن في بلدنا ننشر الرحمة كما كان رسول الله صلى عليه وسلم يسير في هذا العالم بالودِّ، والمحبة، والشفقة، والصبر، والاحترام، والتعاون، والابتسام، والإتقان، والإحسان، والإخلاص.

أودُّ أن أنتهز هذه الفرصة لأعرب تشكراتي القلبية وأقدِّمها لفضيلة الإمام مولانا شيخي المربي على ما قد بذل من رسالاته النبيلة وتربيته القيِّمة لنا، حيث إن تربيته تجعل حياتي منسجمة مع الآخرين في سنغافورة، ونحن نتعايش مع الأديان المختلفة والأعراق المتعددة، فبهذا المنهج المستنير يجعلنا فاهمين القيمة الإنسانية، ومن ثم نعرف قيمة الإنسان، نتيجة لذلك يتقوى مسارنا المتلئ بالحب، فالحب

هو سر النجاح يحملنا إلى حب الله وحب رسوله ﷺ. اللهم ارزقنا حبك، وحب من يحبك، والعمل الذي يبلّغنا إلى حبك.

محبُّ فضيلة الإمام العالم العلامة نور الدين شيخي مولانا الدكتور الشيخ علي جمعة.

Doktor Syeikh Ali Gomaa', seorang alim ulama dan tokoh agama terkemuka.

PELESTARI KEMANUSIAAN

Guru dan pembimbing Tarikat Al-A'liyah As-Siddiqiyah Asshadziliyah .

Segala puji bagi Allah, tuhan sekalian alam. Selawat dan salam ke atas junjungan kita Nabi Muhammad Sallahu a'laihi wa sallam, penghulu bagi sekalian para Nabi .

Telah berkata sang kekasih yang dipilih Allah SWT: " Allah akan mengasihani bagi sesiapa yang mengasihani. Kasihanilah sesiapa sahaja yang berada di bumi, maka Allah dan para malaikatNya akan mengasihaninya". Ini merupakan hadith pertama yang saya dengar dari guru pembimbing yang mulia, ketika saya berada di masjid Al-Azhar.

Pada ketika itu, sewaktu syeikh meriwayatkan hadith ini dan mengijazahkan. Saya benar-benar terkesan dengan hadith ini. Saya kagum dan sangat tersentuh dengan hadith yang menceritakan tentang rahmah. Perasaan yang sangat mendalam terhadap hadith ini adalah satu perasaan yang tidak pernah saya mengalaminya sebelum ini .

Pengertian rahmah yang dapat difahami pada ketika itu; kita perlu menjadikan slogan rahmah sebagai prinsip utama kita, kriteria yang berterusan dan akar identiti kita sebagai penuntut ilmu, di mana sahaja kita berada, terutamanya apabila kita berada di negara kita setelah menamatkan pengajian di universiti Al-Azhar. Ia menjadi tanggungjawab kita untuk menyebarkan rahmah sepertimana yang telah dilakukan oleh

baginda Nabi Muhammad Sollahu a'laihi wa sallam di muka bumi ini. Akhlak baginda penuh dengan kesantunan, kasih sayang, kelembutan, kesabaran, hormat-menghormati, bantu-membantu, senyuman, ketekunan, keihsanan dan keikhlasan .

Oleh yang demikian, saya ingin mengambil kesempatan ini untuk mengucapkan jutaan terima kasih yang tidak terhingga kepada yang berbahagia, alim ulama yang terkemuka, Syeikh Ali Gomaa atas usaha dan didikannya yang telah mengajar saya tentang kepentingan untuk sentiasa hidup bersama dengan orang sekeliling kita dengan akhlak yang mulia, terutamanya kehidupan saya di Singapura yang tercinta. Negara yang dikenali sebagai masyarakat yang berbilang bangsa dan agama.

Pendekatan yang ditunjukkan oleh beliau menekankan tentang betapa pentingnya memahami nilai kemanusiaan, yang mana sekaligus kita dapat memahami nilai manusia .

Hasil dari pendekatan ini, kehidupan kita akan terbentuk dengan kasih sayang yang jitu .

Kasih sayang adalah asas kejayaan yang membawa kita terus menjiwai cinta kepada Allah dan Rasul-Nya.

Ya Allah, kurniakanlah kepada kami cinta kepadaMu, cinta kepada orang-orang yang mencintaiMu, dan cinta kepada amalan yang dapat mendekatkan kami kepada cintaMu

Yang benar،

Mohamad Nasrullah Refa'ie

Hamba yang lemah lagi hina

Wakil Tarikat Al-A'liyah As-Siddiqiyah Ash-Shadziliyyah di Singapura

***

وضح النهار، غير عابئ بصراخ الإنكار وسُعار التخوين!

أم أصفُ فيه الوطنيَّ الشجاع والقائدَ المقدام: الذي صعد المنبر ليخطب في وجه طلقات المدافع الرشاشة أمام سيل الرَّصاص ووابل النيران؛ ليصرخ بكلمة الحق في وجه الخوارج ويتحدى كلاب النار بكل ثبات وثقة ويقين!

أم أصفُ فيه السياسيَّ المحنَّك: الذي قاد الوطن إلى بر الأمان، بعد أن عصفت به رياح الأخونة والإخوان!

أم أصفُ فيه الجوادَ المعطاء: الذي يفيض جوده على كل من يعرفه ومن لا يعرفه، ويعول مئات الأسر وآلاف الفقراء واليتامى والأرامل، بعد أن غمر بكرمه طلبة العلم بمعاشاتهم الشهرية ووسائلهم العلمية وحياتهم الدينية والدنيوية!

أم أصف فيه الزاهدَ في الدنيا ذا اليد السحَّاء بها؛ الذي لا يبالي بما يعطيه أو يغدقُه، ولا يَعظُم في عينه ما ينفقُه، فصار يملكُها ولا تملكه، ولا يُنازَعُ في شيء منها إلا ويتركه، حتى سمعتُه يقول: ما نازعني أحدٌ دنيا إلا تركتُها له!

ماذا أصف فيه، وما عرَفَه أحدٌ ما عرفتُه، ووالله ما عرفتُه!

أم أصفُ فيه الإداريَّ الناجح: الذي لم يتولَّ إدارةً أو وظيفةً في مؤسسة تعليمية أو بحثية أو اجتماعية أو اقتصادية إلا وعلَّم الناس كيف تكون الإدارة الصحيحة سببًا للنجاح المستمر.

لا شك أن كل جانب من هذه الجوانب وغيرها يحتاج إلى مجلدات تفي للإمام شيئًا من قدره، وتوفِّي إليه بعض حقه.

غير أنَّ ما لا يُدرَكُ كلُّه لا يُترَكُ كلُّه، ويكفيني في هذا المقام مِن علم مولانا أقلُّه؛ وهو أني بعضُ حسناته، وممن أتحفني المولى سبحانه بشيء من نفحاته، وسلك بي

الطريق على يديه، وتعلمت علوم الشرع الشريف عليه. وهذه نبذة يسيرة؛ كنتُ كتبتُها منذ ما يزيد على عشرة أعوام، أصف فيها شيئًا من الجانب العلمي الذي لمستُه أولَ ما قابلتُ فضيلتَه ونعمتُ بعد ذلك بكريم ملازمته وشريف صحبته.

لقد كان من أعظم أفضال الله تعالى عليَّ، وأكمل نعمه لديَّ: أن سلك بي المسلك الصوفي، ووفقني لدراسة العلم النبوي، على يد أستاذي وشيخي وسيدي ومولايَ وسنَدي: مَنْ تربَّيْتُ ببركة أنفاسه الشريفة الطاهرة، وتعلَّمتُ مِنْ بحار علومه العذبة الزاخرة، مَنْ لم ترَ عيناي مثله، ولم يرَ هو مثل نفسه؛ فضيلة شيخ مشايخ الإسلام، وملك العلماء الأعلام، الأستاذ الدكتور الإمام/ علي جمعة، حفظه الله وعافاه، ونصره ونصر به ورعاه، ووفَّقه وسدَّد خُطَاه، ورضي عنه وأرضاه، وبلَّغه في الدارين مُناه وفوق ما يتمناه، وأَنالَهُ أَوْجَ الكمال وأَرْفَعَ الشرف وغاية المجد ومنتهاه، ونفعنا في الدارين به وبعلومه وولايته وتقواه، وجزاه عنا خير ما جزى أبًا عن أبنائه، وشيخًا عن مريده ومولًى عن مولاه، وجزاه عن الإسلام وأهله خير ما جزى عالمًا ومُجدِّدًا ومجتهدًا عن الأمة، وأبقاه ومتَّع به وأطال عمره في صحة منه وعافيةٍ وفضلٍ وكمالِ حالٍ ذخرًا للإسلام والمسلمين.. إن ربي قريب مجيب.

وما كان شكري وافيًا بجمالكم ... ولكنني حاولتُ في الشكر مذهبًا

أفادتكم النعماءُ مِنِّي ثلاثةً ... يدي ولساني والضميرَ المُحَجَّبا

ومع سيدي رضي الله عنه بدأت رحلتي في دراسة العلوم الأزهرية علوم الشرع الشريف؛ حين كنا نقرأ عليه في بيته الكريم العامر مختصر شيخ الإسلام زكريا الأنصاري [ت٩٢٦هـ] لجمع الجوامع المسمَّى «لب الأصول» قراءة إجمالية يوقفنا فيها الشيخ رضي الله عنه على مناهج السلف في البحث وقواعدهم في التفكير.

ثم انتقل بنا شيخُنا إلى الحوزة العلمية المباركة برُواق الأتراك بالجامع الأزهر الشريف المعمور بالعلم وذكر الله تعالى، فأكملنا قراءة هذا المختصر عليه، ثم شرعنا في قراءة «تشنيف المسامع بجمع الجوامع» للإمام أبي عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي [ت٧٩٤هـ] قراءةَ بحثٍ وتحقيقٍ وتدقيقٍ، حتى قطعنا فيه شوطًا حسنًا، وتعلقت نفسي بهذا العلم الشريف أيَّما تَعَلُّقٍ.

ومع أنني عِشْتُ العلم وعشقتُه مِن صِغَري، أجول بين أفنان كتبه منذ نعومة أظفاري، حتى إنني عرفت «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» للحافظ الإمام أبي نُعَيم الأصفهاني [ت٤٣٠هـ]، والإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلاني [ت٨٥٢هـ]، والاستيعاب في معرفة الأصحاب للحافظ أبي عمر ابن عبد البَرِّ [ت٤٦٣هـ]، وغيرها من كتب السلف في سنٍّ مبكرة من المرحلة الدراسية الإعدادية، وفي هذه السن أيضًا قرأتُ مقامات الحريري للإمام أبي محمد القاسم بن علي الحريري [ت٥١٦هـ] وغيرها من كتب العلم والأدب، وكنت كثيرًا ما أُقَضِّي نهاري كُلَّه في الإجازات الدراسية الصيفية معتكِفًا في المكتبات العامَّة، وظللتُ على هذا المنوال حتى تخرَّجتُ في كلية الشريعة بامتياز، ولكني مع ذلك كلِّه فلم أكن بعدُ قد أدركتُ الفرق بين العلم النافع الذي يُوَصِّل إلى الله تعالى وينفع عباده، وبين المعلومات المجرَّدة التي قد يعرفها كلُّ أحدٍ من غير أن تُثمِر في نفسه قربًا من الله وخشيةً له ونفعًا لعباده، إلَّا على يد مولانا رضي الله عنه الذي كان يُعلِّمُنا مع العلم حبَّ الله وحبَّ رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وحبَّ آل البيت النبوي الكرام الطيبين الطاهرين، وأدركتُ حينئذٍ أنَّ كل ما قرأتُه وتعلَّمْتُه إنَّما كان إرهاصًا وتوطئة للتلمذة على يديه، فأسلمْتُ قِيَادِي إليه، وأنختُ ركابي لديه، وعلِمتُ حينَها أنَّ هذه هي البداية الحقيقية للتعلُّم على منهاج النُّبُوة، وكنت قبل

لقائي به أظنُّ نفسي عالِمًا مِنْ كثرة ما قرأتُ ودرستُ وتعلَّمتُ وناظرتُ، ثم أدركتُ لمَّا جلستُ بين يديه كم كنتُ جاهلًا، وأنّني لم أتعلَّم قبلَه شيئًا!

فأَلْقَتْ عَصَاهَا واستَقَرَّ بها النَّوَى كما قَرَّ عَيْنًا بالإِيَابِ المُسافِرُ

قصيدة أهديتُها إلى
مولانا الأستاذ الدكتور علي جمعة بمناسبة ذكرى مولده

مولد السيد العليِّ أنارا قمرٌ في هُداه لا تتمارى

سنواتٌ من الهدى ثَمِلاتٌ مُلئَت مِن نبينا أنوارا

تسعةٌ أشرقَتْ وستون عامًا رافِلاتٌ جمالُها لا يُجارَى

لمعَتْ غُرةً بناصية الدهـ ـر تراها كالشمس لا تتوارى

وَرِثَ النورَ من هُدَاةٍ أُبَاةٍ أزهريين نوَّروا الأقطارا

جاءنا والتراثُ نِسْيٌ نَسِيٌّ فزها وازدهى وأضحى نُضَارا

علَّم الناسَ يقرؤون تراثًا أغفلَتْه الدُّعاةُ حتى توارى

قال: ذوقوه منهجًا لا جمودًا عند ما جازه الزمان ووارى

ثم عيشوا قواعدَ العلم حتى يَصبغَ العلمُ روحَكم فتُنارا

وَعْيُكم قبل سَعْيِكم فالنوايا الصـ ـادقاتُ استحثَّت الآثارا

فرِّقوا بين فهمكم والتبني إن إنصافكم سيَهدي الحيارى

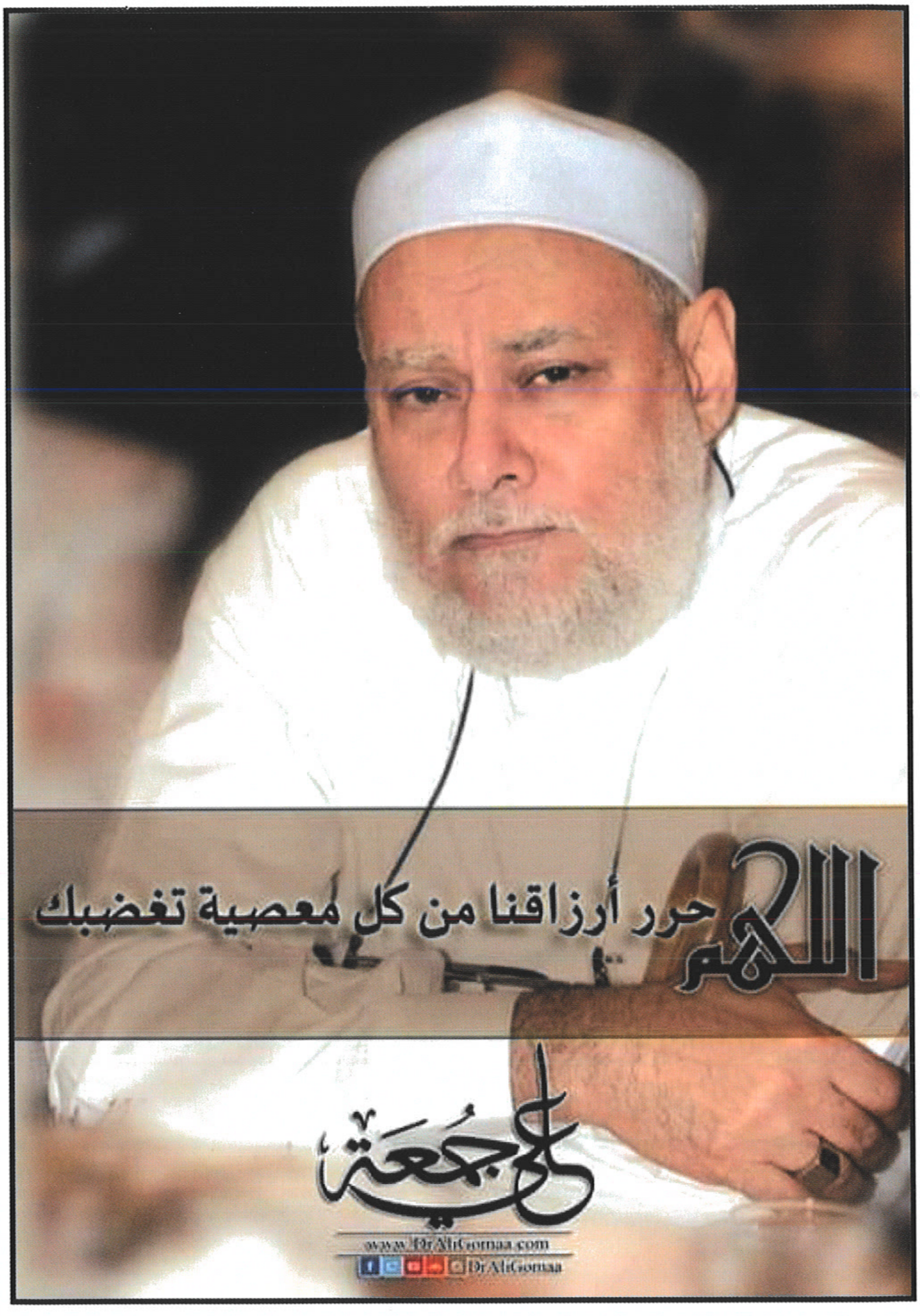
ألسُنُ الخَلْق مِن يراعة حقٍّ فاقبلوا الخيرَ وامدحوا الأخيارا

أحسنُوا ظنَّكم تَرَوْا كل خير أولياءُ الورى استكنُّوا استتارا

فلئن كان صادقًا نلتَ خيرًا ولئن كان كاذبًا لن تُضارا

لا تَـرُدُّوا الفقـيرَ مِـن غـير مَـنْحٍ فلأنــتُمْ أشــدُّ منــه افتقــارا
وافعلــوا الخـيرَ للمــساكين كـيما تُرْزَقُـوا رقَّــةً وتُوفُــوا انتــصارا
ارحمــوا تُرحَمــوا فــربُّ البرايــا يجعــلُ الفهــمَ للــرحيم شــعارا
مَـن ينــازعْكم الــدُّنا فاتركوهــا غــيرَ مأســوفة وســيروا كِبَــارا
ولــدَرْس العلــوم ربَّــى رجــالًا لا يُجــارَوْن حكمــةً واقتــدارا
وبــه الأزهــرُ اســتوى لأشــدٍّ بعــدما كــاد ركنُــه أن يُهــارا
في رُوَاقٍ أشــادَ حَــوْزةَ علــمٍ فــازدهَى بــالعلوم ليــلَ نهــارا
ســيدي حُــزتم الفخــارَ بحــقٍّ ومــن النــور نلتمــو أنهــارا
جــدَّد اللهُ دينَــه بعــليٍّ يمطــرُ العلــم كالحيَــا مِــدْرارا
هِمَــمُ الأوليــاءِ بــالحق قامَــت لتعيــدَ الظــلامَ منــه نهــارا
فاهنــأ اليــومَ يــا عَــليُّ قريــرًا مــنهجُ الأزهــر اســتوى وأنــارا
جئتَنــا والنفــوسُ مَــلْأَى سُــخَامًا فغــدَت مِــن زكــاتكم أطهــارا
نظــرةٌ منكمــو إلى نفــسٍ عــاصٍ بــدَّدت مِــن حجابهــا أســتارا
مــا أســاءت إليــه نفــسٌ فــسادَت وعــلى خــصمه العِقــابُ أغــارا
فأمــد الإلــهُ في العمــر مــنكم كــي تــروا مــصرَ كلَّهــا أنــصارا
لا حُرمنــا نــوالَكم ونــداكم فــإلى عطفكــم نَحِــنُّ افتقــارا
أقبــل الــسعدُ يــا زمــانُ فغــرِّدْ مولــدُ القطــب قــد أنــار الــديارا

***


اللهم حرر أرزاقنا من كل معصية تغضبك
علي جمعة
www.DrAliGomaa.com
DrAliGomaa

الإمام المجدد، والعالِم المُربِّي، وشيخ الحوزة الأزهرية

بقلم السيد الشريف محمود أحمد حسين الشريف



وكيل أول مجلس النواب المصري
نقيب السادة الأشراف – مصر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بداية لابد من بيان صعوبة كتابة كلمات – أيا كان عددها – حول أخي وصديقي الحبيب الغالي علي جمعة الإمام المجدد لهذا العصر، والعالِم المُربِّي، فهو مفتي الديار المصرية السابق، وعضو هيئة كبار العلماء، والأستاذ بجامعة الأزهر الشريف، وشيخ الحوزة الأزهرية، وشيخ الطريقة الصديقية الشاذلية، الذي أقامه الله تعالى في نفع الناس، منذ عرفته، ولا يزال، خاصة وهو يقترب من عامه السبعين من عمره بالتقويم الهجري، ولا يألو جهدا في القيام بكل ما يستطيع في سبيل رفعه الدين ونشر الإسلام الصحيح، والدفاع عن مقومات الأمة المصرية بوطنية صادقة حقيقة خالصة، مبنية على مكارم الأخلاق المحمدية التي يسعى شيخنا دوما إلى التحلي بها، فهو صاحب المواقف الدقيقة الحرجة التي يضن الزمان بمثلها، فيسجلها التاريخ وتنتقل من جيل إلى آخر، وتحفظ النفوس صورته كقدوة صالحة وعالم عامل.

إنه العالم الرباني والوارث المحمدي حفيد سيدنا رسول الله ﷺ قولا وفعلا، المجاهد في زمن عز فيه المجاهدون، حيث وقف بكل قوة وشجاعة منقطعة النظير في فضح المتشددين الإرهابيين وبيان حقيقتهم وأساليبهم الشيطانية التي تسعى إلى خراب الأمة وهدم الدين، ولم تثنه محاولاتهم الفاشلة لإيقافه بكل الوسائل

غير المشروعة، حتى وصلت إلى درجة محاولة اغتيال فضيلته الفاشلة، والتي تصدي لها كالأسد الجسور في غير خوف أو تراجع، بل صعد المنبر وخاطب العالم أجمعين يفضح هؤلاء الخونة ويثبت الناس حوله في المسجد وفي كل مكان، حيث ملأ الرعب المكان، إلا أنه بثباته وهدوئه احتضن من كان بالمسجد وقتها يستعد لصلاة الجمعة.

وامتد هذا الدور تجديدا وإحياءً للدرس الأزهري الوطني لكافة المسلمين في كافة المجتمعات العربية والإسلامية، ليس فقط في مصرنا الحبيبة، بل ومع القضية الفلسطينية والسورية وغيرها من قضايا الأمة العربية، ودوره المشهود فيها، ومساندته لأهلها في ثباتهم على الحق، ونادى بذلك في كل المحافل العالمية، حتى مد يده بالسلام للمسيحين في كافة أرجاء المعمورة بالتعاون من أجل نشر السلام، فكان علما على مبادرات السلام العالمية التي جمعت المسلمين والمسيحيين.

أقامه الله تعالى منذ نعومة أظافره مقبلا عليه ينهل من العلوم الشرعية والكونية، دارسا ومعلما، يعمل بما يتعلم، وبما يعلِّم، فأقام الحوزة الأزهرية بعد طول غياب، واستضاف لها جهابذة العلماء في شتى التخصصات، وبدأ بنفسه، يَلْقَى طلابه من جميع أنحاء العالم ومختلف الجنسيات منذ الفجر وحتى ما بعد الضحى في هذه الحوزة الأزهرية، يقرأ المتون ويفك الغوامض ويبين ويوضح الفقه وأصوله، والحديث، والعقيدة، والسيرة، والمنطق، واللغة، وغير ذلك من العلوم بالأسانيد المتصلة، حتى تخرج من تحت يديه الكريمة عدة أجيال من العلماء الذين انتشروا في طباق الأرض، كل منهم يعمل على نشر المنهج الأزهري الرباني، حيث استفادوا فأفادوا ونفعوا وانتفعوا، فكان بحق مجدد هذا العصر.

أقام اللهُ تعالى شيخَنا الدكتور علي جمعة في دار الإفتاء المصرية، حيث تقلد أرفع

منصب فيها، فكان مفتيا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني، فصحح وطور وجدد كل ما يتعلق بها وبالإفتاء، ليس فقط على المستوى المحلي بل على المستوى العالمي، حيث شهد له بهذا القاصي والداني، وأعد أجيالا من القادرين على الإفتاء، فصارت بحق دار الإفتاء مؤسسة عصرية تراثية عالمية يُشار إليها بالبنان.

وصارت كتبه ومؤلفاته في الآفاق تنير العقول، وتصحح المفاهيم، وترد الشبه، يتعلم منها كافة الأجيال، فساهمت في إخماد الكثير من الفتن، وفضح محاور الإرهاب، وبيان خطورة ما تدعو إليه الجماعات الإرهابية التي تهدد ليس فقط الأديان بل تهدد البشرية جمعاء.

وصاحب ذلك دورا اجتماعيا لفضيلة الشيخ الإمام العلامة، جاء في وقت اشتدت فيه حاجة البلاد والعباد إلى مثل هذا الدور الذي كان غيابه سببا في تأثر قطاعات المجتمع تأثرا سلبيا، فأقام مؤسسة مصر الخير، كمؤسسة اجتماعية تعمل في كافة المجالات من أجل رفعة المستوى الاجتماعي، أفرادا ومجتمعات في شتى مناطق مصر وأقاليمها، وبما لا يؤثر على دوره الشخصي الذي يقوم به من ماله الخاص في دعم كل من يلجأ إليه غير طالب الأجر إلا من الله، فالوارث المحمدي يسعى دوما إلى تجديد الأفكار والممارسات التي ترضِي الله عز وجل ورسوله الكريم ﷺ بتطبيق مستنير وتجسيد للمعاني والصفات والمثل التي جاء بها نبينا ﷺ.

حتى ارتأى شيخنا الجليل الدكتور علي جمعة أهمية الحفاظ على البيت الصوفي من تداعيات أثرت فيه في الآونة الأخيرة، فنهض تأسيا بأشياخه ونادى بإصلاح البيت الصوفي، وكانت لحظة فارقة أعلن فيها إقامة الطريقة الصديقية الشاذلية فجاءت موافقة مشايخ الطرق الصوفية على إنشائها بإجماع متفرد، فكان ظهورها بداية عصر جديد لمشيخة الطرق الصوفية تحليا بالعمل، والعمل ظاهرا وباطنا،

وإرساء قيم الرحمة والمحبة، أخذا بكل الوسائل العلمية والتكنولوجية الحديثة، فاجتمع حوله الأحباب.

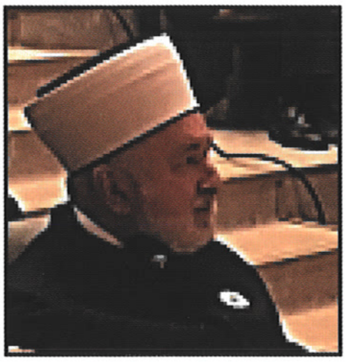
وفي كل مراحل مشواره العلمي والأكاديمي، والعملي التطبيقي، والروحي، لم يقصر لحظة واحدة عن مساندة نقابة الأشراف في كل ما تحتاجه، فلم يغب عنها في أي محفل من المحافل، أو مناسبة من المناسبات، بمساهمة فعالة واضحة، بكل ما لديه مما وهبه الله تعالى له، في تواضع وهدوء ومحبة.

خلاصة القول مع هذه الكلمات الموجزة أنه مما لا شك فيه أن شيخنا الإمام العلامة مجدد هذا العصر، فكما قال الحبيب الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها.

***

صوت الجرأة في وقت المحنة

بقلم فضيلة الشيخ مصطفى إبراهيم الأزهري الحنفي تيسيرتش



المفتي العام السابق للبوسنة

وقد شُرِّفتُ بالمبادرة من الدكتور مجدي محمد عاشور- المستشار الأكاديمي لمفتي الجمهورية وأمين الفتوى بدار الإفتاء المصرية- بأن أكتب كلمة عن ذكرياتي مع العلَّامة الشيخ علي جمعة، وهو مفتي الديار المصرية خلال الفترة من ٢٠٠٣ إلى ٢٠١٣، وهي الفترة التي مارست فيها منصب المفتي العام في دولة البوسنة المستقلة كذلك.

ولم أتردد بأن أقوم بهذه المهمَّة المعتبرة، فهناك واجب موجود لهذه الكلمة التقريظية وإن لم يكن شيء آخر؛ فزيارة فضيلته الأولى من نوعها في عام ٢٠٠٦م بصفته مفتي الديار المصرية لبلاد البوسنة- وذلك بعد الحرب الإبادية على المسلمين فيها- تستحقُّ منَّا التقدير والاحترام البالغ.

أما أنا فبصفتي الأزهري المعتز، فكل عطرٍ مِصْريٍّ من قريب أو بعيد يريح نفسي ويعيد ذكرياتي عن الأيام التي قضيتها بمصر العزيزة في دراسة النحو الوافي والصرف الكافي والنص الصافي والفكر الناجي والعلم العالي والطريق الهادي إلى الشريعة كمورد الماءِ الذي يُسْتَقَى منه بلا رِشاء.

ولعطرِ مفتي الديار المصرية شمُّ الأنوار في الأجنان لدى البوسنة كما لديها لعطر شيخ الأزهر شمُّ الأزهار في الجنات، فقد زار البوسنة شيخ الأزهر عبد الحليم محمود- رحمه الله- في زمن الآمال إلى الإنقاذ من عقدة الإلحاد. أما مفتي الديار المصرية العلامة علي جمعة؛ فزيارته للبوسنة كانت في عهد الإيمان والرباط نحو العزة والإكرام.

ما عرفت الشيخ علي جمعة قبل زيارته لبلادنا، ولكن أول لقائي معه في ساريفو كان وكأنني عرفته طول عمري، هذا يعود إلى فضل قلبه اللطيف وعقله السليم وعلمه الرفيع.

وما زال يتذكر علماء البوسنة كلمته الشهيرة قالها في البوسنة خلال زيارته: «كلام الجاهل في الدين خطير». أما أنا، فقد أرشدني العلَّامة علي جمعة إلى الكتاب لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني: «غياث الأمم في التياث الظلم» الكتاب الذي فيه جواب عن السؤال كنت أبحث عنه في شأن بقائنا في ديننا في البوسنة من دون الخليفة أو الإمام لنا في العالم في المكان الواحد. وفي الحقيقة؛ بعد قراءة هذا الكتاب ومع تجربتي في البوسنة، أدركت مدى الرؤية لإمام الحرمين الجويني في التنبيه على التطير بديننا، وكيف النجاة من هذا التشاؤم الكئيب، وقد عايشته أنا وفهمت من هذه التجربة أن الله هو الذي نزَّل هذا الذكر وأنه حافظ له ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾. وقد ثبتت هذه الحقيقة فعلًا في البوسنة حيث لم يُطْفَأْ نورُ دين الله ولو كره الظالمون ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

ولم تكن هذه اللمعة فحسب، بل كانت هناك اللمع الكثيرة اقتبستها من العلَّامة علي جمعة؛ من خلال زياراتنا المشتركة في الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا والأردن والمؤتمرات العالمية؛ تحت رعاية سمو الأمير غازي بن محمد؛ من أجل تصحيح صورة الإسلام من خلال نشر «كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ» في الغرب، وذلك بعد الأحداث المأساوية التي وقعت في الحادي عشر من سبتمبر/أيلول ٢٠٠١م في نيويورك، والحادي عشر من مارس/آذار ٢٠٠٤م في مدريد، والسابع من يوليو/تموز ٢٠٠٥م في لندن، الأحداث التي لم تترك أحدًا غير مُبال.

ولقد أصيب مسلمو العالم- خصوصًا- بالصدمة من أنَّ مرتكبي هذه الهجمات ادَّعوا أنهم فعلوها باسم الإسلام، فلا يمكن لشخص عاقل قبول أن يُنفَّذ مثلُ هذا العنف باسمه ضدَّ الأبرياء؛ لذا فقد ندَّد المسلمون في مختلف أرجاء المعمورة وبأشد عبارات التنديد الهجوم الإرهابي في نيويورك، والمذبحة في مدريد، والانفجار في لندن.

ولا أنسى عبقرية الشيخ علي جمعة ونحن في المؤتمر في جامعة جورج تاون في واشنطن حيث لخَّص محاضرته في كلمة واحدة فقط حينما قال:

«أنا أحبكم، **I love you**». كانت هذه أقصر وأدل محاضرة حضرتها في حياتي؛ فقد كان أثرها أقوى من أية محاضرة أخرى في المؤتمر.

نعم، ميزة العلَّامة علي جمعة تكمن في قدرته بأن يتطرق مباشرة إلى لب الموضوع بالقول القليل الذي له المعنى الفصيح، وللعلَّامة علي جمعة الميزات الأخرى تتمثل في علمه العالي؛ حيث ينفع للصاحي وللساوي ولم يكن يبالي من النَّدمان ولا من الغافل عن الزمان الحالي؛ وفي تَوَدُّدِهِ إلى الناس الذي رأس العقل عنده بعد الإيمان بالله؛ وفي صداقته لصاحبه مثل قول الشاعر؛ إذ يقول:

إذا مـا بَـدَتْ مـن صـاحب لـك زَلَّـةٌ   فكـن أنـت محتـالا لِزَلَّتِـهِ عُـذْرًا

وفي مخاطبته للناس تيسيرًا وتبشيرًا وتبسيطًا وتفهيمًا في المسائل فيها عقدة العقل واللسان عند بعض الرجال غير واعين بمشاكل الدنيا والدين في هذا العصر المعقد في معاييره الأخلاقية والسياسية والاقتصادية والعلاقات الدولية في ظل العولمة **(globalization)** التي ليست بعد الآن اختيارية، بل هي ضرورية بكل ما فيها من المصالح والضرر لأمتنا الإسلامية؛ وميزته الكبرى ظهرت في صوته

الجريء في وقت الخطير، وذلك في وسط القضايا العالمية والمحلية المعاصرة.

وفعلاً، إن الميزة في اتخاذ الموقف الواضح والحاسم والجريء في الوقت المناسب؛ جعلت العلَّامة علي جمعة ينفرد من العلماء الآخرين، وأكدت وعيه التام بأن الأمن والاستقرار للدولة والمجتمع المسلم ثمن غالي لا يُرضِي بعضَ الناس، ولكن ثمن الفوضى أغلى منه حيث كل الناس غير راضين عنه.

نعم، عند الخيار بين الثمن الغالي من أجل أمن الدولة والمجتمع المسلم والثمن الأغلى منه بسبب الفوضى مهما كان مصدره ودوافعه، اختار العلَّامة علي جمعة الخيار الأول قبل الخيار الثاني ولو كره بعض الناس.

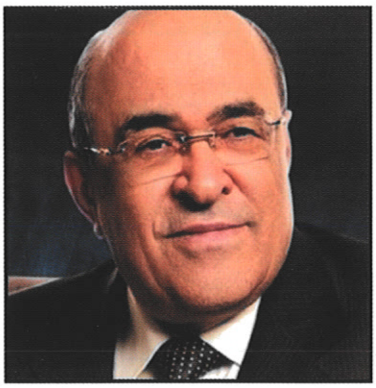
وفي نهاية المطاف، فالحكم لله في أوله وفي آخره وفي باطنه وفي ظاهره. نعم، بقي لنا الحكم في ظاهره فقط وهو أن العلَّامة علي جمعة واقف على زمانه بصوته الجريء، وأنه عالم بمصلحة الأمة بموقفه الصريح، وأنه ناصر لعصمة الدين بعقله السليم، وأنه صادق في حبِّه لمصره الحبيبة، أرض الكنانة والنيل والأزهر والعزة والكرامة للأمة الإسلامية في الماضي والحاضر والمستقبل.

فلنعلم، عُمْرُ الرجال هو الفاني وعُمْرُ مصرَ مع النيل والأزهر هو الباقي إلي ما شاء الله الرحمن الرحيم ليبقي عُمْرُها إلى يوم القيامة والدين ﴿وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾.

***

إمام الأئمة وبدر التتمة

بقلم د. مصطفى الفقي



مدير مكتبة الإسكندرية
سكرتير رئيس الجمهورية المصري الأسبق

إمام الأئمة وبدر التتمة، شمس الضحى وقطب الرحى.. بهذه الكلمات أنادي الصديق العزيز العالم الجليل د. «علي جمعة» كلما هاتفته في أي وقت، فالرجل تربطني به علاقات تمتد لما يقرب من خمسين عامًا، فقد كان زميلًا لشقيقي الأصغر عندما كانا يدرسان في جامعة عين شمس، كما كان يؤدي الصلاة في مسجد «قاهر التتار» بمصر الجديدة، وغالبًا ما كان يلتقي بوالدي - رحمه الله - في رحاب ذلك المسجد، فيتحدث معه في علوم القرآن ومعجزاته البلاغية.

ثم مضت به السبل لكي يتفرغ للدراسات الأزهرية، ويقطع فيها شوطًا كبيرًا؛ ليحصل على شهادة جامعية ثانية، ثم اختتم المسيرة بدرجة الدكتوراة الرفيعة، التي حصل عليها بعلمه واجتهاده، حتى ذاع صيته خطيبًا لامعًا في واحدٍ من أكبر مساجد مصر، وأصبح له جمهور ومريدون، والتف حوله الناس إلى أن جرى اختياره مفتيًا للديار المصرية، فكانت فترة زاهرة قام فيها بثورة تحديث، وانتهج- ذلك العالم الموسوعي- سبلًا لتبسيط صورة الإسلام والتيسير على المسلمين، فازداد مؤيدوه وتضاعف مريدوه حتى ملأ الدنيا وشغل الناس.

وعندما ترك دار الإفتاء ازداد تألقًا بأحاديثه التليفزيونية وأقواله المروية وكتاباته الرصينة، ثم اتجه إلى عمل الخير من خلال جمعية كبرى تسعى لتحرير الغارمات

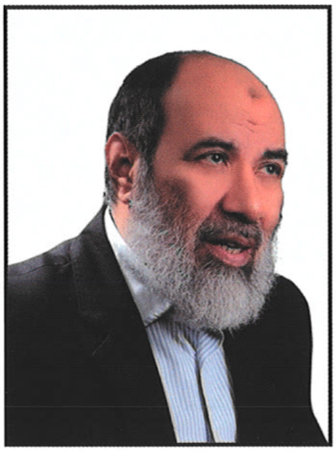
وتدعيم الأسر الفقيرة ورفع مستوى من يستحقون العون ويحتاجون إلى المساعدة، وفي خضم ذلك كله جرت محاولة آثمة لاغتيال ذلك العالم المجدد من فئة لا تعرف قدر العلم ولا منزلة العلماء، ولكن الله كتب له النجاة، ولازال الدكتور علي جمعة يواصل عطاءه من علمه النافع، وينشر فتواه من مخزون دراساته العميقة وقراءاته الواسعة، التي بدأها في سن مبكرة بتشجيع من والده - رحمه الله- وقد كان رجلًا ميسور الحال من محافظة بني سويف، فجعل لابنه ميزانية مفتوحة لشراء الكتب عندما اكتشف شغفه بالعلم، وفهمه لصحيح الدين وعشقه للمعرفة في كل فروع الحياة، ولذلك فأنا أراه بحق يمثل شخصية عالمٍ متعدد الجوانب يملك من أسباب البحث العلمي ومناهجه وأدواته ما لم يتيسر للكثيرين من حملة الكتاب ورجال الدين الحنيف.. تحية للإمام «علي جمعة» من صديق يعتز به، وأخ يكن له كل التقدير والاحترام.

أمد الله في عمره ونفع بعلمه الإسلام والمسلمين بل والبشرية جمعاء.

***


القاهرة
مباشر

قراءة في فكر العلامة د. علي جمعة
بقلم د. ناجح إبراهيم


طبيب ومفكر إسلامي مصري

- في عام ٢٠٠٨ وصفته التايمز البريطانية بالمفتي الحكيم.

- في عام ٢٠٠٩ اختارته جامعة جورج تاون الأمريكية ضمن عشرة زعماء دينيين على مستوى العالم أثروا في العالم الإسلامي.

-وفي نفس العام شهد له معهد السلام الأمريكي بقوله: «شيخ نشيط في حوارات الأديان العالمية، ويرى أن الحوار يزيل العوائق».

-وفي نفس العام احتل المركز التاسع في قائمة أكثر ٥٠ شخصية إسلامية مؤثرة في العالم الإسلامي، ضمن قائمة يعدها المركز الملكي للبحوث والدراسات الإسلامية، التابع لمؤسسة آل البيت الملَكية للفكر الإسلامي في عمَّان.

- في عام ٢٠١٠ وزَّع معهد الدراسات الشرعية تاكوشوكو باليابان ٥٠ ألف نسخة من محاضرته في جميع أنحاء اليابان، والتي لاقت قبولًا واسعًا؛ لأنها وضعت دستورًا للنقاش بين المسلمين وغيرهم في اليابان.

- د/ علي جمعة لم يهتم بالفقه والفكر والعلم فحسب، حيث لم يترك علمًا من العلوم الدينية والإنسانية إلا وضرب فيه بسهم؛ بل ضرب بسهم وافر في العمل الاجتماعي المؤسسي وليس الفردي كما يصنع غيره، فهو رجل دولة ورجل مؤسسات، لا يؤمن بالعمل الفردي الذي يزول بموت صاحبه. وكما حوَّل دار الافتاء المصرية إلى مؤسسة علمية وفقهية وإدارية عريقة رائعة قابلة للتطور

المستمر؛ اهتم في العمل الاجتماعي بنظرية المؤسسة التي تدوم ولا تزول، فأسس (مصر الخير) أقوى وأعرق مؤسسة خيرية مصرية في العصر الحديث، وذلك عام ٢٠٠٧ بهدف الاستمرار لأكثر من ٥٠٠ عام، حيث تعمل بأحدث منهجيات العمل المؤسسي التنموي والحر.

- وقد وزعت مصر الخير في العام الماضي ٢٠١٩ أكثر من ١٥ مليون كرتونة غذاء للفقراء في شهر رمضان فقط، وفكَّت أسر أكثر من ٥٠ ألف غارمة، فضلًا عن عشرات الآلاف من الجراحات الدقيقة للفقراء من المرضى.

- ويعد د/ علي جمعة رائدًا في فكرة فك الغارمات في مصر.

- ويعد د/ علي جمعة من رواد الإشراف على الموسوعات الكبرى، فقد أشرف منذ عام ٢٠١٢ في الإمارات على (معلمة زايد للقواعد الفقهية)، وهي أكبر موسوعة علمية خاصة بالقواعد الفقهية والأصولية ومقاصد التشريع الإسلامي، وغير ذلك من الموسوعات.

- كما أنشأ مشروع حفظ التراث الإسلامي مع نخبة من كبار علماء الأزهر.

- كما أسس جمعية (المكنز الإسلامي) وهي مؤسسة علمية غير هادفة للربح؛ لدعم التراث الفكري والثقافي والفني والإسلامي وحمايته ونشره.

- لم يأتِ ذلك كله من فراغ، فالعلامة د. علي جمعة ليس مجرد فقيه أو مفتٍ لأكبر وأعرق دولة إسلامية في الشرق الأوسط فحسب، ولكنه يعد منظومة فريدة، جمعت بين العلوم المدنية والدينية، وجمع بين فقه الأوائل ومتونهم وحواشيهم، وبين الفقه الحديث الذي يحسن قراءة الواقع ولا يجتر مسائل الفقهاء الأوائل اجترارًا لا علاقة له بالواقع المعاصر، وجمع بطريقة صحيحة بين الواجب الشرعي والواقع العملي، وبين نصرة الإسلام وإنصاف الآخر، وبين الشريعة

والحقيقة، وبين الفقه والتصوف السني العلمي الصحيح، وفرَّق بين التصوف السني الصحيح والتشيع الذي يسيء لكبار الصحابة، وعلى رأسهم الصديق العظيم أبو بكر، والخليفة العادل عمر بن الخطاب، والصديقة بنت الصديق السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم جميعًا.

ويمكن تلخيص جزء من فكر الدكتور علي جمعة في النقاط التالية:-

- رفض عقلية الخرافة ورأي أنها أكبر كارثة ألَمَّت بالعقل البشري عامة؛ لأنها أدت إلى منهج الانتحار الذي أنتج التكفير والقتل والاغتيال، كما أدت إلى منهج الانبهار بالآخر الذي أنتج منهج التعدي على مصادر الشرع الشريف الأساسية وإنكار السنة أو الإجماع مثلاً، أو تحويل الإسلام إلى لاهوت التحرر أو لاهوت العولمة.

وأدت كذلك إلى منهج الانحسار والانعزال والفرار من الواقع والتقوقع على الذات.

وأدت أيضًا إلى منهج الاجترار الذي أدى إلى التمسك بمسائل محددة من التراث، ومحاولة إنزالها بعينها في واقع مختلف نحياه اليوم.

كما أدت عقلية الخرافة كذلك حسب رأي د. علي جمعة إلى منهج أسماه المنهج الماضوي، الذي يريد التغاضي عن واقعه ومجتمعه وقضاياه؛ لينزل عليها مسائل فقهية لا تناسبه ولا توافقه ولا تصلحه، وقيلت في واقع مختلف وزمن مختلف وبيئة مختلفة.

ويرى كذلك أنها أدت إلى منهج الاغترار الذي أصاب الكثير من خارج الدراسات الدينية الأكاديمية، الذين أقحموا أنفسهم في مجال الشرع الشريف، أو عند الدارسين الشرعيين في مراحلهم الأولى، وعاب على هذين الفريقين اعتقادهم في حقهم في تجديد الدين؛ غافلين عن قلة بضاعتهم الشرعية من ناحية، وعدم إدراكهم للواقع من ناحية أخرى، وقال: إن هؤلاء لم تكتمل لديهم أدوات

العلم الشرعي الذي يوصل لمرحلة الاجتهاد؛ حتى وإن حصلوا شيئًا منه.

- وفرق د. علي جمعة بين البحث في علم ما، والكلام عن ذات العلم، والفرق بينهما هو الفرق بين كلمتي «في» و«عن»، فكلمة «في» تستلزم استكمال العملية التعليمية بعناصرها الخمسة (الطالب، الأستاذ، الكتاب، المنهج، الجو العلمي).

- ومن أطروحاته الجميلة تفريقه بين الفقه القديم والحديث، حيث إن الفقه الحديث تعامل وفرَّق بين الشخصية الطبيعية التي تحدث عنها دائمًا الفقه القديم، والشخصية الاعتبارية التي أصبحت واقعًا لا يمكن إنكاره أو تجاوزه، ولا تزال تنفصل وتستقل عن الشخصية الطبيعية حتى كمل استقلالها وأصبحت كائنًا بذاته.

- ومنها تفريقه الرائع بين الاجتهاد والاجترار، فالاجتهاد عبارة عن مجموعة من الآليات التي يسلكها المجتهد لإعمال نصوص الكتاب والسنة؛ أي- الجزء الثابت من الشريعة- في الواقع المتغير. أما الاجترار فهو التعامل مع التراث الإسلامي ككل على أنه ثابت لا متغير فيه بما في ذلك الزمان والمكان والأحوال والأشخاص. ويخلص من ذلك إلى أن الاجتهاد ظاهرة صحية تؤدي إلى التجديد، أما الاجترار فهو ظاهرة سلبية تعطل مسيرة الاجتهاد والتجديد.

- وفرَّق بين الفقيه المجتهد والفقيه المجتر بإطلالة رائعة، أوضح فيها أن الأول يتعامل مع التراث بمبدأ الموازنة بين الثابت والمتغير، ويأخذ منه نصه وروحه، ويفعِّل نصه مع مقاصده، أما الفقيه المجتر فيتعامل مع التراث على أنه كل لا يقبل التجزئة؛ بغض النظر عن الواقع الذي نحياه ونعيشه، وهذا الفقيه يأخذ النص فقط؛ مهملًا روحه ومقاصده والموازنة بين الثابت والمتغير فيه.

- وعاب على الشعبية التي اجتاحت العالم كله كمفهوم خاطئ للمساواة، نتج عنها إذابة النخبة وعدم التفريق بين الدهماء والصفوة، فالكل في النهاية تحول إلى

فرد، وهذا رجح كفة الكم على حساب الكيف، وأدى إلى تراجع مفهوم أهل الحل والعقد وأولي الأحلام والنهى في مقابل صوت الأغلبية، فالمساواة الحقيقة لا تعني التساوي في كل شيء.

– ويعيب على العصر الحديث أن النشاط فيه يسبق الفكر، وذلك عكس المنهج الإسلامي الصحيح الذي يعلو فيه القلب على العقل، والعقل على الجوارح، ولكن الآن الجوارح تسبق العقل، والأخير يسبق القلب، بل يخرج العقل عن مقتضاه في مواجهة مولاه سبحانه.

– ويعيب على من ينكر وجود الله والرسالات السماوية قائلاً لهم: فمن أين يُعرف الحق من الباطل؟ إذًا سيأخذ الناس حقوقهم بالقوة وتصبح القوة هي المعيار، أو الواقع هو المعيار، والواقع يصنعه الأقوى.

– وحارب (مرحلة ما بعد الحداثة) حربًا شعواء؛ لأنها مرحلة لانهائية تسعى لإلغاء الجنس البشري، وتجعل الإنسان هو الذي يحدد جنسه وليس الله سبحانه، فالرجل يتزوج الرجل، والمرأة تتزوج المرأة، وقال: إن خطر هذه الفكرة هو غياب القدر المشترك بين جماعة البشر بالكلية، وأنها ستؤدى إلى الهرج والقتل، واستخدام القوة بين الناس؛ لأنه لا توجد قاعدة للحوار بينهم، فقد هدمت كل البديهيات والمسلمات.

– ويرى د. علي جمعة أن الحضارة الإسلامية حضارة روحية في أساسها انبثقت عنها آثار فنية وعمرانية واجتماعية، وهذا الظل الروحي هو الذي ظلل حضارتها في صورها المختلفة، فلم ينبثق عن تصور إنساني أرضي صِرْف؛ بل هو ممدود بمدد السماء موصول بنور الوحي مشمول بهدي النبوة.

– وقارن بين النموذج المعرفي الإسلامي والغربي قائلًا: في النموذج الإسلامي هناك الفطرة، ولديه مساحة للقداسة، فالقرآن والنبي والكعبة مقدسة عندي، بينما يراه الغربي شكلًا من أشكال الوثنية.

- والغربي ومن على شاكلته يعتبر كل شيء من باب التشيؤ، حتى الإنسان هو شيء من الأشياء يطبق عليه الأساليب التجريبية والكمية بلا تحفظ، بينما الإسلام في نموذجه المعرفي يراه كائنًا فريدًا مخلوقًا مكرمًا.

- النموذج المعرفي الإسلامي ليست لديه مشكلة مع الآخر، أما عند سارتر مثلاً (فالعذاب هو الآخر).

- الناس عند المسلم إما أمة دعوة أو أمة إجابة، فلا مشكلة مع أحد في الأساس.

- في النموذج الإسلامي: أساس السلوك والاعتقاد هو التكليف الإلهي (الحلال والحرام) بينما يقوم في النموذج الغربي على المصلحة وفق ما يعن إلى الإنسان، حتى ينفق الغرب على كلب أو قطة الملايين، ولا يحبون إنفاقها على الأفارقة أو الأسيويين المنكوبين الفقراء.

- ويرى فضيلة د. علي جمعة: أن توليد العلوم فرض على المسلمين في كل العصور، وقد قام بذلك علماء الإسلام حتى القرن السادس الهجري، وألفوا علومًا كثيرة في أصول الفقه، ومصطلح الحديث، وعلوم السنن الكونية أو الإلهية، وغيرها مما جدده المسلمون في علوم الكيمياء، والفلك... إلخ.

- ويرى فضيلته: أن الأمة تضيع إذا ضيعت هذه الفرص، وتصبح عالة على غيرها، ويعتبر أن منهج توليد العلوم هو منهج الصالحين من هذه الأمة، وضرب مثلًا بالإمام النووي الذي كان يعمل عشرين ساعة يوميًّا حتى إنه لم يتزوج لكثرة انشغاله بالعلم، وكذلك النويري في نهاية الأرب، والقلقشندي في صبح الأعشى، وابن منظور في لسان العرب، وغيرهم من أصحاب الموسوعات، وكيف عمل هؤلاء في أصعب الظروف.

- ويرى: أن الفتاوى تتغير بتغير الزمان أو المكان أو الأشخاص أو الحال.

- وجعل فضيلته دار الإفتاء المصرية ملتزمة بما صدر عنها كمؤسسة، ولا تعارض ما صدر عنها من قبل إلا لتغير الجهات الأربعة، التي تستلزم التغير في الفتوى، والتي ذكرناها آنفًا.

- ووضع منهاجًا لدار الإفتاء المصرية لاعتماد الفتوى ينص على:

أولًا: نقل المذاهب السنية الأربعة المعروفة والمشهورة (الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة) مع الاعتراف بالمذاهب الأخرى، والاستئناس بها، بل وترجيحها أحيانًا لحاجة الناس، أو لتحقيق مقاصد الشرع، وهي (الجعفرية، والزيدية، والإباضية، والظاهرية).

ثانيًا: أحيانا تتسع دائرة الحجية عندها إلى مذاهب المجتهدين العظام، كالأوزاعي، والطبري، والليث بن سعد وغيرهم (أكثر من ثمانين مجتهدًا في التاريخ الإسلامي) تستأنس بآرائهم، وقد ترجحها لقوة الدليل، أو لشدة الحاجة إليها، أو لمصلحة الناس، أو لتحقيق مقاصد الشرع الشريف.

ثالثًا: تلتزم دار الإفتاء بمقررات المجامع الإسلامية، وخاصة في القضايا المستحدثة العامة وتشتد حاجة الناس للفصل فيها بشكل جماعي.

- ويرى فضيلته: أن المؤمن يتخلق بصفات الجمال، ولا يتخلق بصفات الجلال؛ بل يتعلق بها؛ فيعفو ويصفح، ويمسك نفسه عند الغضب، ويصبر على أمر الله الكوني والشرعي.

- ويقول: يعتقد المؤمن أن للزمان والمكان والأشخاص والأحوال حرمة يراعيها، فيقدس ليلة القدر، والكعبة، والمصحف، وينزل النبي منزلة عظيمة.

- ويرى أنه لا خلاف حقيقي بين أهل الشريعة وأهل التصوف.

- ويرى أن المتصوفة شغلوا أوقاتهم بذكر الله سبحانه والتفكير في كونه الفسيح ومجاهدة النفس؛ للترقي إلى أعلى مقامات القرب وصولًا إلى مقام المعرفة، فتكلموا بما شاهدوه فأنكر عليهم بعض الفقهاء والأصوليين والمحدثين.

- ويرى د. علي جمعة أنه لا خلاف حقيقي بين الفقهاء والصوفية، فكلاهما نظر إلى الأمر من جهته، وكلاهما صادق في حكمه، ولا تناقض بينهما؛ لأنهما لم يتواردا على جهةٍ واحدةٍ.

- وقد واجه د. علي جمعة مع تلاميذه ظاهرة الانحراف عن التصوف الحق، وخاصة ظاهرة الخروج عن الشرع الحنيف؛ بحجة إدراك الحقائق، فأطلق الصيحة الشهيرة التي أقرها السلف الصالح: «من تشرع ولم يتحقق فقد تفسق، وفسقه أنه جاهل، ومن تحقق ولم يتشرع فقد تزندق». فالله قد منَّ عليه بالحقيقة، ولكنه استعمل هذه المنة في غير موضعها، فالذي ينكر التكليف ويدعي التشريف يكون زنديقًا.

- فإذا بترت اليد مثلا، فلا مجال لإعمال حكم غسلها في الوضوء، وكذلك إذا لم يوجد الرقيق في الواقع طبقًا لأحكام المنظمات الدولية، ولذا فإن كل الأحكام التي وردت في القرآن الكريم والتي تخص الرقيق لا نفاذ لها في الواقع؛ لأن محل الحكم غير موجود أصلاً، وهذا يحل إشكالًا كبيرًا، لو فهمه الدواعش مثلًا ما وقعوا في الأخطاء الكارثية في استرقاق الآخرين مثل الأزديين في العراق، فضلًا عن غيرها من المآسي.

- وقاعدة غياب المحل هذه، لو تم تطبيقها في مجالات كثيرة لحلت إشكاليات كثيرة أتعبت الشباب المتدين، وحيرت حركات الإسلام السياسي، ومنها أحكام الجزية وغيرها الموجودة في القرآن والسنة، إذ هي منوطة بمحل عدم مشاركة

الأقباط في الخدمة العسكرية، أو وجود تعريف فقه أهل الذمة قانونيًّا؛ لكن الموجود الآن فقه المواطنة وهو الذي حل إشكاليات كثيرة في الدول الإسلامية.

- واهتم بقضية اللحظة اللطيفة وأثرها في الأحكام الشرعية، وأهميتها في تصحيح بعض العقود.

- ويرى أن الدعوة إلى الله هي مناط العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية.

- ويرى أن الصبر وتحمل الأذى والصفح والإعراض، والدعوة بالقلم واللسان، وانتهاج الأساليب السلمية والمهادنة من وسائل الدعوة إلى الله - يستعان بأيٍّ منها ويصار إليه حسبما تقتضيه الظروف.

- واهتم العلامة د. علي جمعة بقضية الابتعاث للعلم في الخارج وتنمية المواهب العلمية للفقراء المتميزين علميًّا وغير القادرين على الذهاب للبعثات العلمية، فأوفد عدة آلاف من الطلاب النابهين عبر مؤسسة مصر الخير إلى الدول المتقدمة علميًّا وصناعيًّا.

- وهذه أول مرة يقوم فيها عالم أزهري بمهمة الإرسال العلمي للخارج دون عون من الدولة، وفي تخصصات علمية غير دينية أو إنسانية ولكن في العلوم التطبيقية.

- كما اهتم بنظرية تفريق الأحكام وأثرها في اختلاف أحوال الأحكام الشرعية الواردة على المحل الواحد باعتبارات مختلفة.

وختامًا: فالدكتور علي جمعة قد ربط بكل سهولة ويسر بين زهد العالم وتدينه مع مظهره الجميل ورائحته الزكية ولباسه الرائع.

بارك الله لمصر وللأمة وللأزهر في عالمها الجليل د. علي جمعة، وأطال عمره ورزقه طول العمر وحسن العمل، وسلام عليه وعلى كل العلماء الذين أضاءوا الدنيا بنور العلم.

العالم المستنير صاحب الوجاهة والاحترام والمبادئ

بقلم الأستاذ نيازي سلام



رئيس مجموعة بنوك الخير
مصر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمَّان الأكملان على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

بدايةً قد تكون كلمتي أو شهادتي عن فضيلة الدكتور علي جمعة مجروحة نظرًا لطول فترة صداقتي له ومحبتي وأخوتي، التي أرجو أن تكون لله وفي الله، ولكن ما يشفع لي أن ما سأذكره لا يختلف عليه اثنان، اللهم إلا ذوي النفوس المريضة من أعداء الدين والوطن؛ لذا فإنه من دواعي سروري وإنه لشرف عظيم لي أن أتحدث عن فضيلة مولانا الدكتور علي جمعة هذا العالم المستنير المتفتح الوسطي الذي مَنَّ الله عز وجل عليه بأن استكمل له كل دروب العلم والحكمة في أمور الدنيا والدين، ومن حسن الطالع أيضًا أن أكون واحدًا من شاهدي العصر على إنجازات فضيلته في دار الإفتاء، والتي أصبحت بجهده وفضله، وكذا بجهد تلامذته النوابغ النجباء منارة إشعاع وتنوير، ومصدر عون وخير للبلاد والعباد خلال السنوات الأخيرة في ظل قيادة العالم الجليل فضيلة الدكتور علي جمعة، والتي يشهد له فيها بذلك القاصي والداني.

وأنا شاهد هنا على النقلة العصرية التي شهدتها دار الإفتاء في عصره، من خلال تحديد رؤية ومهام وأهداف قصيرة ومتوسطة وطويلة الأجل واضحة، وهي مهمة تاريخية؛ لأنها ستعود وستكون آثارها ليست للأجيال الحالية بل تتعدى

ذلك إلى أجيال وأجيال قادمة، إضافة إلى إعادة هيكلة الدار وتنظيم عملها ومخرجاتها، وهو ما لمسنا جميعا أثره من خلال الكم الهائل من الفتاوى التي تصدر عنها، وكذلك المخرجات الأخرى في جميع المجالات، وخاصة البحثية والخيرية والاجتماعية، مما عاد بالنفع على العباد في أمور الدنيا والدين.

إن فضيلة الدكتور علي جمعة هو شخصية لها وجاهتها واحترامها ليس فقط في بلده مصر، ولكن كذلك في جميع أنحاء العالم بشكل عام والعالم العربي والإسلامي بشكل خاص، والدليل على ما أقول هو اختياره من ضمن أكثر مائة شخصية مؤثرة على مستوى العالم في هذا القرن، وهو ما لم يأتِ من فراغ حيث إنه يحترم العلم والمنطق، ولا يحيد عن الأصول الإسلامية الصحيحة، فهو يمزج بين الإيمان والعلم والأخذ بالأسباب والمبادئ الإنسانية، التي تساعد جنبًا إلى جنب في تحقيق الأمان في الأمة الإسلامية والعالم أجمع وبناء مستقبلهما المشترك.

ولن أُبالغ إذا أعتبرته ظاهرة إنسانية تستحق المتابعة حيث يتصف بالتسامح والوعي الاجتماعي على المستوى الشعبي والإنساني، فهو كما أعرفه موسوعة معارف متعددة ومتنقلة، ولديه وعي كبير بالتاريخ والثقافة بجميع فروعها، وكذلك بما هو جديد وحديث في شتى العلوم بما فيها التكنولوچيا، مما كان له الأثر الأكبر في تحويل دار الإفتاء المصرية إلى مؤسسة حاضرة في ذهن المسلمين الآن في كثير من دول العالم، فلم يكن يتصور أحد أن يهتم بالتراث والسجلات، ولكن فضيلة الدكتور علي جمعة بادر بحفظ التراث، فهو مؤمن بأن الفتاوى هي مصدر مهم للباحثين في علوم الاجتماع، وحولها من خلال خلق كوادر مؤهلة ونابغة إلى وسيط إلكتروني يستطاع الدخول عليه والاستفادة منه لكل الناس، وهو أمر لا يحدث إلا في المكتبات الكبرى في العالم.

وبما أننا ومنذ سنوات نعيش فترة استثنائية فيها ما فيها من متغيرات يعلمها الجميع، وهنا يحضرني ويجدر بي أن أستعير مقولة العالم الجليل الدكتور الفاضل أحمد عمر هاشم حين قال عن فضيلة الدكتور علي جمعة: إنه إحدى الشخصيات النادرة التي تظهر في التاريخ على فترات متباعدة، وإن مصر في مرحلة تحتاج لمثله، مرحلة سادها التفرق والتشرذم والاختلاف والانقسام، مؤكدًا أننا نحتاج لمن يفتي عن علم، وعمن يُقَرب لا يُبَعد يُوَحد لا يُفَرق، نحتاج إلى الشيخ علي جمعة في هذا المعترك الكبير؛ لأننا نحتاج لرأب الصدع وتوحيد الصف وجمع الكلمة، مضيفًا أن التاريخ يشهد له وكذلك الكل برجاحة العقل والعمل والحرص المستمر على تطوير الخطاب الديني الذي نحن الآن في أحوج ما يكون له.

فضيلة الشيخ الدكتور علي جمعة كرَّس نفسه للصالح العام، ليس للمسلمين فحسب، ولكن لجميع الإنسانية بما يجعله يمثل وجهة مشرفة للعالم الإسلامي؛ لسعيه الدءوب لتوضيح منهجية السلام والتكافل والأمن والأمان، الذي يمثل الفكرة الأساسية في الدين الإسلامي.

وهنا يجدر بي أن أذكر ما لمسته بشكل شخصي وعن قرب للدور الكبير لفضيلته في دعم بنك الطعام المصري منذ كانت فكرة مروراً بتأسيسه وحتى يومنا هذا، بتوجيهاته وإرشاداته لعمل الدراسات والأبحاث المطلوبة والاستفادة بالخبرات والتجارب المماثلة في العالم، والتي قدم لنا فيها فضيلته يد المساعدة من خلال مخزون معلوماته القيمة الشخصية، وذلك حتى نبدأ ونحن على أرض صلبة وقواعد سليمة، تضمن لنا الاستمرار والنجاح في تحقيق الهدف السامي والنبيل، المتمثل في خدمة الفقراء والمساكين والمحتاجين من إخوتنا وأبنائنا في مصر، ثم التوجه في خطوة تالية لمساعدة أخوتنا في الدول المجاورة، ثم وصولًا للعالمية.

وهو كذلك كان أول من نادى وطالبنا بعد أن نضمن استقرار الأوضاع ببنك الطعام أن يكون من ضمن أهدافنا إنشاء بنوك أخرى لتغطي باقي مناحي الحياة، والمساهمة كذلك في التنمية، والذي كان طلبًا ثم أصبح حلمًا، ثم أصبح حقيقة واقعة من خلال إنشاء بنك الشفاء وبنك الكساء وبنك المهارات وبنك الحياة الكريمة، وكذلك إنشاء شركة وفرة لتربية الأبقار الحلوب وتحسين السلالات والتسمين؛ لتغطية الاحتياجات الخاصة بصكوك الأضاحي، والتي هي مملوكة بالكامل لبنك الطعام المصري.

وأيضا أذكر من ضمن الإنجازات الكبرى مبادرة فضيلته في تأسيس مؤسسة مصر الخير، والتي شَرُفت باختياره للفقير أن أكون من ضمن المؤسسين، وكذلك عضوًا بمجلس أمنائها، تلك المؤسسة الخيرية الكبرى التي تدار بشكل احترافي على أعلى مستوى، والتي تقوم بتقديم خدمات جليلة غير تقليدية في مجال التعليم والبحث العلمي والصحة والأمن الغذائي والتنمية والاستثمار بكل أشكاله، وكذلك مختلف مناحي الحياة التي تشمل الصحة والتشغيل ومختلف الفنون الإبداعية، وكل ذلك بهدف بناء الإنسان بناءً صحيحًا يجعله عصيًّا على جماعات الإظلام والهدم والتخريب وتيارات الإرهاب الفكري.

ولقد تأسست «مصر الخير» عام ٢٠٠٧م وذلك بهدف الاستمرار لأكثر من ٥٠٠ عام، وذلك بالاستناد على هيكل مؤسسي لا يعتمد على الأشخاص بل على العمل المؤسسي، حيث تعمل بأحدث منهجيات العمل المؤسسي التنموي والحر.

ناهيكم عن تأثيره القوي والفاعل في مجال الدعوة والفتوى ونقل العلم من خلال المجالس والدروس والخطب والكتب والأبحاث العلمية والبرامج التليفزيونية العديدة وبالذات البرنامج الأشهر «والله أعلم» والذي يستفيد منه

ويتابعه وينتظره الملايين بمنتهى الحب والشغف؛ نظرا لأسلوبه الغير تقليدي، فهو يمثل الوقار بعينه، والدعابة الجميلة المحترمة في محلها، وفي ذات الوقت الأسلوب الشبابي الشيق والمحبب، والذي يخاطب عقول كل الأعمار دون استثناء وبخاصة الشباب الذي هو الأحوج في هذا الزمان، وهي معادلة صعبة، وتحتاج موهبة وقدرات خاصة، قد حباه الله عزَّ وجلَّ بها، ولا تتوافر إلا في قلة من علماء الدين في الوقت الراهن.

وهنا أكتفي بهذا القدر، فلو أردت أن أُعدد الإنجازات فسأحتاج لمجلدات ومجلدات فما زال هناك الكثير والكثير مما يشهد عليه الكثير، بارك الله لنا في فضيلة الدكتور علي جمعة مفتي الديار المصرية السابق، وعضو هيئة كبار العلماء، ورمز العمل الخيري المؤسسي.

أسأل الله عز وجل أن يمد لنا في عمره، ويفتح عليه بفتوح العارفين به، وأن يوفقه لما يحبه ويرضاه، وأن يستخدمه ولا يستبدله، وأن يقوي ظهره لما فيه خير البلاد والعباد، وأن يجعل كل أعماله خالصةً لوجهه الكريم. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

***

العالم الأصيل حامل هموم الإنسانية

بقلم الأمير هاشم الدندراوي



أمير قبائل وعائلات
الأسرة الدندراوية

عالمٌ أزهري؛ حائز على شهادة الدكتوراة في أصول الفقه من كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر عام ١٩٨٨؛ شَغَل منصب الإفتاء في مصر المحروسة لمدة عشر سنوات (٢٠٠٣-٢٠١٣) فأنشأ خلالها إدارات جديدة وعددًا من المراكز، عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، أصدر العديد من الفتاوى في قضايا معاصرة تمسُّ حياة الإنسان، انطلاقا من قناعته بأن الفتوى تمثِّل حلقة الوصل بين الماضي والحاضر، فدلَّل على علمٍ أصيل وعقلٍ مستنير وجرأةٍ بالرأي وتقديرٍ حكيم لحاجات الناس وضرورات الوقت، شارك في الحياة الأكاديمية في جامعات مصرية وعالمية؛ عبر الإشراف على رسائل وأطروحات، وعبر المناقشات، ووَضْع البرامج الدراسية، وسَّع مسافة وجوده العلمي ليتجاوز المجال العربي إلى العالمي، فشارك في مؤتمرات حوارية تجتهد لبناء جسور الثقة والسلام العالمي بين الحضارات والثقافات وأهل الأديان، فألقى المحاضرات في بلدان العالم الغربي من الشرق الأقصى إلى المدن الأميركية مرورًا بالعواصم الأوروبية، أطلَّ في برامج تلفزيونية عديدة تتسم بنفحةِ استدامةٍ فخاطب الناس بلغة العصر، وعمل على تصحيح بعض المفاهيم لإرساء ثقافة دينية مجتمعية منفتحة على الآخر المختلف، وتتصف بوسطية الإسلام الحنيف المنزَّه عن التطرف والتعصب والغلو والمغالاة، ألف العديد من الكتب والدراسات والمقالات الواسعة الانتشار، نال العديد من الأوسمة والدروع، وصنف طوال السنوات العشر الأخيرة ضمن الشخصيات الخمسين الأكثر تأثيرًا

في العالم، إنه سماحة الشيخ الدكتور علي جمعة، حفظه الله.

هذا العالم الفقيه، لم يكتفِ بأن يخاطب الناس من مواقع الإرشاد والإفتاء والتوجيه والتثقيف والتعليم، بل انعطف بهمِّه المعرفي والإنساني وِجْهَةَ «التفكير في الإنسان» لقد أتاحت له مناصبه الدينية وممارساته العلمية والثقافية أن يطَّلع على احتياجات الناس، ومعاناتهم المعيشية، وواقع ظروفهم، وحاجتهم إلى دفعةِ اهتمامٍ وعناية وتنمية، وما كان منه إلا أن استجاب لنداء الحاجات، الصامت بمقاله والناطق بحاله، ووسَّع دائرة مسئوليته كعالمٍ مدركٍ لسمات العصر؛ لتشمل العناية بإنسان المجتمع المصري، وتحسين مستوى معيشة المواطن.

تجلَّى في شخص سماحة الدكتور علي جمعة، خُلُق الاهتمام بأمر الناس، والاكتراث لحاجاتهم الضرورية والعناية بإنسانهم وكرامته، من ممارساته التنموية الطيبة والشمولية في «مؤسسة مصر الخير» التي أنشأها ويرأسها منذ عام ٢٠٠٧.

لقد رسم سماحة الدكتور، بالأعمال التنموية لهذه المؤسسة، معالم «خُلُق العناية» في فضاء الإسلام، وهو خلق ضروري مُطالَب به العالِم مع الأمي والقوي مع الضعيف، والغني مع الفقير، والراعي مع رعيته، وخاصة في حال القلَّة والعلَّة وتعثُّر الرؤية للمخارج الممكنة بالإمكانات المتاحة، ومن مظاهر خلق العناية نرصد على سبيل المثال لا الإحصاء خمسة مظاهر:

- العناية بالإنسان دينيًّا: وذلك عبر تمكينه بالمعرفة والفتاوى اللازمة لربط الدين بالدنيا، وعبر بناء ثقافة العيش المشترك في مجتمع المواطنة على أصول من القرآن الكريم والسنة المحمدية المعصومة، وعبر مواجهة التطرف والإرهاب والفتنة التي تهدد الأمن الأهلي والاجتماعي.

- العناية بالإنسان صحيًّا: وذلك عبر تسهيل آلاف العمليات الطبية وإقامة

قوافل طبية لمرضى العيون، وإطلاق مبادرات منها مبادرة «مصر خالية من فيروس س».

- العناية بالإنسان إنتاجيًّا «الرزق»: وذلك عبر إنشاء مشاريع تنموية وبعض الشركات التي توفر فرص عمل للشباب، وكذلك تقديم قروض ميسرة للشباب لإقامة مشروعات صغيرة للثروة الحيوانية في مناطق الصعيد وسيناء والوادي الجديد.

- العناية بالإنسان في ضائقة: ومنها عنايته بالغارمين في السجون، وذلك عبر «برنامج الغارمين» بالتعاون مع مؤسسة بنك الاستثمار العربي للتنمية المجتمعية. وقد نجحت المؤسسة في فك كرب (٥٠) ألف غارم وغارمة، وتعمل للوصول إلى خلوِّ السجون المصرية من الغارمين، والحؤول أيضًا دون دخولهم إلى السجون باستغلال حاجاتهم.

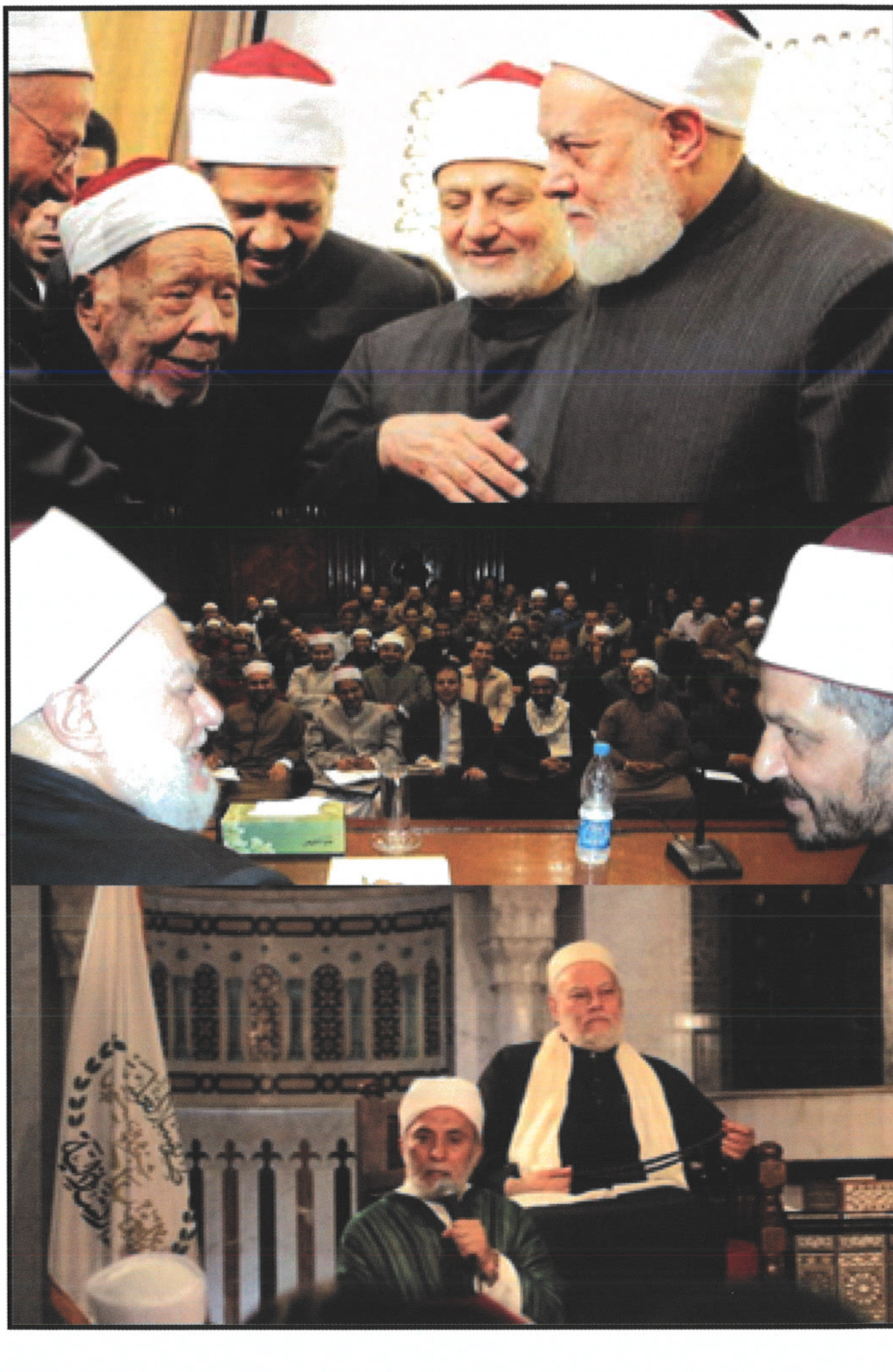
- العناية بالإنسان سكنيًّا: وذلك عبر برنامج «مبادرة سكن كريم» التي تسعى لتحسين البنية التحتية للمنازل، لتكون آمنة ولائقة- في حدود معقولة- بالكرامة الإنسانية. وبدأ العمل بالمبادرة في المحافظات المصرية التي تعاني من معدلات فقر مرتفعة، ومنها يتوسع تنفيذ الخطة في باقي المحافظات.

مبادرات طيبة ومشاريع تنموية تشهد لخلق «العناية بالإنسان» المؤصَّل في طبع سماحة الدكتور، ونسأل الله تعالى أن ينعم تفضُّلاً وكرمًا بهذا الخلق الكريم على كل «مؤمن قوي» وعلى كل «صاحب يد عليا» لتتمكن مجتمعاتنا من محاربة الجهل والفقر والقلة والعلَّة، صونًا لكرامة الإنسان وتمكينًا له في أداء وظيفته في عمارة الأرض.

ونقتبس ختامًا عبارة لسماحة الدكتور علي جمعة يؤكد فيها أن مؤسسة مصر

الخير «تحرص دائمًا على المساهمة والاشتراك في كافة البرامج والأنشطة التنموية لتحسين مستوى معيشة المواطن من خلال الشراكات الفاعلة مع الجهات الحكومية والأهلية؛ لتوفير حياة كريمة للمواطن وتلبية احتياجاته خاصة في المناطق الأكثر احتياجًا».

***



العلَامة الفارقة في تاريخ الامة الإسلامية

بقلم ياقوت الشيخ محمد الشيخ مالك الشيخ الإمام



عضو المجمع العلي الصوفي
الطريقة السمانية الخلوتية
الخرطوم – السودان

الحمد لله المتقدِّس في أسمائه وصفاته، المتفرد بجلاله وجماله وحسن كمالاته، أحدٌ صمدٌ مبدعٌ في أفعاله وآياته، تعالى عن الشبيه والنظير ولا يعزُبُ عنه جهر العبد ومناجاته، قرَّب إليه من عباده من أحبَّه فهم مدلَّلون بأُنسه وكراماته، وكساهم سندس لطفه ووده وتجلَّى لهم بنفيس إشاراته، فهم قائمون بأمره كما أمر، واقفون عند حدوده كما جاء في الأخبار والسِّير، أداموا ذكره وشكره، فطوَّقهم بإحسانه وبرِّه، فأقامهم جلَّ وعلا في مقام النُّصح والإرشاد وندبهم لخدمة الدين والعباد، فإن تكلَّموا صحَّحوا المغلوط وستروا العيوب، وإن أشاروا هذَّبوا النفوس والقلوب.

أحمده حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، بيَّن فضل العلم ومكانة العلماء، فقال سبحانه في كتابه العزيز: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، وأكَّد قائلًا: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وقال أيضًا: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدًا عبده ورسوله، ورد عنه في حديث أبي الدرداء أنَّه قال: «وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإنَّ الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنَّما ورَّثوا العلم، فمَن أخذَه أخذَه بحظٍّ وافرٍ» رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه في كتاب العلم، صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصحبِه وسلَّم عدَد خلقِه ورضا نفسِه وزنة

عرشه ومداد كلماتِه. وبعد:

فإنَّ الله تبارك وتعالى من جوده وكرمه قيَّض لهذه الأمة الإسلامية المرحومة عالمًا ربانيًّا ووارثًا محمديًّا، أخي في الله وحبيبي في رسول الله صلي الله عليه وسلم إمامُ العارفين وقدوةُ السالكين سماحةُ الأستاذ الدكتور الشيخ علي جمعة مفتي الديار، الذي هو في نظري علَامة فارقة في تاريخ الأمة الإسلامية، ونبراسًا لا تخطئه العيون، أقامه الله سبحانه وتعالى لنصرة دينه وسنة رسوله العظيم سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه، في زمنٍ استشرى فيه الضلال الفكري والانحراف المذهبي.

ولأنَّ سماحة الشيخ كان من أهل الاصطفاء؛ فقد وهبَه الله تعالى سعةً في الأخلاق، وحظًّا وافرًا من علوم الواحد الخلَّاق، وأعانه بجلائل الفلاح ومعينات الإصلاح؛ فانبرَى لحمل الأمانة بعد أن ارتضته سوابقُ العناية الإلهيَّة أن يكون طوق نجاةٍ للهالكين، فأبحر بسفينة العلم والمعرفة بعناية فائقة، فلم تُرهبه الأمواج المتلاطمة، ولم تخِفه التيارات المتصارعة، ولا قواطع البحر عن إنجاز مهمَّةٍ هي من صميم الدين وروح الإسلام ورسالته، فكان على قدْر التَّحدي وتطويع الصِّعاب والمستحيل.

إنَّ المتأمل في سيرة أخي وحبيبي سماحة العارف الرباني الأستاذ الدكتور علي جمعة العالم المتفرِّد؛ لَيَجِدُها سيرة عطرة قوامها الزهد والتجرُّد، لم تصرفه الدنيا بزخرفها ومناصبها عن رسالته العظمى؛ فقد تجرَّد- سماحته - لله سبحانه وتعالى، وعكف على باب طاعته خاضعًا ملتجئًا، وفقيرًا مبتهلًا، أماتَ نفسه وحظوظها وهام بذكر الله والأنس به، فأجرى الله له من الفيوضات ما جعله في وقتنا الحاضر رائدًا للعلم والمعرفة، ناصرًا لمذهب أهل السنة والجماعة، يسبق علمه تواضع

الصالحين، وأدب الخواص المُخْلَصِين، تتقدمه مشارق الأنوار وفضائل النبل والأخلاق والترفُّع عن الصغائر.

إنَّ الكتابة عن العالم الأوفى والمجتهد الأزكى، الفقيه المتجرِّد، تاج العارفين وقدوة المحققين، صاحب الفضائل ومفتي المعضلات من المسائل سماحة الأستاذ الدكتور الشيخ علي جمعة -لا يكون إلا من باب التبرك بذكر نقائبه وسرد محاسنه؛ فما قدَّمه ويقدمه للأمة الإسلامية أمر يصعب استعراضه أو سرده في عجالة؛ وإن أوفت الكلمات وتزيَّنت العبارات، فهو موئل الحكمة واللطافة وسراج هذا الوقت ونوره الوهَّاج تشهد بذلك أقواله وأفعاله.

إنَّ ما صدر من فكر وجهد وعلم وعمل من أخي الحبيب يُظْهِر دوره الريادي، ومكانته السامية، ومقامه الرفيع ودرجته العليَّة، فقد جاهد بماله وفكره ونفسه في سبيل الدعوة إلى الله تبارك وتعالي ولم يدَّخر جهدًا، وما عاناه من مخاطر في سبيل رسالته التي ظلَّ عاكفًا في محرابها مسترخِصًا في ذلك روحه التي بين جنبيه، يقف شاهدًا على ذلك ويبرز لنا دوره اللَّامحدود في بثِّ روح العافية في جسد أهل السُّنة والجماعة، فلم يشتطَّ ولم يغالِ، بل بالحكمة والموعظة الحسنة استهلَّ خطابه، ومِن مشكاة ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ أسَّسَ منهجه فانتصر على خصومه بعلمِه وبرهانه.

وتشهد كلُّ إبداعاته الفكرية وثمراته العلمية بأنَّه كان وافيًا لرسالته، صادقًا في حجته، أمينًا في أطروحاته، لم تنازعه نفسٌ ولم تُزْرِ به شُهرة، ولم يصاحبه هوى ولا إعجاب، فصحَّح المفاهيم ودحض الشبهات بقولٍ صحيحٍ وبيانٍ صريحٍ، فقد كان يسوق الحقائق ويشرح المسائل في أبهى صور التدقيق والتحقيق، كل ذلك في إطار الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة وإجماع المسلمين.

ولولا توفيق الله له وعنايته به واستحقاقه لشرف الخلافة والجدارة لاستطالَت ليالي الفتن ولَبَعُد فجر الهداية، فقد أبطل- سماحته- بعلمِه الغزير الباطلَ، وأنكر المنكر ولم تعتريه رهبةٌ في فضح أصحاب العقائد الفاسدة، وحاضني البدَع والضلالات من أهل التكفير والتجسيم الذين تمدَّدوا كعُصبةٍ دخيلةٍ تكيد للإسلام وأهله كيدًا يخجل منه الأعداء، ففنَّد دعاويهم الفاضلة، وهدمها بمعاول الشريعة التي يحرِّفون نصوصها ويتباكون عليها.

إنَّ الفتح الرباني والإلهام الذي أُوتِيَهُ أخي سماحة الأستاذ الدكتور ظهر جليًّا في كتبه وإصداراته على كثرتها وتنوع موضوعاتها من التوحيد وفروعه، إلى الفقه وأصوله، والحديث ومصطلحه ومدلوله، وقوفًا عند التصوف وأخلاقه وأقطابه وفنونه، مرورًا بعلوم الاجتماع والاقتصاد مردوده ومشموله، فضلًا عن ما لا يعد من ضروب العلم المعاصرة الحديثة التي سَكب فيها عصارة جهده وفكره ومحَّصها تمحيصًا؛ فقدَّمها لأهلها وطالبيها عذبًا فراتًا.

وحين أكتب عن هذا العارف الرباني والعالم النوراني تملؤني الغبطة وتُشرِق في قلبي كل معاني الحب والسرور وتضج بداخل روحي أَلسُن الفرح والإعجاب بهذا الشيخ الجليل الوقور في مظهره ومعناه المتبتِّل في محراب الأنس والدلال، وأراه جديرًا بأن تبسط له موائد الإجلال والتقدير، وتُضَاء لحضرته قناديلُ الإعزاز والتفخيم؛ لأنه قدَّم لأمته الإسلامية ما يرفع شأنها ويجلُّ مقامها؛ دون كللٍ أو ملل متحققًا بقول الله تبارك وتعالي: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ولو جاوزَت كلماتي الثُّريَّا فهي قطعًا دون مقامه العَليِّ، وبعضًا ممَّا في قلبي نحوه من الحبِّ في الله ورسوله، إنَّ مصدر حبِّي له وفيه أنَّه من الذين صدقوا في الدعوة

إلى الله تبارك وتعالى؛ بل هو مِن أصدَق أهل العلم والعمَل والمعرفة الذين بذلوا نفوسَهم وأرواحهم رخيصةً حتَّى تشرِق شمسُ النجاح والهدى والرشاد على الأمَّة الإسلاميَّة.

إنَّني مع حبِّي الصادق له أُثَمِّنُ دوره الريادي العظيم، وأقدِّر جهوده الثرَّة الثرية في إزكاء جذوة العلم والمعرفة، أصدح بعبارات المدح والثناء مؤكِّدًا أنَّه في وجود الأخ الحبيب سماحة الأستاذ الدكتور علي جمعة يمكن أن يكون للعالم الإسلامي وجه آخر غير الذي عهده المناوئين للإسلام؛ وجه أنضر يَشِعُّ لُطفًا وسماحةً؛ كما جاء به سيد الخلق سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

ذلك بعضًا مما في قلبي نحوكم أيها العالم الرباني أُرْسِلُه مع دعواتٍ صادقات لكم بطول العمر ودوام التوفيق وعلوِّ المقام؛ فأنتم ريحانة الزَّمان، وقلادة أهل المحبة والإحسَان، حفظكم الله وسدَّد خطاكم

***

فجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء، وأعاننا على القيام بحقه، وحفظ غيبته، والدفاع عن شخصه ومنهجه وطريقته، التي تقوم على الذكر والفكر، والتعلق بالنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وحب الصالحين، وإكرام العلماء، ونشر الخير للناس أجمعين، مع عدم الالتفات إلى تشويش وضوضاء السفهاء المتعالمين، وبارك له ولنا في عمره وجهده، وأثابه عنا وعن المسلمين خير الثواب وحسن الختام.

***















أشعار في حب الإمام العلّامة
الأستاذ الدكتور
علي جمعة
حفظه الله ورعاه

عليٌّ العلا

للشاعر علي عبده إسماعيل

عَـليَّ العـلا والفـضل والأخـلاقِ — بُوركـتَ مـن رجـل طويـل الـساقِ
وشربـت مـن خمـر الجِنـانِ مُـنعماً — ورزقـت مـن حُـور النعـيمِ البـاقي
وهُـديت للخـير العمـيم مُكرمـا — ووقيـت شر الفقـر والإمـلاقِ
ووعيـت علـما مـن تـراث محمـدٍ — تـسمو بـه في ذروة الأخـلاقِ
إني لَمُـشتاقٌ لوجهـك دائـماً — في مطلـعِ الإصـباحِ والإشراقِ
زوَّجتُـكَ البكـرَ الوحيـدةَ قربـةً — لوصـالِ قربـكَ يـا أعـزَّ رفـاقي
فهـي العفـافُ وأنـت أمجـد سـامقٍ — فاهنـأ بـذات الفـضل في الآفـاق
أعفـافُ بنـت الأكـرمين تحيـةً — مـن والـديك لزوجـك العمـلاقِ
احظـي بـه زوجـا ودوداً طيبـا — بـين الرجـال مُوَصّـلَ الأعـراقِ
ترنـو إليـه بنـاتُ جنسك رغبـةً — في حمـلِ بطـن مـشبه العمـلاقِ
يـا ليتـه ولـدت كثـيرا مثلـه — يُرضُـون رغبـةَ جـده المـشتاقِ
فأتـت بـه فـرداً وحيـداً طيبـا — تهفـو إليـه بدمعـة الإشـفاقِ
يـا خـير مـن مـدح الرجـالُ خـصالَهُ — ورمـاه أهـلُ الـزور بالإخفـاقِ
اغـضضْ بطرفـك عـن كـلام سَيِّءٍ — يُفـشيهِ أهـل الحقـد والإمـلاق
لهفـي عليـك ولا عـلى أحـدٍ سـوى — مَـنْ سـاد بـالتقوى وبالإنفـاقِ
فاصِـغي إليـه عَفَـافُ إذ هـو قائـلٌ — لُيعـزك اللهُ الكـريمُ البـاقي
واستمـسكي بـالحق دومـا تَـسْعَدِي — وارضي بِقـسمةِ رَبـك الخـلاقِ

***

في عرسك الميمون

للشاعر/ ممدوح عبد الله

مـــاذا أقـــول وكلّكُـــم لُـــسَناءُ ... والقـــولُ دُرٌ صَـــاغه الحُكـــماءُ
قـــالوا : عـــليٌّ قـــال شـــعراً قلـــت لا ... تـــستغربوا ممـــن هُمُـــو شُـــعراءُ
في عُرســـك المَيمـــون يـــا علـــم الهُـــدى ... يُزجَـــى القـــريضُ ويـــبرزُ الأدبـــاءُ
بُوركـــت مـــن شـــيخٍ يـــصاهر شـــيخه ... إن قـــال قـــولا أنـــصت العلـــماءُ
بعفـــافِ شَـــيخك قـــد بنيـــتَ وإنَّـــهُ ... خـــيرُ البنـــاء وفرحـــة وهنـــاءُ
يـــا خـــير زوج قـــد تـــزوج زوجـــةً ... درجـــت ببيـــت كلهـــم شرفـــاءُ
ورفلـــت في ثـــوب الـــشباب وإنـــما ... خلـــق الـــشيوخ وعـــزة وهنـــاءُ
ووعيـــت مـــن آي الكتـــاب معانيـــا ... تـــشقي المـــريض فتَـــذْهَبُ الأدواءُ
وحفظـــت أحكـــام الـــشريعة بينـــما ... حـــارت بهـــا وتفرعـــت آراءُ
وعرفـــت في فـــن الحـــديث دروبـــهُ ... وأزحـــت زيفـــا دســـه الـــسفهاءُ
مـــاذا أقـــول ولـــست فـــيكم شـــاعراً ... والـــشعر تطريـــب لـــه خـــبراءُ
إن كنـــتُ قـــد قَـــصَّرْتُ وَفَّى شـــيخُنا ... فيـــك الكـــلاَمَ وحـــسبُك الإطـــراءُ
يـــا ربنـــا نـــدعوك بـــارك عرســـنا ... إنـــا بعـــرس حبيبنـــا ســـعداءُ
بـــاركهما وارزقهـــما ذريـــةً ... بالـــدين والـــدنيا هـــمُ علـــماءُ

***

الحوزة الغراء

للشيخ/ أشرف سعد الأزهري

قوموا لساح المجد يوما كي نرى ... شيخاً جليلاً قد أنار الأزهرا
بالحوزة الغراء ينثر درهُ ... وبساحة السلطان زان المنبرا
قد كاد نور العلم ينعي الأزهرا ... لولا إمام في العلوم تبحرا
هذي المآذن تستعيد شبابها ... قد لاح فجر في سما الدنيا سرى
تحت القباب العامرات توافدت ... أجناس شتى الراغبين من الورى
أقمارُ هدي يستنير ضياؤها ... من شمس من حاز الجبين الأزهرا
يرقى بهم نحو المعالي سُلَّما ... يزجي لهم درر المعاني أبحرا
فجبال موج هائجات تنثني ... أعطافها ، والبحر هاج مزمجرا
قد هابه من رام مجدا زائفا ... قد خاضه من كان يرجو الكوثرا
من لازم الأشياخ عمرا عامرا ... من رافق (الجادين) ثم (تغمرا)
حاز التبرك والتورك بعدما ... من مسند الدنيا (الفادان) تبحرا
قد زاده نبلاً وفضلاً أنهُ ... من آل من بالحق جاء مبشرا
يا جامع النهرين قد أرشدتنا ... لطريق من يعطي الجزيل الأوفرا
فجزاك ربي رفقة لنبينا ... وحباك من يده الشريفة عنبرا
إن المعالي تنتقي أبناءها ... إن المفاخر تحتفي أن تذكرا
في مدح من للناس قام مربيا ... في حق من للعلم كان مفسرا
بارك إلهي عمره واجعل لهُ ... في رحب فردوس الجنان الأنهرا
إن المديح جزاؤه في شرعنا ... حثو الثرى قد قاله خير الورى
يا سيدي إن الثرى لو أن طي ... بك مسه سيصير مسكا أذفرا

قصيدة في نجاة الشيخ

بقلم الدكتور/ محمد وسام

سموت إلى العلا بالمكرمات ... وقابلت الأذى بالطيبات
وواجهت الألى قصدوك غدرا ... بصدر ثابت في النائبات
يظن المجرمون لقاك سهلا ... وأنت من الجبال الراسيات
وإن تتزلزل الأوتاد فيها ... فأنت أشد منها في الثبات
كلاب النار نابحهم يمني ... ضرارًا للسحاب الممطرات
وما ضر السحاب نباح كلب ... ولا أوهى الجبال نطاح شاة
رموك بألف رامية فراحت ... جميعا طائشات ضائعات
وما يغني الرصاص لدى ولي ... تحف به الملائك حارسات
خطبت الجمعة الغراء تبغي ... تلقنهم دروسا في الثبات

***

في مدح الشيخ
آيات عبد الرحمن حسن

رأينـا بـديباج الوجـود خيـالكم — وسرنـا إليـه لا عـدمنا ظلالكـم
وطارت بنا الألباب من غير سائق — إلـيكم وأمـت في المرايـا جمـالكم
رأينـاكمُ في كـل بـاد وطـامس — كـان جلـوس كـل آن قبـالكم
فيـا أيها الغُيَّـاب قـد طال عهدكم — فعـودوا جعلنـا الـروح منـا حلالكـم
فـإن كـان هـذا يـستحيل بحقكـم — ولـو في الكـرى لا تحرمونـا مثـالكم
وقـد تنتقـد الأرواح منـا رخيـصة — لـترب عليـه قـد وضـعتم نعـالكم
ألا طيبـوا بـالله بـالقرب بالنـا — عـلى عجـل يـا طيـب الله بـالكم
عـلى كـل حـال نحـن حقـا عبيـدكم — وهـذا منانـا فـافعلوا مـا بـدا لكـم

***

الناس في حيرة

بقلم أ.د/ عبد الرحيم محمود زلط
عميد كلية اداب طنطا الأسبق

سبحان من علم الإنسان حكمتهُ ... وأرسل الهَدْيَ في القرآن نتلوهُ
رب رءوف كريم لا شريك لهُ ... قد وزع العفو في الآفاق نرجوهُ
وأرسل الرسْل تترى كي تنير لنا ... سبيل نور إذا الأجيال تخطوهُ
ونعمة قد حباه مصر في زمنٍ ... الحق ضاع وبعض الناس سرقوه
إمام تقوى وفتيا نستظل بهِ ... عليُّ جُمْعَةْ وفود القوم تحدوهُ
الرأي حيث كتاب الله حكَّمهُ ... فيما يقول من الآراء يتلوهُ
فلا خداع ولا تسييس بغيتهُ ... القول فصل وأهل العلم قالوهُ
ويعرف القدر للعلماء بجَّلهمْ ... ففيه بشر من الرحمن يعلوهُ
قد أحسن القول حين الوصف دبَّجهُ ... ينعي إلى الله صوفيًّا ويجلوهُ
حَسَنْ سعيدٌ وشناويُّ "أسرتهُ ... في ذمة الله أهل الطرق ذكروهُ
زميل عمري وصهري حين أندبهُ ... أجده دوما لشطر العدل يرسوهُ
إن قيل عنه فمفتي مصر أعلنهُ ... دراسة فيه نسل الشيخ ورثوهُ
مشي بسلسلة الأنساب متبعا ... حتى الأمين فموصول ومندوهُ
الصدق في رأيكم والعدل متقدُ ... لا تخزننه مع الأيام تخبوهُ
تضيء للناس مصباحا بظلمتهم ... يهدي إلي الحق ليس الحق يعدوهُ
الناس في حيرة والفكر شتتهمْ ... جهلاء أمتنا للبغي نشروه
تقوَّلوا عبر أبواق تشجعهمْ ... لا للتصوف كل الحق حذفوهُ
والله أحبط ما يأتيه قولهمُ ... هذا " ابن جمعة " للقرآن يعزوهُ

أدعـــوك ربي بحفـــظ ثـــم تكرمـــهُ ... مـــع النبيـــين في الفـــردوس هنـــوهُ

أتمـــم لـــه نعمـــة في الأرض تحفظـــهُ ... أنـــر لـــه صـــفحة للـــسوء تمحـــوهُ

"عـــليَ " مِـــنْ عِلْيَـــهِ العلـــماء منزلـــة ... و"جمعـــة" نورهـــا القـــرآن يـــشدوهُ

دامـــت حمـــايتكم للـــدين تحرســـه ... وتنـــصح النـــاس بالإســـناد تحـــدوهُ

***

شيخ الدعاة

مهداة من إبراهيم عبد السلام حمزة المحروقي

لفضيلة المفتي بمناسبة زيارته لمسجد الحامدية الشاذلية في اكتوبر ٢٠١٢

للشاعر: مرزوق محمد ربيع

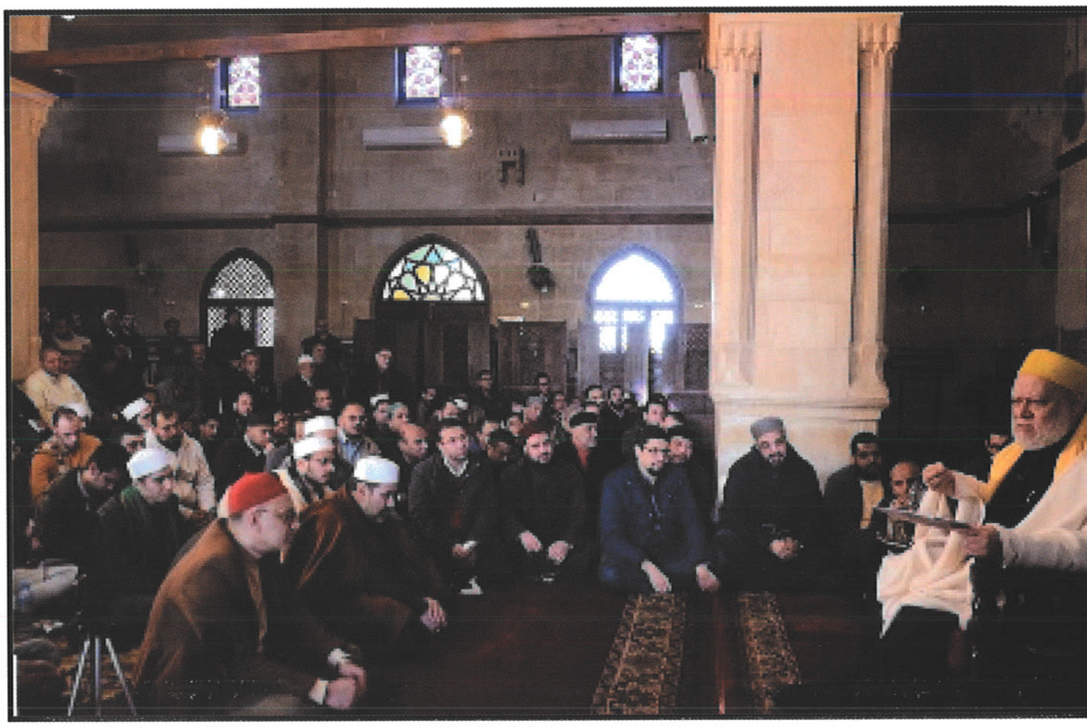
شيخُ الدعاةِ وخيرُ من هزَّ الندا ... بالعلم يرسلهُ فيشبههُ الندا
شيخُ الشيوخ غذا تباري فُلْكُهم ... في بحر علم الله كنتَ المقصدا
زخرُ النهي فخرُ الأُلي عرفوا العلا ... ورثوا به علمَ النبي مجددا
كلّ البقاعِ وقد تناهي وعظُكُم ... لغِراسها رَيا لتنبت بالهدى
فكأنهم بك حين ترشدُ جمعهم ... زرعٌ نما شطأً يضيء المسجدا
فلأنت فيهم كالزلالِ علي الظما ... ولأنت مشعَلُهم يُرى مُتوقّدا
فلتمضِ رحلتُك المجيدةُ هانئًا ... واسعدْ بعمرك داعيا ومسودا
وعلى جناح الحب من كل الأُلي ... يرجونه سفرا وعودا أحمدَا
واذكر لهذا الجمعِ يوم لقائكم ... حبا وتقديرا يعزُّ علي المدي
يا أيها البحرُ الذي لا يبتغي ... ما للبيانِ أراه فيك مقيدا
لا يجمعُ الفضلَ الملازمَ ظِلَّكم ... قولُ الخطيبِ ولا قصيدةُ من شدا
فكفاك من ذكر كريمٍ طيبٍ ... يعلو على البلغاءِ أن يترددا
شيخي وقد جاوزتُ قدري راغبا ... حين انتسابي نحو فضلك مُحْندا

***

القول الجلي في مدح الشيخ علي
عبد البدوح إلياس

وبهـــــاء وجهـــك ينبـــئ الإيمانـــا　　وعطـــوف قلبـــك ينبـــع الإحـــسانا
ولطالمـــا أرجـــو لقـــاءك قربـــة　　وتبركـــا وتعلمـــي التبيانـــا
وتهـــاب مـــن بعـــدٍ لأنـــك دائـــما　　لم تـــترك التـــسبيح والقرآنـــا
وأراك ألطـــف ســـيد ومكرمـــا　　نـــسلو بـــه عـــن جهلـــة فرحانـــا
تنـسال منـك سـيول فقـه ذخـرة　　بأصـــوله وفروعـــه إعلانـــا
ميـــزان علـــم النحـــو فـــك بيانـــه　　تعطـــي العقـــول غـــذاءه لمرآنـــا

***





مؤسس أبراج العلوم والمعارف[1]

بقلم الشيخ/ أبو بكر أحمد المليباري



الأمين العام لجمعية
علماء أهل السنة والجماعة لعموم الهند

من الشخصيات الفريدة البارزة التي يزدهر بها العالم الإسلامي فضيلة العلامة الدكتور نور الدين علي جمعة مفتي الديار المصرية سابقا شافعي المذهب أشعري العقيدة، قام بتأسيس أبراج العلوم والمعارف مما وصلت تحت كل كوكب إبان حقبة يسيرة. ونشاطاته العلمية والثقافية والاجتماعية تُحرى أن تكتب بالحروف الذهبية في قائمة تسجّل الأعمال الدعوية لمنهج الإسلام الوسطي الصحيح في القرن الخامس عشر الهجري. وأتذكر حاليا أن صلتي وعلاقتي وصداقتي مع فضيلة العلامة الشيخ علي جمعة مما تحمل قصص سنوات عديدة. وفضيلته قام بزيارة جامعة مركز الثقافة السنية الإسلامية بكيرالا، والتي تعدّ أكبر جامعة إسلامية في الهند على الإطلاق، كضيف موقر لمؤتمر الاحتفال السنوي الثالث والثلاثين لها عام ألفين وأحد عشر؛ وذلك تلبية لدعوتي الضئيلة التي كنت لا أزال أوجهها إليه منذ زمن طويل إلى مؤتمرات دولية تقام على مر كل سنتين تحت الجامعة والتي يتعود على المشاركة فيها عدد كبير يتجاوز نصف مليون مسلم من داخل الهند وخارجها. وقد ألقى فضيلته في المؤتمر خطبة حافلة احتلت مكانة بارزة في قلوب كافة الضيوف الحاضرين الذين استمعوا إليها حيث إنه رمز من رموز أهل السنة والجماعة على مستوى عالمي. ومما سرّني جدا أنه قام في المؤتمر بإلقاء سنده وإجازته في

(1) تنويه: وصلت هذه الكلمة من فضيلة العالم الكبير الشيخ/ أبو بكر أحمد المليباري بعد ترقيم الكتاب وطبعه وقبل تجليده؛ فاضطررنا لوضعها آخر الكتاب.

كتب الفقه الشافعي مرورا بالأئمة الكبار منهم: الشيخ ابن حجر الهيتمي، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، والإمام النووي، وإمام المذهب محمد بن إدريس الشافعي، وانتهاء بسيدنا رسول الله ﷺ.

وكان من كلماته الماتعة في المؤتمر والتي تثلج صدور الراغبين في طلب العلوم الدينية أنه قام بترحيب طلاب العلم بالجامعة خاصة وبسائر الطلاب بالهند عامة إلى جمهورية مصر العربية، إلى جامعة الأزهر الشريف؛ مما يشجعهم ويبعثهم بأكبر قدر ممكن لمواصلة دراساتهم العلمية في مختلف الموضوعات التراثية والعصرية، مثلما كانت كلمته في ملتقى العلماء المعقود ضمن فعاليات المؤتمر للجامعة مما لها ألف معنى ومغزى تشير إلى تعمقه في مواهبه في الفنون الدينية بأدق التفاصيل.

ومن الجدير بالذكر أن فضيلته استطاع أن يسلط الضوء خلال مدة قصيرة على مشروعات عديدة ترجى حصيلاتها للأجيال الحاضرة والقادمة، بما فيها من إنجاب ثلة من العلماء العباقرة، وتوجيه الأمة الإسلامية شبابا وشيوخا إلى منهج قويم للإسلام، وإتراع المكتبات الإسلامية بالكتب القيمة، وتوفير كافة التسهيلات العلمية لطلاب العلم من وافدين وغيرهم، وتقديم النشاطات الخيرية على مستوى مصر، والتصدي للأفكار المتطرفة المنحرفة في وقت لم يتجرأ على ردها فيه إلا معدودون بالأصابع، وما إلى ذلك. ونسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياه لمزيد من الخدمات الدينية وأن يجعلها في ميزان الحسنات يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم... مع خالص التقدير والإحترام،،

الشيخ أبو بكر أحمد

مفتي جمهورية الهند

ورئيس جامعة مركز الثقافة السنية الإسلامية

12 جمادى الأخرى 1441هـ/ 7 فبراير 2020م

فهرس المحتويات